القرآن الكريم

وروايات المدرستين

الجزء الأول

تأليف

السيد مرتضى العسكري

المجمع العلمي الإسلامي

القرآن الكريم
وروايات المدرستين

القرآن الكريم

وروايات المدرستين

الجزء الأول

بحوث تمهيدية

تأليف

السيد مرتضى العسكري

المجمع العالمي لأهل البيت

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المجمع العالمي لأهل البيت

العنوان: بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسنين
ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ - ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠
المستودع: حارة حريك - خلف كنيسة مار يوسف - بناية دار الزهراء

الأهداء

سيدي يا خاتم الأنبياء و سيد المرسلين صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين و زوجاتك الطيبات أمهات المؤمنين و صحابتك البررة الميامين.

سيدي منذ نيف وخمسين عاما بعثني التشرف بك حسباً و نسباً و ولاءً على القيام بتمحيص سنتك سيرةً وحديثاً، و وفقني ـ الله تعالى ـ لنشر بحوث منها بين أُمتك أمتنا الاسلامية تباعاً.

و ها انذا أتشرف بنشر أهمها أثراً و أعظمها خطراً في تمحيص ما رووا عنك في شأن القرآن الكريم الذي أنفقت عصر رسالتك في حمله إلى العالمين، و أرفعهـا هدية متواضعة إلى مقامك المحمود ـ و إن كنت كالنملة قدراً فأنت أعظم من سليمان كرماً ـ فتقبلها برأفتك بنا معاشر أمتك، و اشفع لنا عند الله ليكشف ما بنا من غمَّة.

المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾

(الرحمن/ ١ ـ ٤)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

(الحجر/ ٩)

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

(يونس/ ٣٧ ـ ٣٨)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ...﴾

(محمد/ ٢٤ ـ ٢٦)

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ

تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَـٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾

(الاسراء/ ٨٨ ـ ٩٥)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

(فصلت/ ٢٦)

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء محمّد و آله الطاهرين، و السلام على أصحابه الميامين و أزواجه المنتجبات أُمهات المؤمنين.

و بعد كنتُ لا أرى في ما مضى أيّة ضرورة لهذا النوع من البحث القرآني، لما كنتُ أعلم أنّ المسلمين عامّة متّفقون اليوم على أنّ القرآن الذي يتداولونه هو كلام الله الذي أوحاه إلى خاتم أنبيائه محمّد صلى الله عليه و آله، و أنّهم توارثوه عن نبيّهم جيلاً بعد جيل حتّى اليوم، و أنّ الخلاف بينهم ناشئ عن تأويله و تفسيره، و أنّه إن شذَّ منهم شاذّ يوماً ما بقولٍ ما،فهو من شأن الطبيعة البشرية و مجتمعاتها التي لم تخلُ و لن تخلو من شذوذ الشواذّ في يوم من الأيّام.

و بناءً على هذه الرؤية لم أكن أرى حاجة للخوض في هذا النوع من البحث. هكذا كنت أرى.

و لمّا قامت الجمهورية الإسلامية في إيران أقتضت الدوافع السياسيّة لدى بعض الدول، التحرش عليها، فأنتشرت في طول البلاد الإسلامية وعرضها كتب ورسائل ومقالات ضدّها وضدَّ خطِّ أهل البيت(ع) السائد فيها. وكان أهمّ ما رفعوه في هذه الحرب السياسيّة القرآن الكريم، فألجأني

الضرورة إلى أن أُبيّن الواقع التاريخي في هذا الشأن. و كتبتُ موجزاً من البحث في أوّل المجلد الثاني من معالم المدرستين، ظنّـاً منّي أنّه كافٍ لرفع الشبهات التي أُثيرت في هذا الصدد.

غير أنّ ما تلقيتُ من الأسئلة حولها من شتّى البلاد وما أنبئتُ أنّ بعض الدول الإسلامية دفعت و ساعدت على نشر ما يقارب مائتي كتاب و رسالة بهذا الصدد في بلاد الهند وحدها، أثبتت لي أنّ الشّبهات التي أُثيرت حول مدرسة أهل البيت(ع) في شأن القرآن خاصّة، أهمّ و أوسع مما كُنت أرى، أضف إليه ما كنت أراه منذ عشرات السنين من ضرورة القيام بردّ شبهات المستشرقين في ثبوت النص القرآني؛ لهذا وذاك آتسعت بحوث الكتاب و تسلسلت حتّى بلغت ثلاثة مجلدات.

و قد آخترت لهذه الدراسة كتابيْ (فصل الخطاب) و (الشيعة و القرآن) ليكونا محوريْ هذه الدراسة، لأنّ كلّاً من مؤلفيْ الكتابيْن أراد أن ينتقد المدرسة الأخرى في كتابه. وحاول أن يستوعب كل شاردة و واردة في بحثه. و آقتصرت في دراستهما على ما أورداه حول كتاب اللّه المجيد، و تركتُ منها ما لا يتصل بالبحوث القرآنية.

وراجعت في دراسـة ما استدلّ به الشيخ النوري من مصادر دراسات مدرسة الخلفاء إلى تلك المصادر مباشرة و خرّجت الروايات منها بلا واسطة.

و كان لابدّ لي في دراسة الروايات أن أمهدّ لها دراسة خصائص المجتمع الذي نزل فيه القرآن و انتشر منه لاقارن بين تلك الروايات و الواقع التاريخي الذي يناقض تلك الروايات. و الروايات التي ناقشتها هي:

أ ـ روايات جمع القرآن:

فقد جاء فيها[1]:

أنّه لـمّا استحرّ القتل بالقراء في واقعة اليمامة خشي عمر أن يذهب كثير من القرآن بقتل القراء في الحروب، فاقترح على الخليفة أبي بكر أن يجمعه فقال: كيف نفعل مالم يفعله رسول الله (ص)؟!

فلّما اقتنع بالرأي أمر زيد بن ثابت أن يجمعه، فقال: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص) ولما اقنعاه بالأمر أخذ يجمع القرآن مما كتب عليه ومن صدور الرجال ووجد آخر سورة براءة عند خزيمة بن ثابت.

و في رواية ان ذلك كان على عهد عثمان.

وجـاء في غيرهـا ان زيداً اقـترح جمع القرآن على عمر، و عمر على أبي بكر فاستشار المسلمين، فوافقوا عليه، فأمر عمر و زيد بن ثابت أن يكتبا آيةً شهد عليها شاهدان، و انّ أُبيّ بن كعب أخبرهم بآخر آية من القرآن، و أودع ما نسخه عند أم المؤمنين حفصة.

وفي غيرها انّ الخليفة عمر سأل عن آية، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فأمر بجمع القرآن، فكتبوا أربعة مصاحف و أنفذها الى الكوفة و البصرة و الشام و الحجاز.

و في غيرها: أنّ جمعه تمّ على عهد عثمان.

و في غيرها أنّ عمر قتل و لم يبدأ بجمع القرآن، وعلى عهد الخليفة عثمان جعل المعلّم يعلّم قراءة و معلم آخر يعلم قراءة اخرى فاختلف من اخذ منهم في

---

(١) نوجز في هذه المقدمة بحوث الكتاب الآتية لتساعد القارىء على استيعاب البحوث اللاتي جاءت في اول الكتاب وصلة بعضها ببعض ومن ثم نذكر مصادر ما اشرنا إليه فيها.

القراءات وبلغ ذلك المعلّمين فكفّر بعضهم بعضاً على قراءته مايخالف قراءته فبلغ ذلك عثمان، فامر بكتابة المصحف فربما اختلفوا في قراءة آية فيذكرون الرجل الذي تلقاها من رسول الله وهو غائب في بعض البوادي فيكتبون ماقبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، فيرسلون اليه حتى يحضر ويأخذون الآية منه، ويكتبونها في موقعها وأنه لـمّا أتمّوا كتابة المصحف ورآه عثمان قال: أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالسنتها!!!!

وانه كتب الى أهل الأمصار: أني محوت كذا من القرآن، وصنعت كذا، فامحوا ماعندكم واصنعوا كما صنعت!!!

وفي غيرها ان الاختلاف في القراءات وقع في بلاد أخرى غير المدينة فطلب الخليفة من أمّ المؤمنين حفصة الصحف التي عندها، فنسخها في مصاحف وأرسلها إلى البلاد، وأحرق بعد ذلك غيرها من المصاحف.

ب ـ روايات الزيادة والنقصان في القرآن!! ـ معاذ الله ـ

جاء في روايات منها:

ان أبا موسى الأشعري قال لقراء البصرة: كنّا نقرأ سورة نظير براءة أنسيتها وحفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا مالا تفعلون...).

وجاء في غيرها: انه كان في مصحف بعض الصحابة سورتي الحفد والخلع(٢).

وفي غيرها ان ابن مسعود لم يكن يكتب في مصحفه الحمد والمعوذتين

---

(٢) سورتان مختلقتان مفتريتان على القرآن الكريم ياتي نصها في بحث اختلاف المصاحف ان شاء الله تعالى من المجلد الثاني.

وانه كان يحكّ المعوذتين من المصحف[٣]

و انّ سورة الأحزاب كانت توازي سورة البقرة، و انه نسي منها ثلاثة أرباعها.

وجاء في غيرها: انه ممّا فُقِدَ من آي القرآن آية الرجم و (رضاع الكبير عشرا)، و سمّوا بعض ذلك بالنسخ و بعضها بالإنساء.

ج ـ روايات اختلاف المصاحف:

جاء في روايات منها:

ان امّهات المؤمنين عائشة وحفصة و أم سلمة أمرن بكتابة المصحف، ولـمّا بلغ الى قوله تعالى ﴿حَـٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أمرن الكاتب أن يكتب بعدها (و صلاة العصر).

و نظائرها كثيرة نشير الى بعضها و ندرسها في أماكنها من البحوث الآتية ان شاء الله تعالى.

د ـ روايات النسخ و الإنساء:

جاء في روايات منها:

ان رسول الله (ص) سمع رجلًا يقرأ القرآن في مسجده، فقال: رحمه الله لقد أذكرني كذا و كذا آية أسقطتها من سورة كذا و كذا. و ان صحابيين أرادا أن يقرءا في ليلة سورة نزلت على رسول الله (ص)، فلم يقدرا، و نسياها، فأصبحا غاديين الى رسول الله (ص) و أخبراه بذلك، فقال: إنها ممّا نسخ أو نسي، فالهوا عنها.

و انه كان مما ينزل به الوحي عليه ليلًا وينساه نهاراً.

---

(٣) المعوذتان هما سورتا قل اعوذ بربّ الفلق وقل اعوذ بربّ الناس.

هـ ـ روايات اختلاف القراءات أو القراءات المختلفة:

جاء في روايات منها ان بعض الصحابة قرأ:

١ ـ (إن هذان إلا ساحران) بدل: ﴿ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَانِ ﴾.

٢ ـ إن ذان إلاّ ساحران.

٣ ـ (سنقرئك فلا تنساها) بدل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾

٤ ـ (صراط من أنعمت عليهم) بدل: ﴿ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

و هناك مئات أخرى من قراءات مختلفة نُسبت إلى الصحابة زوراً و بهتانا و لعلّها تبلغ الالوف ولا ينبغي لناأن نضيع الوقت في عدّها.

و ـ روايات أنزل القرآن على سبعة أوجه:

رووا عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله (ص) فلببته بردائه، و قدته الى رسول الله (ص).

فقال: اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة الّتي سمعته يقرأ.

فقال الرسول (ص): كذلك أنزلت.

و قرأت القراءة التي أقرأنيها الرسول (ص). فقال الرسول (ص): كذلك أنزلت ثم قال: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه!

و في رواية أخرى كان ذلك مع رجل، فوقع في صدر عمر شيء، فضرب الرسول (ص) صدره و قال ثلاثاً: ابعد شيطانا، ثم قال: يا عمر انّ القرآن كلّه صواب، مالم تجعل رحمة عذابا او عذابا رحمة!

و في رواية أخرى عن عمرو بن العاص نظير ماتقدّم و ان رسول الله (ص) قال لهم: ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأيّ ذلك قرأتم فقد أصبتم، أحسنتم ولا تماروا فيه فانّ المراء كفر!

وعن أبيّ بن كعب انه اختلف في القراءة مع اثنين آخرين فذهبوا الى رسول الله (ص) فقرأ الاثنان على الرسول الله (ص) خلاف القراءة التي كان أبيّ أخذها من النبي.

قال أبي: وصوّب النبي جميعها فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فضرب النبي في صدري، وقال: أُرسِلَ اليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فقلت: هوّن على أمّتي فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف!

وفي رواية اخرى: ان النبي (ص) قال: ان جبرائيل وميكائيل أتياني فقعد جبرائيل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبرائيل: اقرأ القرآن على حرف، فقال: اسرافيل: استزده، استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف وكاف.

وفي رواية اخرى: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب!

وفي رواية أخرى نظيرها الى قوله:

حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلاّ شاف كاف إن قلت: غفوراً رحيماً، أو قلت: سميعاً عليماً، أو عليماً سميعاً فالله كذلك ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

إلى عشرات الروايات الاخرى نظائر ما تقدم ذكرها.

ز ـ تقويم الروايات السابقة :

أولاً ـ في تلكم الروايات روايات إسرائيلية وروايات الغلاة والزنادقة ومن جملتها روايات موضوعة ومفتراة على الله ورسوله وكتابه، وفيها ما افتري بها على الصحابة وأئمة أهل البيت.

ثانياً ـ في تلكم الروايات روايات صحيحة غير انّ فيها مصطلحات قرآنية

تغيّرت معانيها، و تبدلّت بعد عصر الصحابة متدرّجا حتّى أصبح لها اليوم معانٍ غير التي قصد منها في القرآن و حديث الرسول(ص) و أحاديث الصحابة.

و استعمل ذلك المصطلح في كتب علوم القرآن في المعنى الجديد له خلافاً للمعنى الذي استعمل فيه في عصر الرسول حتى عصر الصحابة.

و أنتج كل ذلكم ما يأتي بيانه باذنه تعالى.

ح ـ نتائج الروايات و آثارها:

أولاً ـ انّهم اعتقدوا بان في القرآن الكريم آيات منسوخة التلاوة مع بقاء حكمها و أخرى منسوخ الحكم مع بقاء قراءتها و آيات أخرى منسوخة التلاوة و الحكم جميعاً و على أثر ذلك تسابقوا في استخراج الآيات الناسخة و المنسوخة لفظاً أو حكماً أو هما جميعاً في تلكم الروايات وسجّلوا نتائج ما توصلوا إليه في عشرات المؤلفات بعنوان علم الناسخ و المنسوخ من علوم القرآن في حين أنّ الله ما نسخ آية ممّا أنزل على رسوله في القرآن الكريم لا لفظاً ولا معنىً ولا كليهما معاً و نعوذ بالله من هذا الافتراء الشنيع على الله الحكيم و كتابه الكريم.

ثانياً ـ انّ جملة ممّن سمّوا بالقرّاء الكبار اجازوا لأنفسهم أن يبدلّوا كلمات القرآن التي نزلت بلغة قريش و هوازن و قضاعة و تميم و طيئ و غيرهم من قبائل العرب. و بلغ بهم الأمر أن يتسابقوا في البحث و التقصّي عن شواذّ اللهجات في قبائل العرب و إن كان جرى ذلك على لسان بدويّ جاهل غير فصيح، و يجعلوا ذلك التلفظ الشاذّ الغلط قراءة لتلك الكلمة في القرآن الكريم حتى بلغ عدد القراءات في كلمة واحدة من كلمات القرآن الكريم عشر قراءات احداها لغة قريش مثل ماجرى لكلمة (عليهم) في قوله تعالى في سورة الحمد ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

و بعملهم هذا أجروا من التحريف على القرآن بما لم يجر نظيره على كتاب على وجه الأرض قطُّ و هذا ما عناه الإمام الباقر في قوله: (أمّا القرآن فقد

حرّفوا).

ثالثاً ـ إنّ تلكم الروايات المفترى بها على الله و رسوله و كتابه و أصحاب رسوله أدت إلى:

أ ـ عدم فهم معاني المصطلحات القرآنية في أحاديث أخرى صحيحة.

ب ـ اعتقاد العلماء بوجود الناسخ و المنسوخ في آيات القرآن الكريم.

ج ـ تجوّز القرّاء في تحريف كلمات القرآن و اختلاقهم تلك القراءات الباطلة لها.

د ـ شوشت على بعض المحدّثين أمثال الشيخ النوري الرؤية الصحيحة لأمر القرآن الكريم وكتبوا في شأن القرآن الكريم وقالوا مالا يصحّ قوله و كتابته.

هـ ـ وجد أمثال احسان الـهي ظهير و نظرائه في نشر تلكم الأقوال و إذاعتها بأوسع ما يمكن من نشره و إذاعته، خير وسيلة لنقد مدرسة أهل البيت (ع) و قدحها، فلم يألوا جهداً في ذلك. و أعانهم على نشرها في جميع بلاد العالم بعض أصحاب الطول و النفوذ و السيطرة بكلّ ما أوتوا من حول و قوّة.

رابعاً ـ استند المستشرقون وخصوم الإسلام إليها و رووا و كتبوا أن مصاحف الصحابة كانت تختلف بعضها مع بعض مثل مصاحف عمر و علي و أبي و ابن مسعود و ابن عباس و ابن الزبير و أمهات المؤمنين عائشة و حفصة و أم سلمة و كذلك عدّوا أحد عشر مصحفاً من مصاحف التابعين كانت تختلف بعضها مع بعض و ان الحجّاج غيّر من مصحف عثمان عشرة أماكن مثل ﴿ يسيّركم في البر و البحر ﴾ في سورة يونس/٢٢ و التي كانت (هو الذي ينشركم في البر والبحر) فنسيت ما كان في مصحف عثمان و بقي يقرأ في القرآن ما غيره الحجّاج.

وقام المستشرقون بالبحث عن المؤلفات التي جاء فيها تغيير النصّ القرآني مثل:

ج. برجشتر الذي استخرج من كتاب البديع لابن خالويه (شواذ القرآن) خاصّة وطبعته جمعية المستشرقين الالمانية بمصر سنة ١٩٣٤م سابع سبعة مما راقهم طبعها. و مثل: د. آرثر جفري الذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦) بمصر سنة ١٩٣٦م لما فيها من روايات من اختلاف المصاحف و القراءات.

ط ـ بداية الوضع و الدسّ و الافتراء:

في بحث (دواعي وضع الحديث) من باب (مع معاوية) من المجلد الأول من كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة و في مايأتي من أبواب هذا الكتاب نرى ان بداية انتشار الروايات المختلفة و الأخبار الموضوعة كان بعد استخلاف معاوية و امتدّ ذلك على طول عهد الخلافة الأمويّة.

و في سنة ثلاث و أربعين بعد المائة عندما أمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بتدوين كتب العلم دوّن كلّما المحنا إليه في ما دوّن من كتب العلم و بقي العلماء يتداولونها و يتدارسونها جيلاً بعد جيل، و يستنبطون منها ما يستنبطون حتى عصرنا الحاضر.

و نحن اليوم إذا أردنا أن ندرس تلكم الروايات و تلكم الاخبار لنمحّص الحق من الباطل منها يلزمنا أن ندرس بتوسع ظروف كل خبر منها، مثلاً إذا أردنا أن ندرس ما نسب الى الحجّاج انه غيّر النصّ القرآني الذي كان مكتوباً في مصحف عثمان الذي أرسله الى البلاد و أنّ النصّ القرآني الذي بايدينا في زهاء عشرة موارد يختلف عما كتبه عثمان في مصحفه لابدّ لنا أن ندرس أخبار عصر ولاية الحجاج و أخبار ما جرى بعده بتوسع لندرك أن ماافتروا على القرآن بان الحجاج غيّره مستحيل عادة.

و إذا أردنا أن ندرس خبر ما نسب الى الصحابي ابن مسعود من انه كان يحك من المصحف سورة الحمد و المعوذتين و نحن نعلم ان الخليفة عمر بعثه الى

الكوفة ليقرئهم القرآن لن يتيسر لنا معرفة الحقيقة و الافتراء الذي افترى به على ابن مسعـود دون أن ندرس أسباب اختلاف ابن مسعود مع الوليد والي الكوفة، و الخليفة عثمان و كذلك الشأن في دراسة ما عدا ذينكم الخبرين ومن ثم رأينا انه لن يتيسر لنا دراسة كل تلكم الأخبار دون أن ندرس المجتمع الذي نزل فيه القرآن في العصر الجاهلي ثم في العصر الاسلامي في مكّة مع قريش و المـدينـة في ما يخص سيرة الرسول و مع من كان يعاشره وهذا ما سميناه بالمجتمع الذي انتشر منه القرآن و تمتد دراسة المجتمع الذي انتشر منه القرآن بعد الرسول وتستوعب حكم الخلفاء أبي بكر و عمر و عثمان و علي و معاوية حتى عصر الحجاج.

و بعـد ذلك ندرس على قدر الاستطاعة تاريخ القرآن: نزوله و إقراءه و تدوينه في مكة و المدينة و نختـم المجلد الأول بدراسة المصطلحات القرآنية.

و في ضوء هذه الدراسات ندرس بإذنه تعالى روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم في المجلد الثاني و روايات مدرسة أهل البيت في المجلد الثالث.

و بناءً على ماذكرنا سيثبت في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى انّ النصّ القرآني كما هو بأيدينا أوحى الله به الى رسوله (ص) و أقرأه الرسول (ص) كذلك أصحابه.

و كلّما أوحى إلى رسوله (ص) من القرآن و بيان القرآن أَمَرَ مَن حَضرهُ مِن كتّابهِ بتدوينهِ على ما حَضَرَهُ من جلدٍ و خشبٍ و عظم كتف و ما شابهها، و أوصى علياً أن يجمعه من بعده ففعل.

و كذلـك فعـل كل من كان تعلّم الكتـابة من أصحابه، و كذلك فعل التابعون في عصر الصحابة.

و اقتضت سياسـة الخلفـاء من بعـده أن يجردوا القـرآن من حديث الرسول (ص) المبيِّن لمعاني القرآن و بدؤوا بذلك في عصر أبي بكر و انتهى الأمر في عصر عمر، و نسخ عليه سبع نسخ وزعها بين أمهات البلاد الإسلامية و أمر

باحراق ما عند الصحابة من نسخ كتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص).

فكتب المسلمون بعد ذلك القرآن مجردًا عن حديث الرسول (ص) جيلاً بعد جيل حتى عصرنا الحاضر.

ولـم تنس كلمة مـمّا أوحي الى الرسول من القرآن ولـم تزدد عليها ولـم تنقص منها كلمة ولـم تبدّل منها كلمة في عصر من العصور.

ووضع على عهد معاوية فما بعد من عصور الخلافة الاموية روايات لتبرير عمل الخليفة عثمان في شأن القرآن وسائر شؤون سياسة الحكم على عهده بالاضافة إلى ذلك نسيت بعض معاني المصطلحات القرآنية مثل الاقراء والمقرئ الذي كان في عصر الرسول (ص) والصحابة بمعنى: تعليم تلاوة لفظ القـرآن مع تعليم معنى اللفظ، وبسبب عدم معرفة معنى هذا المصطلح بالاضافة الى تلكم الاحاديث اختلقت قراءات مختلفة وأصبحت علماً يتدارسونه جيلاً بعد جيل.

ولعدم معرفة معنى مصطلح النسخ والآية اختلف علم الناسخ والمنسوخ وأُلّف في أمثال هذه المختلقات مئات المؤلّفات.

ولا يتيسر درك حقيقة الروايات والاخبار التي المحنا اليها آنفاً واللاتي سوف ندرسها في المجلدين الثاني والثالث من هذا الكتاب باذنه ـ تعالى ـ دون استيعاب كل البحوث التي أوردناها في المجلد الاوّل باتقان ومع ان في بسط بعض تلكم الاخبار مايؤلم القلب غير ان فهم ما افتري على الله ورسوله (ص) وكتابه واصحاب رسوله وفهم المصطلحات القرآنية لن يتيسر دون دراسة جميع مانقلنا من أخبار وياليت تلك الحوادث لـم تقع ولـم نكن نضطر الى دراستها في سبيل الدفاع عن كرامة كتاب الله الكريم.

منهج البحث :

لما كان الاستدلال على بعض العلوم النظرية يتوقف على تذكار بعض

البديهيات، و كنا في هذه البحوث نخاطب عامة الناس المتخصص منهم بهذه العلوم و غير المتخصص و المسلم منهم و غير المسلم، اضطررنا أحياناً إلى شرح بعض المصطلحات التي يبحث عنها في بدايات العلوم هي من البديهيات عند المشاركين في العلوم الإسلامية، و أحياناً عند عامة المسلمين، كما إننا اضطررنا أحياناً إلى تكرار بعض المفاهيم التي سبق شرحها، لما كان الاستدلال عليها في البحث الجديد يتوقف على التذكير بتلك المفاهيم و خاصة الجديدة منها على المجتمع و ادرنا البحوث المذكورة وفق المخطط الآتي:

مخطط البحوث القرآنية

المجلّد الأوّل: بحوث تمهيدية

البحث الأوّل: ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن و خصائصه

١ ـ النظام القبيلي.

٢ ـ الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية.

٣ ـ النظم الإجتماعية.

٤ ـ أديان العرب في العصر الجاهلي.

البحث الثاني: من تاريخ القرآن.

أخبار القرآن على عهد الرسول(ص).

أ ـ في العصر المكي .

ب ـ في العصر المدني .

البحث الثالث: مصطلحات إسلاميّة قرآنية

المجلّد الثاني

دراسات مقارنة لروايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم

أ ـ الدليل المشترك بين المدرستين .

ب ـ روايات البسملة وتناقضها ومنشؤه .

ج - روايات جمع القرآن و تناقضها .

د - روايات اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان.

هـ - روايات نزول القرآن على سبعة أحرف وأربعون آجتهاداً خاطئاً في تأويلها.

و - القراءات و القرّاء .

ز - بحوث النسخ و الإنساء .

ح - استنـاد المستشرقين بالروايات المختلفة والاجتهادات الخاطئة في التشكيك بثبوت النصّ القرآني.

ط - دراسة الروايات السابقة و اجتهاداتهم الخاطئة .

المجلّد الثالث

دراسة مقارنة لروايات مدرسة أهل البيت(ع) وما نسب إلى مدرستهم من روايات

بحوث تمهيدية

«١»

ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن وخصائصه

أ ـ النظام القبيلي.

ب ـ الوضع الإقتصادي في الجزيرة العربية.

ج ـ النظم الإجتماعية.

د ـ أديان العرب في العصر الجاهلي.

أولاً ـ النظام القبيلي:

كان أكثر سكان الجزيرة العربية في العصر الجاهلي قبائل رُحلًا يسكنون البادية. ونذكر في مايأتي شيئاً من عاداتهم نقلًا من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام بتصرف وإيجاز[1]:

أمّا البدو، فهم القبائل الرّحّل المتنقّلون من جهة إلىٰ أخرىٰ طلباً للمرعىٰ أو للماء، والطبيعة هي الّتي تجبر البدويّ على المحافظة على هذه الحياة.

وحياة البدوي حياة شاقّة مضنية، ولكنه ـ وهو متمتع بأكبر قسط من الحرية ـ يفضّلها على أي حياة مدنية أخرى.

هذه الحياة الخشنة هي الّتي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعىٰ والماء، وهي الّتي جعلت سوء الظنّ يغلب على طباعهم، فالبدويّ ينظر إلى غيره نظرة العدوّ الّذي يحاول أخذ مابيده أو حرمانه من المرعىٰ.

إنّ البدويّ في الصحراء لا يهمّه إلّا المطر والمرعىٰ، فأزمته الحقيقية انحباس المطر وقلّة المرعىٰ، ولا يبالي بما يصيب العالم في الخارج مادامت أرضه مخضرة، وبعيره سميناً، وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحماً.

أما إذا نما السكان وضاقت بهم الأرض، أو لم تجد أراضيهم بالمرعى،

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد علي ط. بيروت سنة ١٩٧٦م ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩.

فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة.

والمرأة البدوية ترفض الزواج من غني، إذا كان ابن صانع، أو أنّه من سلالة العبيد، أو كان نسبه القبيلي يحيط به شيء من الشّك، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب ومع وجود هذه الروح الارستقراطية الّتي تتجلّى فقط في الزواج ورياسة القبيلة والحكم، فإنّه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى.

ومن عادة القسم الأكبر من سكان الجزيرة - ولا سيما البدو- مخاطبة رؤسائهم بأسمائهم أو بألقابهم، لأنهم لا يعرفون الألقاب وألفاظ التعظيم والتفخيم، فيقولون يا فلان ويا أبا فلان ويا طويل العمر.

و البدوي لا ينسى المعروف، و لا ينسى الإساءة كذلك، فإذا أسيء إليه، و لم يتمكن من ردّ الإساءة في الحال، كظم حقده في نفسه، و تربص بالمسيء، حتى يجد فرصته فينتقم منه، فذاكرة البدوي ذاكرة قوية حافظة لا تنسى الأشياء.

و للبدو مهارة فائقة في اقتفاء الأثر، وكثيراً ماكانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم.

و القبائل العريقة المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة وتحرص عليها كل الحرص، فلا تصاهر إلاّ من يساويها في النسب. والقبائل المشكوك في نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة.

و إنّ من الصعب عليه نبذ ماكان عليه آباؤه وأجداده من عادات وتقاليد فالتقاليد و العرف و ما تعارفت عليه القبيلة هي عنده قانون البداوة، و قانون البداوة دستور لا يمكن تخطيه ولا مخالفته، و من هنا يخطئ من يظنّ أنّ البداوة حريّة لا حدّ لها، و فوضى لا يردعها رادع، و أنّ الأعراب فرديّون لا يخضعون

لنظام ولا لقانون على نحو مايتراءى ذلك للحضري أو للغريب.

إنّهم في الواقع خاضعون لعرفهم القبيلي خضوعاً صارماً شديداً، وكلّ من يخرج عن ذلك العرف يطرد من أهله ويتبرأ قومه منه، ويضطر أن يعيش طريداً أو صعلوكاً مع بقية الصعاليك.

والعربي رجل جاد صارم، لا يميل إلى هزل ولا دعابة، فليس من طبع الرجل أن يكون صاحب هزل ودعابة، لأنّها من مظاهر الخفّة والحمق، ولا يليق بالرجل أن يكون خفيفاً، لهذا حذر في كلامه وتشدّد في مجلسه، وقلّ في مجتمعه الإسفاف، وإذا كان مجلس عام، أو مجلس سيد قبيلة، روعي فيه الاحتشام والابتعاد عن قول السخف، والاستهزاء بالآخرين، وإلقاء النكات المضحكات، حرمة لآداب المجالس ومكانة الرجال.

وإذا وجدوا في رجل دعابة أو ميلاً إلى الضحك أو إضحاك عابوه عليه وانتقصوا من شأنه كائناً من كان.

وعبارة مثل «لا عيب فيه غير أنّ فيه دعابة» أو «لا عيب فيه إلّا أنّ فيه دعابة» هي من العبارات الّتي تعبّر عن الانتقاص والهمز واللمز.

والبدوي محافظ متمسك بحياته وبما قدر له، معتزّ بما كتب له وإن كانت في حياته خشونة وصعوبة ومشقة.

ولهذا كان للقبيلة قيمتها في بلاد العرب، فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأقربين والأبعدين، وإذا كانت القبيلة ضعيفة استقوت بالتحالف مع سواها حتّى يقوى الفريقان ويأمنا شر غيرهما من القبائل القويّة.

وقد جرى العرف أنّ القبائل تعتبر الأرض الّتي اعتادت رعيها، والمياه الّتي اعتادت أن تردها ملكاً لها. لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها إلّا بإذنها ورضاها، وكثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى، وتنتزع منها مراعيها ومياهها.

إن قبائل العرب ليسوا كلّهم سواء في الشرّ والتعدّي على السابلة

والقـوافل، فبعضها قد آشتهر أمره بالكرم والسماحة والترفع عن الدنايا، كما آشتهر بعضها بالتعدّي و سفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما فـي أيدي الناس.

ليس للبدوي قيمة حربية تذكر، و لذا كان اعتماد الأمراء على الحضر، فهم الذين يصمدون للقتال و يصبرون على بلائه و بلوائه.

و البدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقّه نهب الغادي والرائح، فالحقّ عنده هو القوّة يخضع لها، ويُخضع غيره بها. على أنّ لهؤلاء قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها، فالقوافل الّتي تمر بأرض قبيلة وليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب، و لذا آعتادت القـوافـل قديماً أن يصحبهـا عدد غير قليل من القبائل الّتي ستمر بأرضها و يسمّون هذا رفيقاً.

و البدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه، كما ان الحضري يحقر البدوي. فإذا وصف البدوي الحضري، فانه في الغالب يقول حُضيري تصغيراً لشأنه.

و من عادة البدوي الاستفهام عن كل شيء، وانتقاد مايراه مخالفاً لذوقه أو لعادته بكل صراحة، فإذا مررت بالبدوي في الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم؟ وعمن وراءك من المشايخ والحكام؟ وعن المياه التي مررت بها؟ وعن أخبار الأمطار والمراعي، وعن أسعار الأغذية والقهوة؟ وعمن في البلد من القبائل؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم مع بعض[٢].

* * *

أوردنا ماجاء في كتاب المفصل في وصف عرب البادية في العصر الحاضر لأنّا رأيناه كذلك يصدق على عرب البادية في العصر الجاهلي حيث كان النظام القبيلي أساس النظم الإجتماعية في الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول (ص)

---

(٢) كان ذلكم قبل ان ينتشر الراديو والتلفاز عندهم.

فقد كان المقاتل العربي يجاهد في سبيل أمجاد قبيلته و مصالحها، و شاعر القبيلة ينـظم القصـائـد في سبيل إعلاء كلمة القبيلة ومولى القبيلة و حليف القبيلة و اللصيق بالقبيلة و المتبنّى كذلك يفعلون.

و نذكر في مايأتي بإذنه ـ تعالى ـ الوضع الاقتصادي في المجتمع العربي الجاهلي.

ثانياً ـ الوضع الاقتصادي ومصادر الثروة في الجزيرة العربية:

كانت قريش خاصة وسكان مكة عامة يمتهنون التجارة.

واهل المدينة والقرى التي حواليها وأهل الطائف والمدن اليمانية والقرى العربية في العراق وحوالي الشام يمتهنون الغرس والزرع وتربية الماشية.

وكان من مصادر الثروة لأهل مكة والطائف والمدينة خاصة ونادراً مالغيرهم من العرب، الربا والقمار ـ الميسر ـ والاكتساب من الجواري في البغاء.

وكان ماعدا سكان المدن من العشائر، قبائل رحل يتبدون ويتنقلون طلباً للماء والكلأ لأنفسهم ولجمالهم وكان جلهم يغير البعض منهم على البعض الآخر في غزوات يقاتلون فيها الرجال ويسبون النساء والاطفال وينهبون الأموال ولهم أسواق لتبادل السلع فيها وللمفاخرة ومايتصل بها من انشاد شعرائهم ماأحدثوا من شعر وفي مايأتي بيان ذلك بحوله تعالى.

أ و ب ـ التجارة و الايلاف

اتسعت تجارة قريش منذ عصر هاشم واخوته، كما رواه القرطبي وغيره واللفظ للقرطبي في تفسير سورة قريش، قال:

كان أصحاب الايلاف أربعة أخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب ونوفل، بنو عبد مناف.

فأما هاشم، فانه كان يؤلف ملك الشام، أي أخذ منه حبلا وعهداً يأمن به في تجارته إلى الشام.

و أخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة.

و المطلب إلى اليمن.

و نوفل إلى فارس.

و معنى يؤلف يجير.

فكان هؤلاء الاخوة يسمون المُجيرين. و كان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الاخوة، فلا يُتعرض لهم.

و الايلاف: شبه الاجارة بالخفارة يقال: آلف يُؤلِف: إذا أجار الحمائل بالخفارة.

و الحمائل: جمع حمولة.

قال: والتـأويل: ان قريشاً كانوا سكان الحرم، ولم يكن لهم زرع ولا ضرع، وكانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين، والناس يُتَخَطَّفون من حولهم، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله، فلا يتعرض الناس لهم[١]

وأخبر الله عن ذلك بقوله:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ * ٱلَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ ﴾

و سيأتي في بحث شظف العيش في الجـاهلية ان هاشما هو الذي سن لقريش الرحلتين للتجارة مع بيان سبب قيامه بذلك إن شاء الله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي ط. بيروت سنة ١٣٨٧هـ افست على الطبعة المصرية الثالثة ٢٠/٢٠٤.

شرح الفاظ الخبر: الاجارة: الاغاثة والحماية والخفارة: الامان والحمولة: الابل التي تحمل.

ج و د ـ الضرع و الزرع:

ولا حاجة لاطالة الكلام في بيانهما.

هـ ـ الربا

١ ـ في سورة البقرة:

﴿ قَالُوا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَا وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّهِ فَٱنْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوا ٱلزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

٢ ـ في سورة آل عمران:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الآيات/ ١٣٠ ـ ١٣٢)

تفسير الكلمات:

١ ـ الربا:

ربا الشيء يربو رباء وربوءاً زاد ونما والربا: الزيادة على رأس المال، والربا المنهي عنه في الاسلام نوعان:

أ ـ أن يدفع انسان لآخر مبلغاً من الذهب أو الفضة إلى أجل معين على أن يأخذ في الاجل زيادة على رأس ماله.

ب ـ أن يدفع جنساً ويأخذ نفس الجنس مع زيادة في الوزن مثل أن يبيع اناء مصنوعاً من ذهب وزنه خمسون مثقالا ويأخذ بدله خمساً وخمسين مثقالاً من الذهب النقد غير المصنوع.

٢ ـ يمحق:

محق الشيء: نقصه، محق الله المال أذهب بركته.

٣ ـ فاذنوا:

فاسمعوا باعلان حرب من الله.

٤ ـ النظرة:

الامهال والتأخير.

٥ ـ ذو عسرة:

ضيق ذات اليد و العجز عن الوفاء بالدين.

خبر الربا في العصر الجاهلي:

كان الربا في الجاهلية من مصادر الثراء لأهل مكة و الطائف و اليهود في المدينة وحواليها.

وذكر المفسرون مثل السيوطي في تفسير ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا ﴾ أنواعاً من الربا في الجاهلية منها:

أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل فإذا حلّ الأجل قال: أتقضي أم تربي؟ فإن قضاه أخذ وإلّا زاده في حقه وزاده الآخر في الأجل.

وكان العباس عمّ النبي ورجل من بني المغيرة شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، وقال رسول الله (ص) في خطبته في حجة الوداع: ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع ﴿ فَلَكُمْ

رُؤوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ و أول ربا موضوع ربا العباس[٢].

و ـ الاكتساب ببغي الجواري

قال ابن حبيب في المحبر:

ومن سننهم انهم كانـوا يكسبـون بفروج امائهم و كان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب، فيأتيها الناس فيفجرون بها، فأذهب الاسلام ذلك وأسقطه[٣].

روى الطبري والسيوطي في تفسير ﴿ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَىٰ ٱلْبِغَاءِ ﴾ واللفظ للأول: انهم كانوا في الجاهلية يأمرون إماءهم و ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن[٤].

وفي العقد الفريد:

وكان لبعضهن رايات على أبواب بيوتهن[٥].

ومن جملتهن سمية جارية الحارث بن كلدة امرأة عَبدِه عبيد وأم زياد بن أبيـه.

و قد ذكرنا خبرها مع أبي سفيان واستلحاق معاوية اياه بنسبه في بحث استلحاق نسب زياد في المجلد الأول من كتاب عبد الله بن سبأ.

و كان في المـدينة جاريتان لعبد الله بن أبيّ يكتسب من أجر بغائهما، إحداهما معاذة وأرادها على نفسها قرشي من أسرى بدر وكانت قد أسلمت فأبت ذلك لإسلامها وكان أبيّ يضربها ليكرهها على ذلك رجاء أن تحمل للقرشي

---

(٢) تفسير السيوطي ١/ ٣٦٦ ـ ٣٧٧.

(٣) المحبر لابن حبيب ص ٣٤.

(٤) الطبري ١٨/ ١٠٣، و الدر المنثور ٤٧/٥ .

(٥) راجع العقد الفريد ط. القاهرة سنة ١٣٧٥هـ ٤/٥.

فيطلب فداء ولده، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦] (النور/٣٣).

* * *

شظف العيش في الجاهلية:

إنّ الكثرة الكاثرة من العرب في الجاهلية كانوا يعيشون في فقر مدقع، يأكلون القد والعلهز والفصيد والهبيد من فرط الجوع، ويشربون الطرق وأحياناً الفظ من العطش.

قالت فاطمة ابنة رسول الله (ص) في خطبتها للمهاجرين والأنصار: «وكنتم.. تشربون الطرق وتقتاتون القد»[٧]

أ و ب ـ القد والطرق:

قال ابن الأثير: الطرق: الماء الذي خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت.

وقال في مادة القدّ:

ومنه حديث عمر: كانوا يأكلون القدّ يريد جلد السخلة في الجدب.

قال المؤلف: يقصد الجلد غير المدبوغ.

ج ـ العلهز:

قال ابن الأثير وابن منظور في مادة العلهز:

في دعائه(ع) على مضر: «اللهم اجعل عليهم سنين كسني يوسف».

فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز، هو شيء يتخذونه في سنين المجاعة

---

(٦) تفسير الآية بتفسير الطبري ط. بيروت سنة ١٣٩٢هـ ١٨/١٠٣ ـ ١٠٤، والدر المنثور ٥/٤٦ ـ ٤٧.

(٧) شرح النهج ١٦/٢٥٠.

يخلطون الدم بأوبار الابل ثم يشوونه بالنار و يأكلونه.

و قيل: كانوا يخلطون فيه القردان ويقال للقراد الضخم العلهز، و منه حديث عكرمة كان طعام أهل الجاهلية العِلْهِز.

د ـ الهبيد

قال ابن الأثير و ابن منظور ما موجزه:

الهبيد: الحنظل يكسر و يستخرج حبّه و ينقع لتذهب مرارته و يتّخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة و في حديث عمر و أمّه فزودتنا من الهبيد.

هـ ـ الفصيد و البجة:

قال ابن الأثير و ابن منظور في مادة الفصيد ما موجزه:

و كانـوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدمّ منه فيشرب، يفعلونه أيام الجوع. كما كانوا يأخذون ذلك الدمّ ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدّة الزمان، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم مايَقْرِيه، و يشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها.

و (الفصيد) دم كان يوضـع في الجاهلية في معى من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة.

و قال ابن الأثير ـ أيضاً ـ في تفسيرها:

و في حديث أبي رجاء لما بلغنا أنّ النبيّ (ص) قد أخذ في القتل هربنا فأستثرنا شلو ارنب دفيناً وفصدنا عليها فلا أنسى تلك الاكلة أي فصدنا على شلو الارنب بعيراً وأسلنا عليه دمه وطبخناه وأكلناه.

و قالا في مادة البجّة ماموجزه:

و يقال للفصيد (البجّة) كذلك. و(البجّة) دم الفصيد، يأكلونها في الأزمة. والبـج الـطعن غير النـافذ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير ويأخذون الدم يتبلغون به في السنة المجدبة. جاء في الحديث: (إن الله قد أراحكم من الشجّة والبجّة).

و ـ الفظ:

ماء كرش البعير.

و افتظّ البعير: شقّ كرشه، واعتصر ماءه ليشربه، وكان المسافر في الصحراء يسقي الإبل، ثمّ يشدّ أفواهها، لئلا تجترّ، فإذا عطش افتظها[٨].

وفي تاريخ العرب قبل الإسلام لم يكن في وسع كثير من الجاهليين الحصول على اللحم لفقرهم. فكانوا يأتدمون (الصليب) وهوالودك ـ ودك العظام ـ يجمعون العظام ويكسرونها ويطبخونها، ثم يجمعون الودك الذي يخرج منها ليأتدموا به.

وقد عرفوا بـ (أصحاب الصلب).

ولما قدم الرسول مكّة (أتاه أصحاب الصلب الذين يجمعون العظام إذا لحب عنها لحمانها فيطبخونها بالماء ويستخرجون ودكها ويأتدمون به).

ولم يكن في استطاعة الفقراء أكل الخبز لغلائه بالنسبة لهم. لذلك عدّ أكله من علائم الغنى والمال، وكان الذي يطعم الخبز والتمر يعد من السادة الكرام. وكان أحدهم يفتخر بقوله (خبزت القوم وتمرتهم)، بمعنى أطعمتهم الخبز والتمر.

وقد افتخر (بنو العنبر) بسيدهم (عبد الله بن حبيب العنبري)، لأنّه كان لا يأكل التمر ولا يرغب في اللبن، بل كان يأكل الخبز، فكانوا إذا افتخروا، قالوا: منّا آكل الخبز.

وكانوا يقولون (أقرى من آكل الخبز) لأنه كان جواداً.

وكان منهم من رضي وقنع بالدون من المعيشة، فعاش في فقر مدقع،

---

(٨) أخذنا موجز ماقاله ابن الأثير في نهاية اللغة وابن منظور في لسان العرب بترجمة القد والعلهز والهبيد والفصيد والبجّة والفظّ وأوردناه سياقاً واحداً وأخذنا ترجمة الفظّ من مادته في المعجم الوسيط.

والدقع الرضا بالدون من المعيشة وسوء احتمال الفقر واللصوق بالأرض من الفقر والجوع، فهم ينامون على التراب ويلتحفون السماء، والدوقعة الفقر والذل، وجوع أدقع وديقوع شديد، وهم مثل (بنو غَبْراء) في الفقر والحاجة، أولئك الذين توسدوا الغبراء واتخذوا التربة فراشاً لهم، لعدم وجود ملجأ لهم يأوون إليه، ولا مكان يحتمون به[٩].

* * *

كانت تلكم بعض انواع طعامهم في ايام المخمصة واحياناً كانوا لا يجدون مايقتاتون به، فيؤدي ذلك بهم الى الانتحار الذي كانوا يسمونه الاعتفاد كالآتي بيانه:

وكان بين الجاهليين فقراء معدمون مدقعون لم يملكوا من حطام هذه الدنيا شيئاً، وكانت حالتهم مزرية مؤلمة، منهم من سأل الموسرين نوال إحسانهم، ومنهم من تحامل على نفسه تكرماً وتعففاً، فلم يسأل غباً ولم يطلب من الموسرين حاجة، محافظة على كرامته وعلى ماء وجهه، مفضلاً الجوع على الشبع بالاستجداء، حتى ذكر ان منهم من كان يختار الموت على الدنية، والدنية هي أن يذهب الى رجل، فيتوسل إليه بأن يجود عليه بمعروف، ومنهم من اعتفد، والاعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً، وكانوا يفعلون ذلك في الجدب، قيل: كانوا إذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً[١٠].

روى السيوطي بتفسيره سورة قريش عن عمر بن عبد العزيز انه قال: كانت قريش في الجاهلية تعتفد وكان اعتفادها: أنّ أهل البيت منهم كانوا إذا

---

(٩) تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد علي ٨٠/٥ ـ ٨١ ط. دار العلم في بيروت سنة ١٩٧٠م.

(١٠) مادة عفد من تاج العروس وتاريخ العرب قبل الاسلام ٨٠/٥.

سافت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلى برار من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية ثمّ تناوبوا فيها حتّى يموتوا من قبل أن يُعلَم بخلتهم حتى نشأ هاشم ابن عبد مناف، فلما نبل وعظم قدره في قومه قال يامعشر قريش إنّ العزّ مع الكثرة، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالاً وأعزّهم نفراً، وإنّ هذا الاعتفاد قد أتى على كثير منكم، وقد رأيت رأيا.

قالوا: رأيك راشد فمرنا نأتمر قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمد إلى رجل غني، فأضم إليه فقيراً عياله بعدد عياله فيكون يوازره في الرحلتين رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله وكان ذلك قطعاً للاعتفاد(١١).

قالوا نعم مارأيت فألف بين الناس(١٢).

وتفصيل الخبر بتفسير السورة عند القرطبي وبعضه بمادة (عفد) من لسان العرب وأكثر لفظ الخبر من القرطبي عن ابن عباس انه قال:

إن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة(١٣) جرى هو وعياله إلى موضع معروف، فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا، حتى كان عمرو بن عبد مناف، وكان سيداً في زمانه، وله ابن يقال له: أسد، وكان له تِرْب(١٤) من بني مخزوم، يحبه ويلعب معه، فقال له: نحن غدا نعتفد وتأويله: ذهابهم إلى ذلك الخباء، وموتهم واحداً بعد واحد.

قال: فدخل أسد على أمّه يبكي، وذكر ما قاله تِربه.

قال: فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشحم ودقيق، فعاشوا به أياما، ثم إن تربه أتاه أيضاً فقال: نحن غدا نعتفد، فدخل أسد على أبيه يبكي، وخبره خبر

---

(١١) في الاصل نحتفد والاحتفاد تحريف.

(١٢) تفسير السيوطي ٣٩٧/٦.

(١٣) المخمصة: المجاعة.

(١٤) الترب (بالكسر): اللدة ومساويك في السن ومن ولد معك.

تربـه، فاشتدّ ذلك على عمرو بن عبد مناف، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره، فقال: إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتكثر العرب، وتذلون وتعزّ العرب، وأنتم أهل حرم الله ـ جل وعز ـ وأشرف ولد آدم، والناس لكم تبع، ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم.

فقالوا: نحن لك تبع.

قال: ابتـدؤا بهذا الرجل ـ يعني أبا تِرب أسد ـ فأغنوه عن الاعتفاد ففعلوا، ثم إنّـه نحـر البدن، وذبح الكِباش والمعز، ثم هشم الثريد، وأطعم الناس، فسمّى هاشماً، وفيه قال الشاعر:

عمـرو العـلا هشم الثـريد لقومه ورجـال مكـة مُسنِتون[١٥] عجاف

ثم جمع كل بني أب على رحلتين: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشـام للتجـارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير، حتّى صار فقيرهم كغنيهم؛ فجاء الإسلام وهم على هذا، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعزّ من قريش، وهو قول شاعرهم:

والخـالـطون فقـيرهـم بغـنيهم حتّى يصـير فقـيرهم كالكـافي

فلم يزالوا كذلك، حتّى بعث الله رسوله محمداً(ص)، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ﴾ بصنيع هاشم ﴿وَآمَنَهُم مِّن خَوْفٍ﴾ أن تكثر العرب ويقلوا[١٦].

ومع ذلك ـ أيضاً ـ لم يكن كلّ أفراد قريش أثرياء مرفهين، بل كانت الكثرة الكاثرة منهم يتحملون السغب والجوع، ومن ثمّ كانت كثرة العيال لهم محنة يتعسر عليهم تحمّلها.

ونذكر مثالين من سيرة الرسول كدليل على الوضع الاقتصادي لدى

---

(١٥) مسنتون: أي أصابتهم السنة. والسنة: الجدب والقحط.

(١٦) تفسير القرطبي ٢٠/٢٠٤ ـ ٢٠٥.

سروات مكة:

أ ـ روى ابن اسحاق و قال:

إن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير؛ فقال رسولُ الله (ص) للعبّاس عـمّه، وكان من أيْسر بني هاشم: يا عبّاس، إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب الناسَ ماترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فَلْنخفف عنه من عياله، آخذُ من بَنيه رجلًا وتأخذ أنت رجلًا فنكلهما عنه؛ فقال العبّاس: نعم.

فانـطلقـا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك مِنْ عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلًا وطالباً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسولُ الله (ص) علياً فضـمّه إليه، وأخذ العباسُ جعفراً فضمه إليه؛ فلم يزل عليٌ مع رسولِ الله (ص) حتّى بعثه الله ـ تبارك و تعالى ـ نبيّاً، فاتّبعه عليٌ ـ رضي الله عنه ـ و آمن به و صدّقه؛ و لـم يزل جعفرٌ عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١٧].

كانت إعالة الذكور من الأولاد مشكلة لغير ذوي اليسار في سنة الجدب و القحط.

أمّا إعالة البنات، فقد كانت مشكلة في العصر الجاهلي تعمّ الفقير منهم وذوي اليسار في سني الجدب و الرخاء كما نرى ذلك في الخبر الآتي:

ب ـ روى ابن اسحاق ـ أيضاً ـ وقال:

كان رسول الله (ص) قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية أو أمَّ كلثوم، فلما بادى قريشـاً بأمر الله ـ تعالى ـ و بالعداوة، قالوا: إنّكم قد فرغتم محمداً من هـمّه، فَرُدّوا عليه بناته، فاْشغلوه بهنّ. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق

---

(١٧) ابن هشام ٢٦٣/١.

صاحبتك ونحن نزوّجك أي امرأة من قريش شئت؛ قال: ها لله(*)، إني لا أفارق صاحبتي، و ما أحبّ أن لي بامرأتي امرأةً من قريش.

و كان رسول الله (ص) يثني عليه في صهره خيراً، فيما بلغني.

ثمّ مشوا إلى عتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت.

فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، او بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص ، و فارقها، ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهواناً له، وخلف عليها عثمان بن عفّان بعده[١٨].

إنّ قريشا لما أرادت أن تكيد برسول الله كيداً يقعده عن دعوته للتوحيد عمدت الى إرجاع بناته الى بيته ليشغلوه بهنّ عن مقارعتهم ومقابلتهم.

و ذلك لان المرأة لم تكن تشترك يومذاك في الغزو ولا في سفر التجارة و غيرهما من الأعمال الجالبة للثروة، و من ثم كانت أبداً و دائماً عالة على الرجل و كان ذلك أهم سبب لوأد البنات في الجاهلية، كما نشير إلى بعض أخبارها في ما يأتي بحوله تعالى.

وأد البنات:[١٩]

كانت العرب تئد البنات بسبب الفقر و حمية الجاهلية، أمّا الفقر، فقد أخبر الله عنه وقال سبحانه في سورة الاسراء:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الآية/ ٣١)

(*) هكذا النص و نراه من خطأ النساخ و الصواب: لاها الله.

(١٨) ابن هشام ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧؛ و ط. مصر سنة ١٣٥٦،٢/٢٩٦.

(١٩) وان وأد البنات يعدّ ـ أيضاً ـ من النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي.

و قال تعالى﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾(التكوير/٨ ـ ٩)

قال القرطبي: الموءودة المقتولة؛ وهي الجارية تدفن وهي حيّة، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤودها أي يثقلها حتى تموت.

وروى عن ابن عباس أنّه قال:

كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته، ومنه قول الراجز:

سَميتهـا إذ وُلِـدتْ تموتُ — والقبرُ صِهر ضامِنٌ زِمِّيتُ[٢٠]

الزِّميت الوقور.

وفي تفسير الطبري ما موجزه: كان الرجل من ربيعة أو مضر يشترط على آمرأته، أن تستحي جارية و تئد أخرى، فإذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند آمرأته، و قال لها: أنت عليَّ كظهر أمّي إن رجعت إليكِ ولم تئديها، فتخدّ لـها في الأرض خدّاً و ترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتّى إذا أبصرته راجعاً دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب[٢١].

قال المؤلف: و نظير هذا اسقاط الجنين المتداول في عصرنا.

وفي تفسير القرطبي و الطبري عن قتادة، قال: كانت الجاهلية يقتل أحـدهم ابنتـه، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، و توعدهم بقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[٢٢].

قال المؤلف:

---

(٢٠) تفسير القرطبي ٢٣٧/١٩ ـ ٢٣٣.

(٢١) تفسير الطبري ٣٨/٨، (بولاق) في تفسير (قد خسر الذين).

(٢٢) مانقلناه عن القرطبي الى هنا ففي تفسيره الجامع ٢٣٢/١٩ ـ ٢٣٣ والخبر الأخير رواه الطبري ـ أيضاً ـ في تفسيره ٤٦/٣٠.

إنّما كانوا يغذون كلبهم، لأنّه كان ينفعهم في حراسة بيتهم و ماشيتهم بينما لم تكن البنت تجلب لاولئك الوائدين نفعاً.

* * *

كانت تلكم أمثلة من الوأد خشية الإملاق، أما الوأد بسبب الحمية حمّية الجاهلية فكالآتية أخبارها:

الوأد بداعي الحمية الجاهلية

ذكر أهل الأخبار أنّ بعض السبايا من نساء أشراف القبائل اخترن البقاء عند من سباهنّ و أبين الرجوع إلى عشائرهن عند المصالحة فأثار ذلك عندهم حمّية الجاهليّة و وأدوا بناتهم كما روى أبو الفرج في الأغاني في خبر قيس بن عاصم التميمي السعدي و قال:

أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبىٰ منهم نساء واستاق أموالاً. وكان في النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم، فرحل قيسٌ إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها، فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوأد كل بنت، وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كل سيّد يولد له بنتٌ يئدُها خوفاً من الفضيحة.

وقال:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله (ص) فسأل بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته؛ فأخبر أنّه ماولدت له بنتٌ قطُّ إلّا وأدها. ثم أقبل على رسول الله (ص) يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنتٌ قطُّ إلّا وأدتها، ومارحمت منهن

موءودة قطُّ إلاّ بنية لي ولدتها أمّها وأنا في سفر فدفعتها أمّها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً.

و مضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية و يفعت فزارت أمّها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها و جعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً، و ألبستها قلادة جزع، و جعلت في عنقها مخنقة بلح: فقلت: من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها و كيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتـك أنّي ولـدت ولـدا ميتاً، و جعلتها عند أخوالها حتّى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتّى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها و هي تقول: ياأبت ماتصنع بي؟! و جعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: ياأبت أمغـطيَّ أنت بالتراب؟! أتاركي أنت وحدي و منصرف عني؟! وجعلت أقـذف عليها التراب ذلك حتّى واريتها و انقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريته غيرها. فدمعت عينا النبي (ص) ثم قال: «إنّ هذه لقسوةٌ، وإنّ مَن لا يرحم لا يُرحم»(٢٣).

وقال القرطبي:

انّ قيس بن عاصم سأل النبي (ص) وقال: يارسول الله! إنّي وأدت ثماني بنات كنّ لي في الجاهلية.

قال: «فأعتق عن كلّ واحدة منهم رقبة».

قال: يارسول الله إنّي صاحب إبل.

قال: «فأهدِ عن كلّ واحدة منهن بدنة إن شئت»(٢٤).

---

(٢٣) الأغاني ط. ساسي ٢/١٤٤ و ط. بيروت ١٤/٦٦. والخلوق: ضرب من الطيب، والودع: خرز بيض أجوف في بطونها شقّ كشقّ النواة تتفاوت في الصغر والكبر والواحدة: ودعة والجزع: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض والمِخْنَقة: القلادة وكيسها: عقلها.

(٢٤) القرطبي، التفسير الجامع، ١٩/٢٣٣

و (ثماني) في النص كذا: ثمان .

وقال (القرطبي): «إنّه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر الله ـ عزّ وجل ـ وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجّة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحـميّة.

وروي أنّ رجلًا من أصحاب النبيّ (ص) وكان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله (ص)، فقال له رسول الله (ص): مالك تكون محزوناً؟

فقال: يارسول الله، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألاّ يغفره الله لي وإن أسلمت.

فقال له: أخبرني عن ذنبك.

فقال: يارسول الله، إنّي كنت من الّذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت، فتشفعت إلّي امرأتي أن أتركها، فتركتها حتّى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحـميّة، ولـم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زواج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقـربائي، فابعثيها معي، فسُرّت بذلك، وزيّنتها بالثياب والحلي، وأخذت علي المواثيق بألّا أخونها.

فذهبت الى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمتني، وجعلت تبكي، وتقول: ياأبت ايش تريد أن تفعل بي؟

فرحمتها، ثم نظرت في البئر، فدخلت علي الحـميّة، ثم التزمتني وجعلت تقول: ياابت لا تضيع أمانة أمّي!

فجعلت مرّة أنـظر في البئـر ومرّة أنـظر إليهـا فأرحمهـا حتّى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: ياأبِت، قتلتني.

فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت.

فبكى رسول الله (ص) وأصحابه، وقال: «لو أمرت أن أعاقب أحداً بما

فعل في الجاهلية لعاقبتك»[٢٥].

وفي شأن هؤلاء أنزل الله تعالى في سورة النحل/ ٥٨ :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

ولـمّا كانوا يعتقدون بأن الله اصطفىٰ من الملائكة بنات له كما سيأتي ذكره بحوله تعالى في بحث أديان العرب قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (الزخرف/١٧).

قال ابن الاثير في ترجمة صعصعة من أسد الغابة ماموجزه:

صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق همام بن غالب الشاعر، وكان من أشراف بني تميم، وكان في الجاهليّة يفتدي المؤودات وقد مدحه الفرزدق بذلك في قوله:

وجدّي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

قال قدمت على النبي (ص) فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت وعلمني آياً من القرآن فقلت: يارسول الله أنّي عملت أعمالاً في الجاهليّة فهل لي فيها من أجر. قال: وما عملت، قلت: ضلّت ناقتان لي عشراوان، فخرجت أبغيهما على جمل لي، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخا كبيراً فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأة قد ولدت قال وما ولدت. قالت جارية قال فادفنيها فقلت أنا أشتري منك روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتيّ وولديهما والبعير الّذي تحتي وظهر الإسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موؤدة أشتري كلّ واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل. فهل لي من

---

(٢٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/ ٩٣؛ والقرطبي، تفسير سورة الأنعام الآية ١٤٠، ٧/ ٩٦ ـ ٩٧.

أجر ؟ فقال رسول الله (ص) هذا باب من البرّ لك أجره إذ من الله عليك بالإسلام(٢٦).

(٢٦) اسد الغابة ٣/ ٢٢ ـ٢٣.

ثالثاً ـ النظم الاجتماعية:

بدأنا بذكر النظم القبلية والوضع الاقتصادي ومايتصل بهما من شؤون العرب في العصر الجاهلي. وفي مايأتي نذكر بعض مظاهر النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي بإذنه تعالى.

ونبدأ بذكر حمية الجاهليّة وحكمها.

أ ـ حميّة الجاهلية وحكمها

قال الله ـ سبحانه ـ :

١ ـ في سورة المائدة:

﴿... بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الآيات/٤٩ ـ ٥٠)

٢ ـ في سورة الفتح:

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الآية/٢٦)

وفي سورة المائدة:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَان

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الآيات/ ٨٩ ـ ٩٠)

هذا ما أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن حمية الجاهلية، وفي مايأتي نذكر بإذنه تعالى تفصيل النظم الاجتماعية في العصر الجاهلي.

ب ـ حكّام العرب:

قال اليعقوبي:

وكان للعرب حكام ترجع إليها في أمورها، وتتحاكم في منافراتها، ومواريثها، ومياهها، ودمائها، لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكّمون أهل الشرف، والصدق والأمانة، والرئاسة، والسنّ، والمجد، والتجربة.

ثم ذكر أسماء ثلاثة وعشرين منهم من ضمنهم خمسة كانوا من قريش مثل عبد المطلب[١].

ج ـ شعراء العرب و أثر الشعر في الانسان العربي:

قال اليعقوبي وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعاني، المخير الكلام، أحضروه في أسواقهم التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت، حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر، فتسمع شعره، ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم، وشرفاً من شرفهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٥٨.

ولـم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر، فبه كانوا يختصمون، وبه يتمثلون، وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويعابون.

فكان ممن قدم شعره في جاهلية العرب على ما اجتمعت عليه الرواة وأهل العلم بالشعر، وجاءت به الآثار والأخبار من شعراء العرب في جاهليتها مع من أدركه الاسلام، فسـمّي مخضرماً، فإنهم دخلوا مع من تقدم، فسموا الفحول، وقدّموا على تقدّم أشعارهم في الجودة، فإن كان بعضهم أقدم من بعض وهم على مابينا من أسمائهم ومراتبهم على الولاء، فأوّلهم امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار بن معاوية بن ثور، وهو كندة.

ثم ذكر أسماء ثمانية وثمانين شاعراً بأنسابهم[٢].

وفي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام[٣].

ورووا ان المحلق كان ممن رفعه الشعر بعد الخمول، وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به، وكانت للمحلق امرأة عاقلة، وقيل بل أم، وكان المحلق فقيراً خامل الذكر، ذا بنات، فأشارت عليه، أن يكون أسبق الناس اليه في دعوته الى الضيافة، ليمدحهم، ففعل. فلما أكل الأعشى وشرب، وأخذت منه الكأس، عرف منه أنه فقير الحال، وأنه ذا عيال، فلما ذهب الأعشى الى عكاظ أنشد قصيدته:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق　　　وما بي من سقم وما بي معشق

ثم مدح المحلق، فما أتّم القصيدة إلا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى.

---

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٦٢/١ ـ ٢٦٩.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠٩/٩ ـ ١١٣.

ويذكر الرواة أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به، وفرحت بنبوغه، و أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، و تباشروا به لأنه حماية لهم، ولسانهم الذاب عنهم المدافع عن أعراضهم وأحسابهم وشرفهم بين الناس. و كانوا لا يهنأون إلا بغلام يولد أو فرس تُنتج أو شاعر ينبغ فيهم(٤).

فالشاعر هو صحيفة القبيلة و(محطة إذاعتها)، وصوته، يحط ويرفع ويخلد، لا سيما إذا كان مؤثراً، فيرويه الناس جيلاً بعد جيل.

وكان أثره في الناس أثر السيف في الحروب، بل استعمله المحاربون أول سلاح في المعارك. فيبدأ الفارس بالرجز، ثم يعمد الى السيف أو الرمح أو آلات القتال الأخرى. ولأثره هذا، جاء في الحديث عن الرسول قوله: «والذي نفسي بيده، لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر»(٥) مخاطباً بذلك شعراء المسلمين، الذين حاربوا الوثنيين بهذا السلاح الفتاك، سلاح الشعر.

و قد كان الوثنيون قد أشهروه أيضاً و حاربوا به المسلمين.

و طالما قام الشعراء بالسفارة و الوساطة في النزاع الذي كان يقع بين الملوك و القبائل، أو بين القبائل أنفسها، فلما أسر (الحارث بن أبي شمر) الغساني (شأس بن عبدة) في تسعين رجلاً من (بني تميم)، وبلغ ذلك أخاه (علقمة ابن عبدة)، قصد (الحارث) فمدحه بقصيدته:

طحا بك قلبٌ بالحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب

فلما بلغ طلبه بالعفو عن أخيه وعن بقية المأسورين، قال الحارث: نعم وأذنبه، وأطلق له شأساً أخاه، وجماعة أسرى بني تميم، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم(٦).

---

(٤) بلوغ الارب ٨٤/٣، العمدة، ٤٩/١، ٦٥، المزهر ٢٣٦/٣، العقد الفريد ٩٣/٣.

(٥) الأغاني ٢٦/١٥ و ط. بيروت ١٦٥/١٦.

(٦) العمدة ٥٧/١، (أسر الحارث بن أبي شمر الغساني مع سبعين رجلا من بني تميم)، ←

ولـم يقلّ أثر الشاعر في السلم و في الحرب عن أثر الفارس، الشاعر يدافع عن قومه بلسانه، يهاجم خصومهم، و يهجو سادتهم، و يحث المحاربين على الاستماتة في القتال، ويبعث فيهم الشهامة و النخوة للإقدام على الموت حتى النصر. و الفارس يدافع عن قومه بسيفه، و كلاهما ذاب عنهم محارب في النتيجة. بل قد يقدم الشاعر على الفارس، لما يتركه الشعر من أثر دائم في نفوس العرب، يبقى محفوظاً في الذاكرة وفي اللسان، يرويه الخلف عن السلف، بينما يذهب أثر السيف، بذهاب فعله في المعركة، فلا يترك مايتركه شعر المديح أو الهجاء من أثر في النفوس، يهيجها حين يذكر، وكان من أثره ان القبائل كانت إذا تحاربت جاءت بشعرائها، لتستعين بهم في القتال. فلما كان يوم (أُحد)، قال (صفوان بن أمية) لأبي عزة عمرو بن عبدالله الجمحي: «يا أبا عزة انك امرؤ شاعر فأعنّا بلسانك، فاخرج معنا. فقال: إن محمداً قد منّ عليّ ولا أريد أن أظاهر عليه.

قال: فاعنا بنفسك، فلك الله علي إن رجعت أن أغنيك، و إن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر و يسر، فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة» شعراً الى السير مع قريش لمحاربة المسلمين(٧).

وكان للرسـول(ص) شاعـره (حسان بن ثابت) يدافع عن الإسلام و المسلمين، و كان للمشركين من أهل مكة شاعرهم (عبد الله بن الزبعري) يرد عليه، و يهاجم المسلمين في السلم وفي المعارك.

و قد دونّت كتب السير و الأخبار و التواريخ أشعارهم و ما قاله أحدهم في الآخر، و قد فات منه شيء كثير، نص رواة الشعر على أنهم تركوه لما كان فيه من سوء أدب و خروج على المروءة.

وكان الى جانب الشاعرين شعراء آخرون، منهم من ناصر المسلمين،

←

الشعر والشعراء (١٤٧/١ ومابعدها).

(٧) الروض الانف (١٢٦/٢ ومابعدها)، (غزوة أحد).

لأنه كان منهم، ومنهم من ناصر المشركين لأنه كان منهم. بل كان المحاربون إذا حاربوا، فلابد وأن يبدأوا حربهم بتنشيطها وبتصعيد نارها برجز أو بقريض.

ومن خوفهم من لسان الشاعر ما روي من فزع أبي سفيان، لما سُمع من عزم (الأعشى) على الذهاب الى يثرب ومن اعداده شعراً في مدح الرسول، ومن رغبته في الدخول في الإسلام. فجمع قومه عندئذ، وتكلم فيما سيتركه شعر هذا الشاعر من أثر في الاسلام وفي قريش خاصة إن هو أسلم، ولهذا نصحهم أن يتعاونوا معه في شراء لسانه وفي منعه من الدخول في الإسلام بإعطائه مائة ناقة فوافقوا على رأيه، وجمعوا له ما طلبه، وتمكن أبو سفيان من التأثير فيه، فعاد الى بلده (منفوحة) ومات بها دون أن يسلم[٨].

قال (الجاحظ) يبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويسبّ به الأحياء والأموات، انهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقّاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب[٩]. و(عبد يغوث بن وقاص) شاعر قحطاني، كان شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيد قومه من بني الحارث بن كعب، وهو الذي قادهم يوم الكلاب الثاني، فأسرته بنو تيم وقتلته، وهو من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والاسلام، منهم اللجلاج الحارثي، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث، وأخوه (مسهر) فارس شاعر، ومنهم من أدرك الاسلام: جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث، وكان شاعراً صعلوكاً[١٠].

وفي جمهرة أنساب العرب:

---

(٨) الشعر والشعراء (١٣٦ ومابعدها)، زيدان، آداب ١/ ١١٩.

(٩) البيان والتبيين ٢/ ٢٦٨.

(١٠) الخزانة ١/ ٣١٧ (بولاق) وط. القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ٢/٢٠٢ـ ٢٠٣.

(وهؤلاء بنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة ولدُ قُرَيْع بن عوف: جعفر، وهو أَنْف الناقة: لُقِّب بذلك لأنَّ أباه نحر ناقةً، فقسمها في نسائه، وأعطى ابنه جعفراً رأسَ الناقة، فأخذ بأنْفها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: «أَنْف الناقة!»».

فلُقِّب بذلك. فكان ولده يغضبون منه، إلى أن قال الحطيئة مادحاً لهم:

قَوْمٌ هُمُ الأنْـفُ والأذْنـابُ غَيْرُهُـم
وَمَنْ يُسـاوِي بأنْفِ النَّـاقةِ الذَّنَبَا

فصار ذلك مدحاً لهم، يفتخرون به)[11].

وفي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩/ ١١٣:

ولما مدح الحطيئة (بغيض بن عامر بن لاي بن شماس بن لاي بن أنف الناقة)، واسمه (جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم)، وهجا (الزبرقان)، واسمه (الحصين بن بدر بن امرىء القيس بن خلف ابن عوف بن كعب)، صاروا يفخرون ويتباهون بأن يقال لهم (أنف الناقة)، وكانوا يعيرون به ويغضبون منه ويفرقون من هذا الاسم، حتى أنّ الرجل منهم كان يسأل ممن هو فيقول من (بني قريع) فيتجاوز جعفراً أنف الناقة، ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب، الى أن قال (الحطيئة) هذا الشعر فصاروا يتطاولون بهذا النسب، ويمدون به أصواتهم في جهارة، إذ قال:

قوم هم الأنف والأذنـاب غيرهم
ومن يُسـوّي بأنف الناقة الذنبا[12]

وقد تعزز الأعشى على قومه، وبين مكان فضله عليهم، إذْ كان لسانهم الذاب

---

(١١) جمهرة الانساب لابن حزم ص ٢٠٩.

(١٢) وفي البيان والتبيين ٤/ ٣٨، (هارون، الاشتقاق ص ١٥٦ وط. مصر ١٣٧٨هـ ص ٢٥٥، زهر الاداب ١/١٩، الخزانة ١/٥٦٧، العمدة ١/٥٠).

عنهم المدافع عن أعراضهم، الهاجي لأعدائهم بشعر هو كالمقراض يقرض أعداء قومه قرضاً.

· أدفـع عن أعـراضكـم وأعـيركـم
لساناً كمقـراض الخفاجـي ملحبـا[١٣]

وذكر أن بني تغلب كانوا يعظمون معلقة عمرو بن كلثوم ويروونها صغاراً وكباراً، حتى هجاهم شاعر من شعراء خصومهم ومنافسيهم بكر بن وائل، إذ قال:

الهــي بني تغــلب عن كلّ مكــرمــة
قصيدة قالهــا عمــرو بن كلثـوم
يروونها أبــداً مُذْ كان أولهــم
يا للرجــال لشعرٍ غير مسئومِ[١٤]

ولسلاطة ألسنة بعض الشعراء، ولعدم تورع بعضهم من شتم الناس ومن هتك الأعراض، ومن التكلم عنهم بالباطل، تجنب الناس قدر امكانهم الاحتكـاك بهم، وملاحاتهم والتحرش في أمورهم، خوفـاً من كلمة فاحشة قد تصدر عنهم، تجرح الشخص الشريف فتدميه، و«جُرْح اللسان كجرح اليد»، كما عبر عن ذلك امرؤ القيس أحسن تعبير[١٥].

ولأمر ما قال طرفة:

رأيت القــوافي تتلجن موالجـاً تَضَـايَقُ عنهـا أن تَوَلجها الإبر

وفي هذا المعنى دوّن (الجاحظ) هذه الأبيات:

وللشعـراء ألسـنـةٌ حـدادٌ على الـعـوراتِ مـوفـية دلـيله

---

(١٣) ديوان الاعشى ص ١١٧، القصيدة ١٤، البيت ٣١.

(١٤) الاشتقاق ص٢٠٤، وط. مصر ١٣٧٨ هـ ص ٣٣٩، وقد روى هذا الشعر بأوجه مختلفة، البيان والتبيين ٤١/٤.

(١٥) العمدة ٧٨/١.

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم و داراهم مدارةً جميله
اذا وضعوا مكاويهم عليه - وإن كذبوا - فليس لهنّ حيله[16]

و«كان عمر بن الخطاب (رض) عالماً بالشعر، قليل التعرض لأهله: استعداه رهط تميم بن أبي مقبل على النجاشي لما هجاهم، فأسلم النظر في أمرهم الى حسان بن ثابت ، فراراً من التعرض لأحدهما، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - أبصر من عمر (رض) بوجه الحكم، وان اعتل فيه بما اعتل»[17].

د - الكهانة

كَهَنَ له يكهَنُ وكهُن يكهُنُ كهانة أخبره بالغيب والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار، ومنهم من كان يزعم ان له تابعاً من الجن يلقي إليه الخبر. وكانوا يروجون أقاويلهم باسجاع تروق السامعين يستميلون بها القلوب[18] كما اشتهر ذلك عن سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود الغساني الذي كان قبل بعثة الرسول (ص).

وروى ان ملك اليمن ذا جدن أراد أن يجرب علم سطيح لما قدم عليه، فخبأ له ديناراً تحت قدمه ثم سأله عما خبأ له.

فقال سطيح: حلفت بالبيت والحرم والحجر الأصم والليل إذا أظلم والصبح إذا تبسم وبكل فصيح وأبكم لقد خبأت لي ديناراً بين النعل والقدم.

---

(١٦) العمدة ٧٨/١.

(١٧) العمدة ٥٢/١، ٧٦، (باب تعرض الشعراء). انتهى مانقلناه من المفصّل ١٠٩/٩ - ١١٤.

(١٨) مادة كهن من المعجم الوسيط والمعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ونهاية اللغة لابن الأثير.

فقال الملك: من اين علمك هذا ياسطيح؟ قال: من قبل أخ لي جني ينزل معي فقال له الملك: أخبرني عمّا يكون في الدهور ...[١٩].

وفي سيرة ابن هشام:

قيل لسطيح: أنى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله ـ تعالى ـ منه موسى (عليه السلام). فهو يؤدي إليَّ من ذلك ما يؤديه[٢٠].

وفي صحيح مسلم بسنده عن ابن عباس ما موجزه: بينا الأنصار كانوا جالسين ليلة مع رسول الله (ص) رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله (ص) «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذ رمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم. ومات رجل عظيم. فقال رسول الله (ص): «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته. ولكن ربنا، ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به. فما جاؤا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون[٢١] فيه ويزيدون».

وفي رواية قبلها:

سأل أناس رسول الله (ص) عن الكُهان؟ فقال لهم رسول الله (ص) «ليسوا بشيء» قالوا: يارسول الله! فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً. قال رسول الله (ص): «تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني. فيقرها في أذن وليه

---

(١٩) مادة سطيح من سفينة البحار.

(٢٠) خبر سطيح بسيرة ابن هشام ١/ ١٦.

(٢١) يقرفون فيه أي يضيفون إليه الكذب.

قرّ[٢٢] الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٢٣].

وأخبر الله ـ سبحانه ـ عن جهل الجن بالغيب في ما حكى عنهم مع النبي سليمان (ع) في سورة سبأ، وقال:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (الآية/ ١٤)

التفسير: لما قضينا على سليمان بالموت ومات وكان متكأ على عصاه يراقب عمل الجن بقي كذلك متّكأ على عصاه وهو ميّت والجنّ دائبون في عملهم فأكلت الأرضة عصاه وسقط، فتبين من ذلك أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا ان سليمان المتكىء على عصاه أمامهم ميت، ولما لبثوا بعد موته في العذاب المهين لهم.

وأخبر ـ سبحانه ـ عن منشأ علمهم وانهم كانوا يرهقون من يلوذ بهم من الكهنة وانه انقطع عنهم منشأ علمهم بعد مبعث خاتم الأنبياء في قوله تعالى في سورة الجن:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * ... وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً * ... وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾ (الآيات/١ ـ ٢ و ٦ و ٨ ـ ٩)

---

(٢٢) القرّ: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه وقرُّ الدجاجة صوتها إذا قطعتها وقرّ الزجاجة صوتها إذا صبّ فيها الماء.

(٢٣) صحيح مسلم ص ١٧٥٠ ـ ١٧٥١، كتاب السلام، الحديث ١٢٣ ـ ١٢٥.

إذاً كانوا يسترقون السمع من الملائكة، و يحدثون بها من يلوذون بهم من كهنة الانس و يزيدونهم في ما يحدثونهم رهقا أي: سفهاً و كذباً و طغياناً.

و بعد مبعث خاتم الانبياء (ص) منعوا من استراق السمع برمي الشهب إليهم.

من مجموع ما تقدم يظهر أن عمل الجن مع الكهنة كان يستند:

١ ـ إلى اخبارهم الكاهن عن المخبوء عن نظر الانسي، لان الجان ليس لهم جسم يمنعهم من النفوذ إلى تحت قدم الملك و معرفة الدينار المخبوء ـ مثلا ـ.

٢ ـ إلى ما استرقوا إليه من كلام الملائكة عما بلغها من أخبار الغيوب من قبل الله سبحانه وهذا ما منعوا عنه بعد مبعث خاتم الأنبياء.

٣ ـ إلى ما يكذبون فيما يسألون عنه من أخبار الغيوب التي لم يعلموا بها، لأنهم لم يكونوا يقولون في مثل هذه الحالة: لا نعلم هذا الأمر الذي تسألونا عنه، و في هذا يزيدون الانسان رهقاً.

و الكهانة لم تقتصر على العرب الجاهليين قديماً، بل كانت ولا تزال منتشرة بين الامم الجاهلية القديمة و المعاصرة و الكهنة كانوا رجال دين الامم الجاهلية يمارسون طقوسهم الدينية.

وقد ظهر أخذ الأنس من الجن في عصرنا على شكل ما يسمى باحضار الأرواح كما يزعمون!

وقد قرأت ان بعضهم أحضر روح ابن سينا كما زعم واستفسر عنه عن عالم ما بعد الموت، فاجاب. و قرأت عن آخر أنّه زعم أكثر من ذلك. و كل هذا يندرج في باب اتصال الجن بهؤلاء ويجيبهم الجني الوسيط عما يجري في خارج المجلس و يزيدهم رهقاً حين يُطلب من الانسان الوسيط أن يحضر لهم روح انسان قد توفي ويزعم الجني الوسيط انه ذلك الروح المطلوب حضوره وقد حضر و يجيب عن أسئلتهم بكل كذب يشاؤه.

هـ ـ التفاؤل والتطير

التفاؤل:

أصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها الإنسان فيتفاءل به مثل عليل يسمع رجلا ينادي من اسمه سالم، فيتفاءل بأنه سوف يعافى من علته.

والتطير: التشاؤم

تطير من الشيء و بالشيء و اطّير أي تشاءم من الفأل الرديء و طائر الإنسان عمله، و يسمّى الشؤم طيراً و طائراً و طيرة على وزن عنبة. و كانت العرب في الجاهلية تتطير بالسوانح و البوارح، و مفردهما السانح و البارح، و هما ما مرّ من الطير و الوحش من يمينك إلى يسارك، و كانوا ينفرون الضباء و الطيور، فإن أخذت ذات اليمين، تبركوا به، و مضوا في سفرهم و حوائجهم، و إن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم و حاجتهم و تشاءموا بها، فكانت تصدّهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم[٢٤] و كان بعضهم يتيمنون بالسانح، وهو الذي جاء من يمينهم إلى يسارهم، و يتشاءمون بالبارح، و هو الذي يأتي من اليسار نحو اليمين[٢٥] و يتطيّرون من نعيق الغراب و غير ذلك.

وكان التطير قبل ذلك موجوداً في المجتمعات الجاهلية السحيقة كما أخبر الله سبحانه عنه.

١ ـ في سورة النمل عن قوم ثمود إنهم قالوا لنبيهم صالح (ع):

﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾

(الآية/٤٧)

أي أنهم قالوا لصالح: إنا تشاءمنا بك و بمن على دينك، وذلك لانّهم

(٢٤) لسان العرب ط. بيروت سنة ١٩٥٦م مادة (طير) و(برح).

(٢٥) لسان العرب مادة (سنح).

قحطوا و حبس المطر عنهم و جاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشرّ من شؤمك و شؤم أصحابك فقال لهم صالح (ع) طائركم عند الله أي الشؤم أتاكم من عند الله و أنتم تفتنون تمتحنون بذلك.

وكـذلك معنى قول آل فرعون لموسى (ع) كما أخبر سبحانه عنهم في سورة الاعراف:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الآيات/١٣٠ ـ١٣١)

معناه لما عاقبنا قوم فرعون بالقحط لعلهم يتفكرون في أمرهم و يوحدون الله، كانوا إذا جاءهم الخصب و النعمة قالوا إنا نستحقّ هذه النعمة لسعة أرزاقنا في بلادنا، و لـم يؤمنوا بأنّها من عند الله ليشكروه و يعبدوه، و إذا أصابهم حبس المـطر وهلاك الـزرع و الضرع تشاءموا بموسى و من معه و قالوا: هذا من شؤمكم، ألا و إن طائرهم و الشؤم الّذي لحقهم هو عقاب من عند الله كما وعدهم بذلك.

٢ ـ أخبر عن نظير ذلك في سورة يس و قال سبحانه:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ .... قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ...قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ... ﴾ (الآيات/١٣ ـ ١٩).

قالوا: إنا تشاءمنا بكم فقالت الرسل: طائركم معكم أي الشؤم كلّه معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى.

هكذا كان التطير من عقائد أهل الجهل في الجاهلية القديمة السحيقة و جاهلية عصر الرسول (ص) و لايزال التطير موجوداً في جاهلية عصرنا مثل تشاؤمهم برقم (١٣) و قد أبطل الله و رسوله التشاؤم و استحسن الرسول (ص) الفأل و أثبته و روي أنّه قال: «لا طيرة و خيرها الفأل»، قيل: يا رسول الله وما

الفأل قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[٢٦].

و في رواية قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم[٢٧].

و قال أبو عبد الله الصادق (ع) الطيرة على ما تجعلها إن هونتها تهونت و ان شددتها تشددت و إن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً[٢٨].

و ـ الأزلام والميسر

قال الله سبحانه:

١ ـ في سورة المائدة

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِٱلْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الآية/٣)

٢ ـ في سورة المائدة

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الآية/٩٠)

---

(٢٦) صحيح مسلم، ط. بيروت دار احياء التراث العربي افست على الطبعة المصرية ص ١٧٤٥، باب الطيرة من كتاب الفال.

(٢٧) المصدر السابق، ص ١٧٤٩.

(٢٨) سفينة البحار، مادة (طير).

تفسير الكلمات:

أ ـ الميتة:

كل ما له نفس سائلة ـ دم يجري ـ من حيوانات البر والطير مما أباح الله أكله و فارقها روحها بغير الذبح الذي شرعه الله.

ب ـ الدم:

كانوايجعلون الدم في المصارين و يشوونه و يأكلونه أو بأنواع أخرى من طبخ الدم.

ج ـ لحم الخنزير:

قال الله سبحانه (لحم الخنزير) ليبين أنه حرام بعينه لا لكونه ميتة.

د ـ ما أهل لغير الله:

كان من عادة العرب في الجاهلية أن ينادوا باسم المقصود بالذبيحة من أصنامهم عند ذبحها ويقولون: باسم اللات أو العزى أو غيرهما وهذا هو الاهلال بالذبيحة.

هـ ـ المنخنقة:

الحيوان الذي خنق حتى مات بحبل الصيد أو غيره، و قالوا: ان بعضهم في الجاهلية كان يخنق الحيوان أحياناً ثم يأكله.

و ـ الموقوذة:

الوقذ شدة الضرب كان بعضهم يضربون الانعام بالخشب لآلهتهم، حتى يقتلوها فيأكلوها أو المقتول بالرمي الذي لا يخترق الجلد.

ز ـ المتردية:

هي التي تتردى من الأعلى إلى الأسفل فتموت كالتي تسقط من جبل أو في بئر.

ح ـ النطيحة:

بين النـاس من النـوازل، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العقل من أمر الديات، وفي آخر (منكم) وفي آخر (من غيركم)، وفي آخر (ملصق)، وفي سائرها أحكام المياه وغير ذلك؛ وكانوا إذا شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل وبمائـة درهم وجـزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا و كذا، فأخرج الحق فيه. ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب؛ فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطا، وان خرج (من غيركم) كان حليفا، وإن خرج (ملصق) كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف.

وهذه السبعة أيضاً كانت عند كل كاهن من كهان العرب وحكامهم. على نحو ما كانت في الكعبة عند هبل.

ج - قداح الميسر وهي عشرة: سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أغفال، وكانوايضربون بها مقامرة لهوا ولعبا، وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين والمعدم في زمن الشتاء وكلب البرد وتعذر التحرف[٣٠].

قال اليعقوبي:

كانت العرب تستقسم بالأزلام في كل أمورها، وهي القداح، ولا يكون لها سفر ولا مقام، ولا نكاح، ولا معرفة حال، إلّا رجعت إلى القداح، وكانت القـداح سبعـة: فواحـد عليه: الله عز وجل؛ والآخر: لكم؛ و الآخر: عليكم؛ والآخر: نعم؛ و الآخر: منكم؛ و الآخر: من غيركم؛ و الآخر: الوعد؛ فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا إلى القداح، فضربوا بها، ثم عملوا بما يخرج من القداح لا يتعدونه، ولا يجوزونه، وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم.

وكانت العـرب، إذا كان الشتـاء ونـالهم القحط، وقلت ألبان الابل،

---

(٣٠) تفسير القرطبي ٥٨/٦ ـ ٥٩.

وكلب البرد شدته. و التحرف: التكسب للعيال من كل حرفة.

استعملوا الميسر، وهي الازلام، وتقامروا عليها، وضربوا بالقداح، وكانت قداح الميسر عشرة: سبع منها لـها أنصبة، و ثلاث لا أنصبة لـها، فالسبع التي لـها أنصبة يقال لأولها الفذّ، وله جزء؛ والتوأم، وله جزآن؛ والرقيب، وله ثلاثة أجزاء؛ والحلس، وله أربعة أجزاء، و النافس، وله خمسة أجزاء، و المسبل، و له ستة أجزاء، و المعلى، وله سبعة أجزاء، و الثلاث التي لا أنصبة لها اغفال ليس عليها اسم يقال لـها: المنيح، و السفيح، و الوغد.

و كانت الجـزور تشـترى بما بلغت، ولا ينقد الثمن، ثم يدعى الجزار، فيقسمها عشرة أجزاء فإذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه، وهي الرأس و الأرجل، و أحضرت القداح العشرة، و اجتمع فتيان الحي، فأخذ كل فرقة على قدر حالهم ويسارهم، و قدر احتمالهم، فيأخذ الأول الفذ، وهو الذي فيه نصيب واحد من العشرة أجزاء، فإذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءاً، وإن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور، ويأخذ الثاني التوأم، وله نصيبان من أجزاء الجزور، فإن خرج أخذ جزئين من الجزور، و أن لم يخرج غرم ثمن الجزئين.

و كانوا يفتخرون به، و يرون أنه من فعال الكرم و الشرف و لـهم، في هذا أشعار كثيرة(٣١).

وكانت المقامرة من وسائل كسب الثروة، سيّما في مكّة كما يرى مثال ذلك في الخبر الآتي في الأغاني:

(قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثمّ في عشر فقمره، إلى أن أخلعه ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يابن عبد

---

(٣١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٥٩ ـ ٢٦١، وبعض الشرح من لسان العرب مادة الحرضة وما نقله كتاب المفصل ٥/ ١٢٨ ـ ١٢٩ عن بلوغ الإرب.

المطلب فهلم أقامرك، فاينا قمر كان عبداً لصاحبه، قال: افعل، ففعل فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه، فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم، و قال: افتدوه مني بعشر من الابل، فقالوا: لا والله ولا بوبرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلا فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا و كان أبو لهب عليلا فأخرجه و قعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله علي بن أبي طالب (رض) يومئذٍ(٣٢).

ز ـ بيع الطعام عيب في الجاهلية:

قال في تاريخ العرب قبل الإسلام:

و العادة عند العرب أن من العيب بيع شيء من الطعام لمن هو في حاجة إليه وهم يشعرون بالخجل و بالإهانة إذا طلب معسر طعاماً أو شراباً كلبن أو ماء ثم لا يجاب طلبه، أويطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ما قدم من طعام أو شراب، لأن القِرى واجب على كلّ عربي، ولا يكون القِرى بثمن. فكيف يقف إنسان موقف بخل و إمساك اِزاء مرمل محتاج(٣٣).

ح ـ السرقة عيب و الغارة فخر:

قال في تاريخ العرب قبل الإسلام:

و تعدّ السرقة عيباً عند العرب، لأنها تكون دون علم صاحب المسروق و بمغافلته.

و المغافلة و الاستيلاء على شيء من دون علم صاحبه عيب عندهم، وفيه

---

(٣٢) الأغاني ط. بيروت (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) والعاص بن هشام بن المغيرة المخزومي جاء نسبه في جمهرة النسب لابن الكلبي ص ٨٦.

(٣٣) المفصل في تاريخ العرب ط. بيروت ١٩٧٦م (٥/٦٧) ورمل من تاج العروس ط. مصر ١٣٠٦هـ.

جبن و نذالة.

و أما الاستيلاء على شيء عنوة و باستعمال القوة، فلا يعد نقصاً عندهم ولا شيناً ولا يعد سرقة، لأن السالب قد استعمل حقّ القوة، فأخذه بيده من صاحب المال المسلوب، فليس في عمله جبن ولا غدر ولا خيانة. و لذلك فرقوا بين لفظة (سرق) و بين الألفاظ الاخرى التي تعني أخذ مال الغير، و لكن من غير تستر ولا تحايل، فقالوا: (السارق عند العرب من جاء مستتراً إلى حرز، فأخـذ مالاً لغـيره. فإن أخـذه من ظاهـر، فهـو مختلِس و مستلِب و منتهب و محترس، فإن منع ما في يده فهو غاصب)[٣٤].

و لـم تعد (الغارة) سرقة ولا عملاً مشيناً يلحق الشين والسبّة بمن يقوم به. بل افتخر بالغارات وعدّ المكثر منها (مغواراً)، لما فيها من جرأة و شجاعة و إقدام و تكون الغارة بالخيل في الغالب، و لذلك قال علماء اللغة: (أغار على القوم غارة و إغارة دفع عليهم الخيل)[٣٥]، و قد عاش قوم على الغارات، كانوا يغير ون على أحياء العرب، و يأخذون ما تقع أيديهم عليه، و من هؤلاء (عروة بن الورد)، إذ كان يغير بمن معه على أحياء العرب، فيأخذ ما يجده أمامه، ليرزق به نفسـه وأصحـابه. بعد أن انقطعت بهم سبل المعيشة، و ضاقت بهم الدنيا، فاختاروا الغارات والتعرض للقوافل سبباً من أسباب المعيشة و الرزق.

وذكـر أهل الأخبار أسماء رجال عاشوا على الغارات وعلى التربص للمسافرين لسلب ما يحملونه معهم من مال ومتاع.

---

(٣٤) لسان العرب وتاج العروس مادة، (سرق).

(٣٥) تاج العروس مادة (غور).

ط ـ الخصومات:

قال في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام:

ويقع النزاع بين الناس، ويقع بين الأهل كما يقع بين الجيران وبين الأباعد. وقد يتحوّل إلى (عراك) وإلى وقوع معارك. والمشاجرة الخلاف والاشتباك. وقد تكون المشاجرة هيّنة بأن يشاتم ويسابب طرف طرفاً آخر ويعبر عن ذلك باللحاء.

ونظراً لجهل الناس في ذلك الوقت، فشا السباب والتشاتم بينهم. بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء وبين الجنسين. وإذا طال واشتد تدخل الناس في الأمر لاصلاح ذات البين. وقد تتطور الخصومة البسيطة فتتحول إلى خصومة كبيرة يساهم فيها آل المتخاصمين وأحياؤهم، وقد يقع بسبب ذلك عدد من القتلى. وقد حفظت كتب الأخبار والأدب أسماء معارك وأيام سقط فيها عدد من القتلى بسبب خصومات تافهة، كان بالامكان غض النظر عنها، لو استعمل أحد الجانبين الحكمة والعقل في معالجة الحادث[٣٦].

ي ـ السلب والنهب:

نذكر في هذا الباب مثالاً واحداً بخبر سلب زيد وبيعه في سوق عكاظ:

أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي خرجت به أمّه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طي تزور قومها بني معن، فأغارت على بني معن خيل بني القين فأخذوا زيداً في ما أخذوا وكان عمره ثماني سنوات.

فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فوهبته للنبي (ص) فنشأ في بيت النبي (ص) قبل بعثته وقدم أبوه وعمّه في فدائه إلى

---

(٣٦) تاريخ العرب قبل الاسلام ٥/٤٤.

مكّة فدخلا على النبيّ (ص) فقالا: يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه جئناك في ابننا عندك! فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه! فقال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة فقال رسول الله (ص) فهلّا غير ذلك؟ قالوا: ماهو؟ قال (ص): ادعوه وخيرّوه فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً! قالا: زدتنا على النصف وأحسنت: فدعاه رسول الله (ص) فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم! هذا أبي وهذا عمّي؛ قال: فأنا من عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما! قال: ما أريدهما وما أنا بالّذي أختار عليك أحداً أنت منّي مكان الأب والعمّ. فقالا: ويحك! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك!؟ قال: نعم ورأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالّذي أختار عليه أحداً أبداً فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر ـ حجر إسماعيل ـ فقال: يامن حضر إن زيداً ابني يرثني وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وأنصرفا فكان يقال له بعد ذلك: زيد بن محمد (ص) وزوجه الرسول (ص) بعد هجرته إلى المدينة ابنة عمّته زينب حفيدة عبد المطلب على كره من أمرها فلم يطق تعاليها عليه واستأذن النبي (ص) في طلاقها فقال النبي (ص) له: أمسك عليك زوجك وأوحى الله إليه أن يتزوجها بعد طلاقها من زيد ليكون عمله أسوة للمؤمنين فلا يكون عليهم حرج في أزواج أدعيائهم وخشي الرسول (ص) من قول الناس: أنه تزوج مطلقة من تبناه وأخفى الأمر في نفسه فأنزل الله عليه:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً * مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً * ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيباً * مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (الآيات/٣٧ ـ ٤٠)[٣٧].

ك ـ القوي يأكل الضعيف:

لم ينحصر كسب المال بالظلم في الجاهلية بالسلب والنهب في الغزوات، بل كان القـوي منهم يأكل الضعيف كلما سنحت له الفرصة لذلك مثل خبر الاراشي ـ من قبائل اليمن ـ مع أبي جهل كما أورده ابن هشام[٣٨] في سيرته وقال:

قدم رجل من إراش[٣٩] بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها.

فأقبل الاراشي حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله (ص) في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟

قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس ـ لرسول الله (ص)، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه، فإنه يؤديك عليه.

فأقبل الاراشي حتى وقف على رسول الله (ص)، فقال: ياعبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا [رجل] غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي

---

(٣٧) راجع تفسير الآيات بتفسير الطبري وأمثاله ممن فسر القرآن بالروايات.

(٣٨) سيرة ابن هشام ٢٩/٢ ـ ٣٠ وط. القاهرة ١/ ٤١٦ ـ ٤١٧.

(٣٩) هو ابن الغوث، أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو والد أنمار الذي ولد بجيلة وخثعم.

اليك، فخذ لي حقّي منه، يرحمك الله.

قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله (ص)، فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع.

قال وخرج رسول الله (ص) حتّى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلي. فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة(٤٠)، وقد انتقع(٤١). لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقّه. قال: نعم، لا تبرح حتّى أعطيه الّذي له. قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه.

ثّم انصرف رسول الله (ص)، وقال للإراشي: الحقْ بشأنك، فأقبل الإراشي، حتّى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقّي.

قال: وجاء الرجل الّذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ماهو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: أعط هذا حقّه، فقال: نعم لا تبرح حتّى أخرج إليه حقّه. فدخل، فخرج إليه بحقّه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطّ!

قال: ويحكم! والله ما هو إلا أن ضرب عَلَيَّ بابي، وسمعت صوته، فملئت منه رعباً، ثّم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته(٤٢)، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

---

(٤٠) أي بقية روح، فكأن معناه روح باقية، فلذلك جاء به على وزن فاعلة. والدليل على أنه أراد معنى الروح، وإن جاء به على بناء فاعلة، ما جاء في آخر الحديث: خرج إلي وماعنده روحه. وقيل يريد: ما في وجهه قطرة من دم.

(٤١) انتقع لونه: تغير. ويروى: امتقع، وهو بمعناه.

(٤٢) القصرة: أصل العنق.

ل ـ أسواق العرب:

كانت القبائل العربية تجتمع في الأشهر الحرم في أسواق مشهورة لبيع سلعهم سواء أكان مصدرها سلباً ونهباً أم تجارة مجلوبة من بلد بعيد أو قريب أو حصيلة زرع لهم أو ضرع وللمفاخرة والمكاثرة.

وقد ذكر اليعقوبي عشرة أسواق للعرب يجتمعون بها في تجاراتهم وكان أشهرها سوق عكاظ بأعلى نجد.

وفي مادة عكاظ من معجم البلدان ما موجزه: تجتمع قبائل العرب في كل سنة فيها، يتفاخرون ويحضرها شعراؤهم يتناشدون ما أحدثوا من الشعر وبها كانت مهادناتهم وحمالاتهم ويقيمون فيها عشرون يوماً من ذي القعدة[٤٣].

وقال في مادة مجنّة والمجاز ما موجزه:

ينتقلون عشرة أيام آخر ذي القعدة إلى سوق مجنّة بأسفل مكّة على قدر بريد منها، ثمّ ينتقلون إلى ذي المجاز موضع سوق بعرفة يبقون ثمانية أيام ثمّ يعرفون في اليوم التاسع من ذي الحجة.

---

(٤٣) اليعقوبي ١/ ٢٧٠.

رابعاً ـ أديان العرب في العصر الجاهلي:

أ ـ الوثنية:

قال ابن إسحاق واليعقوبي ما موجزه[1]:

إن بني اسماعيل كانوا لا يفارقون مكة، حتى كثروا، و ضاقت بهم مكة فتفرقوا في البلاد، و ما ارتحل أحد منهم من مكّة إلاّ حمل معه حجراً من حجارة الحرم، و حيث ما نزلوا وضعوه، و طافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى أدّى بهم إلى عبادته و خلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل و عبدوا الأوثان.

وقالا ـ أيضاً ـ ما موجزه:

إن عمرو بن لحيّ ـ شيخ خزاعة ـ سافر إلى الشام، و رأى أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم، ما هذه الأصنام الّتي أراكم تعبدون. فقالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها، فتمطرنا، و نستنصرها، فتنصرنا، فأخذ منهم هبل. و أتى به مكّة و نصبه عند الكعبة.

و وضعوا كلّاً من إساف و نائلة على ركن من أركان، البيت فكان الطائف بالبيت يبدأ بإساف، و يقبله، و يختم به، و كانت العرب عندما تحجّ البيت تسأل قريشاً و خزاعة عنها، فيقولو ن نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى فلما رأت العرب ذلك اتخذت كلّ قبيلة صنماً لها يصلّو ن له تقرباً إلى الله على حدّ زعمهم.

---

(١) سيرة ابن هشام ط. مصر سنة ١٣٥٦هـ ٨٢/١، وتاريخ اليعقوبي ط. بيروت سنة ١٣٧٩هـ ٢٥٤/١، والاكتفاء للكلاعي ط. القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ٩٢/١ ـ ٩٤.

وطـالبتهـا بُضعهـا فالتـوت بوجـه تغـول فاسـتغـولا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز، وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون:

يا رجـل عنـز انهقي نهيقـا لن نترك السبسب والـطّريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي وأوقات الخلوات، فيتوهمون أنّها إنسان فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق الّتي هم عليها، وتتيههم. وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.

وقد ذكر جماعة من الصحابة ذلك، منهم عمر بن الخطاب (رض) انه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام، وأنّ الغول كانت تتغول له، وإنّه ضربها بسيفه، وذلك قبل ظهور الإسلام، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم.

السعلاة:

قال المسعودي ما موجزه[٧]:

وفرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد بن أيوب...

أبيت بسعـلاة وغـول بقفـرة إذا الليل وارى الجنّ فيه أرنت

وقد وصفها بعضهم فقال:

وحـافـر العنـز في ساق مدملجـة وجفن عين خلاف الأنس بالطول

وقد حكى الله قول الجنّ في عملهم مع الأنس وقال تعالى:

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَداً * وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾ (الجن/٦ ـ ٩).

---

(٧) مروج الذهب ١٣٧/٢.

كان ذلكم بعض أخبار عقائد العرب في الغول والسعلاة و نظائرهما و سندرس بعد هذا أمر اليهودية و النصرانية في الجزيرة العربية باذنه تعالى.

ج و د ـ اليهوديّة و المسيحية

انتشرت اليهودية في بلاد اليمن ومنطقة المدينة و المسيحية في اليمن و نواحي الشام.

و بنت النصارى بعض الكنائس مضاهاة للكعبة مثل كنيسة نجران الّتي قال فيها الأعشى:

وكعبـة نجـران حتم عليك ... حتـى تنـاخـي باعتـابهـا

و كنيسة قليس الّتي بناها ابرهة، و أمر العرب أن يحجّوا إليها، فتغوط فيها بعضهم فهـمّه ذلك فأتى بجيش الفيل لهدم الكعبة[8].

ومن معتقدات الوثنيين وأهل الكتاب في الجاهلية ماأخبر الله عنه بقوله تعالى في سورة الأنعام:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الآيات/١٠٠ ـ ١٠٢)

اما البنون الذين خرقوا فقد أخبر الله عنه في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَ قَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... ﴾ (التوبة/٣٠).

و كانت اليهود يومذاك تزعم ان عزيراً ابن الله و كانت النصارى ولا زالت تقول بأنّ المسيح عيسى بن مريم (ع): ابن الله.

---

(٨) سيرة ابن هشام ٤٣/١، ومعجم البلدان ٧٥٦/٤.

أما البنات، فقد أخبر الله عن عقيدتهم في قوله تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ...﴾ (النحل/٥٧).

وقوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ (الصافات/١٤٩ ـ ١٥٣).

* * *

تشريع الجاهليين في الأطعمة

كذلكم يشرع الانسان الجاهلي لنفسه وفق هواه وتخيلاته، بينما شرع ربّ العالمين للانسان نظاماً يتناسب وفطرته، وسماه دين الاسلام وبلغه بواسطة أنبيائه(ص)، وأكمله في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، ولكن الانسان الجاهلي شرّع لنفسه من الطعام حلالاً وحراماً في مقابل ماشرعه رب العالمين كما أخبر الله تعالى عن ذلك وقال:

١ ـ في سورة يونس:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِن رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (الآيات/٥٩ ـ ٦٠)

٢ ـ في سورة النحل:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (الآية/١١٦)

وشرع الانسان الجاهلي ـ أيضاً ـ ما أخبر الله عنه في الآيات الآتية:

أ ـ في سورة المائدة:

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الآية/١٠٣)

ب ـ في سورة الأنعام:

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَاءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (الآيات/١٣٩ـ ١٤٠)

ج ـ في سورة الأنعام:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية/١٥١)

د ـ في سورة المائدة يخاطب المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (الآيات/٨٧ ـ ٨٨)

شرح الكلمات:

أ ـ البَحيرة:

الناقة كانت إذا ولدت في الجاهلية خمسة أبطن شقوّا أذنها، واعفوها أن ينتفع بها ولا يمنعوها من مرعى ولا ماء.

ب ـ السائبة:

البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيسيب، أي يترك ولا يركب ولا يحمل عليه.

و الناقة المهملة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر و نحوه، فان الرجل إذا نذر القدوم من سفر أو البرء من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي سائبة، فكانت السائبة كالبحيرة لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء وكلاء.

ج ـ الوصيلة:

كانت الشاة في الجاهلية إذا ولدت انثى، فهي لهم، و إذا ولدت ذكراً، جعلوه لالهتهم.

فان ولدت توأماً ذكراً و انثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

د ـ حام:

كانت العرب في الجاهلية إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

و يظهر مما جاء في التفاسير ومعاجم اللغة انهم لم يكونوا متفقين على ما ذكرناه بل كان للحام و الوصيلة عند اقوام غير ما ذكرناه من معنى.

هـ ـ وقالوا ما في بطون هذه الانعام:

يعني قال الجاهليون ما في بطون السائبة وبعض أنواع الوصيلة خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها أحد من الاناث، و ان يكن الجنين ميتة فالذكور و الاناث فيه سواء.

* * *

كان ذلكم تشريع الجاهليين في الاطعمة وتشريعهم في أمر الزواج كالآتي:

الأنكحة في الجاهلية:

كان في الجاهلية سبعة أنواع من النكاح متعارف عليها فقد روى البخاري أربعة منها عن عائشة انها قالت: ان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها:

١ ـ نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

٢ ـ ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته، اذا طهرت من طمثها أرسلي الى فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فاذا تبين حملها، أصابها زوجها إذا أحب.

وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. فكان هذا النكاح: نكاح الاستبضاع.

٣ ـ ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم، فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان! تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل.

٤ ـ والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لاتمتنع ممن جاءها وهنّ البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن، فاذا حملت احداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم الحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد (ص) بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم[٩].

---

(٩) البخاري ٣/١٦٥ كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلّا بولي.

ومن امثلة النكاح الثالث نكاح النابغة أم عمرو بن العاص كما رواه الزمخشري وغيره و اللفظ للزمخشري في كتاب «ربيع الابرار» قال:

كانت النـابغـة أم عمـرو بن العـاص أمَة لرجل من عنزة، فَسُبيت، فاشتراها عبد الله بن جُدعان التيمي بمكة، فكانت بغياً ثم اعتقها فوقع عليها ابو لهب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجمحي، و هشام بن المغيرة المخزومي و أبـو سفيان بن حرب، و العاص بن وائل السهمي، في طهر واحد، فولدت عمراً، فادعاه كلهم، فحكمت امه فيه، فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لان العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيراً.

قالوا: و كان أشبه بأبي سفيان و في ذلك يقول: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص.

ابـوك ابو سفيان لاشك قد بدت   لنا فيك منه بينات الشمائل[١٠]

ومن امثلة النكاح الرابع ما رواه ابن حجر في فتح الباري و قال: (هنّ بغايا كنّ في الجاهلية معلومات لهنّ رايات يعرفن بها) و قال:

وقـد ساق ابن الكلبي في كتاب المثالب اسامي صواحب الرايات في الجاهلية فسمّى منهن أكثر من عشر نسوة مشهورات تركت ذكرهن اختياراً.

وذكر قبله اسم واحدة منهنّ[١١].

وفي العقد الفريد ما موجزه.

كانت سمية أمّ زياد أمة للحارث بن كلدة وزوجها عبيداً عبداً لابنته، فولدت على فراشه زياداً.

و كانت البغايا في الجاهلية لهن رايات يعرفن بها، و ينتحيها الفتيان و كان

---

(١٠) ابن ابي الحديد ٦/٢٨٣، ٢٩١ وراجع ج ١٢٥/٢ منه وأوردها الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات كما روى عنه ابن ابي الحديد في شرح الخطبة ٨٢ ومن كلام له في ذكر عمرو بن العاص ط. مصر الاولى ٩٩/١.

(١١) فتح الباري ٩٠/١١ في باب لا نكاح إلا بولي من كتاب النكاح.

أكثر الناس، يكرهون اماءهم على البغاء و الخروج الى تلك الرايات يبتغون عرض الحياة الدنيا و ان ابا سفيان خرج يوما و هو ثمل الى تلك الرايات، فوقع بسمية فولدت له زياداً على فراش عبيد[١٢].

٥ ـ نكاح الشغار:

من انكحتهم نكاح الشغار: قال ابن الأثير في نهاية اللغة:

وهو نكاح معروف في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل شاغرني أي زوجني اختك أو ابنتك أو من تلي أمرها، حتى ازوجك اختي أو بنتي أو من إليَّ أمرها ولا يكون بينهما مهر، ويكون بضع كل واحدة منهما في مقابلة بضع الاخرى وقيل له شغار لارتفاع المهر بينهما من شغر الكلب إذا رفع احدى رجليه ليبول[١٣].

٦ ـ نكاح المقت:

نكاح المقت قال ابن الأثير في مادة (مقت) من نهاية اللغة و المقت ان يتزوج الرجل امرأة أبيه اذا طلقها أو مات عنها، و كان يفعل ذلك في الجاهلية وحرّمه الإسلام، و مثاله ما رواه ابن اسحاق في سيرته وقال:

(و كان عمرو بن نفيل قد خلف على أم الخطاب بعد ـ أبيه ـ فولدت له زيد بن عمرو وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه)[١٤].

---

(١٢) العقد الفريد ٤/٥ ـ ٥ في ذكر أخبار زياد.

(١٣) مادة (شغر) من نهاية اللغة لابن الاثير ٢/٢٢٦ وقد لخص ما اورده هنا من الروايات في باب الشغار من كتاب النكاح في صحيح البخاري (٣/ ١٦٣) وصحيح مسلم ص ١٠٣٤ ـ ١٠٣٥ الاحاديث ٥٧ ـ ٦٢ وسنن ابي داود (٢/ ٢٢٧) الحديث ٢٠٧٤ و ٢٠٧٥ وسنن ابن ماجه ١/٦٠٦ الحديث (١٨٨٣ ـ ١٨٨٥) وسنن النسائي ٦/١١٠ ـ ١١٢ وسنن الدارمي ٢/ ١٣٦ ومسند احمد (٢/٧، ١٩، ٢٥، ٦٢، ٩١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٨٦، ٤٣٩، ٤٩٦)، (٣/٣٢١، ٣٣٩، ٤/ ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣)، ومن مادة شغر في معاجم اللغة.

(١٤) سيرة ابن اسحاق ط. المغرب ص ٩٧ سنة ١٣٩٦هـ.

ومثال آخر منه ما نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج وقال:

(وصنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب، زوج ابنه أبا عمرو امرأته في حياته منه، فأولدها أبا معيط بن أبي عمرو بن أميّة. والمقيتون في الإسلام هم الّذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم، فأمّا أن يتزوجها في حياة الأبّ ويبني عليها وهو يراه، فإنّه شيء لم يكن قط)[١٥].

ولم يقتصر النكاح بالإرث على نكاح الولد زوجة أبيه بعد موته بل يعمّ وارثي المتوفي كما رواه الطبري وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا ٱلنِّسَاءَ﴾ وقالوا:

كان الرجل في الجاهلية يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فاذا مات وترك امرأته ألقى الرجل عليها ثوبه، فورث نكاحها، وكان أحقّ بها، وكان ذلك عندهم نكاحاً فان شاء أمسكها، حتّى تفتدي منه.

وقال: كان إذا توفى الرجل كان ابنه الأكبر هو أحقّ بامرأته ينكحها إذا شاء إذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه.

وقال: وإن كان صغيراً حُبِسَت عليه حتى يكبر فان شاء أصابها، وإن شاء فارقها.

وقال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحقّ بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها، حتّى تفتدي منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها[١٦].

٧ ـ نكاح البدل:

وهو أن يقول الرجل للرجل: انزل عن امرأتك وأنزل لك عن امراتي، وكان من هذا القبيل خبر عيينة بن حصن شيخ قبيلة بني فزارة عندما دخل على رسول الله (ص) بغير إذن، فقال له رسول الله (ص) وأين الإذن.

---

(١٥) شرح نهج البلاغة تحقيق محمد ابو الفضل ط. مصر ٢٠٧/١٥.

(١٦) تفسير الطبري ٤/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

فقال ما استأذنت على أحد من مضر و كانت عنده عائشة (رض) قبل ان ينزل الحجاب فقال: من هذه؟

قال: هذه عائشة.

قال: أفلا انزل لك عن أم البنين ـ زوجة عيينة ـ فتنكحها.

فغضبت عائشة (رض) و قالت: من هذا؟

فقال رسول الله (ص): هذا أحمق مطاع يعني في قومه(١٧).

وكذلك شرع الجاهليين في شأن الأشهر الحرم والنسيء كالآتي:

الأشهر الحرم في الجاهلية:

قال الله تعالى في سورة التوبة:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ (الآيات/٣٦ ـ ٣٧)

تفسير الكلمات:

في كتاب الله: أي في ما فرض الله كما يأتي تحقيقه في بحث المصطلحات الإسلامية إن شاء الله تعالى.

أربعة حرم: أربعة أشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.

---

(١٧) راجع عمدة القارئ ١٢٢/٢٠ كتاب النكاح الحديث (٦٠) وترجمة عيينة في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة.

النسيء: نسأت الشيء فهو منسوء، إذا أخرته والنسيء بمعنى المنسوء مثل القتيل بمعنى المقتول ورجل ناسيء وقوم نسأة على وزن فاسق وفسقة.

ليواطؤا: واطأه وافقه طابقه.

المعنى:

كانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك مما تمسَّكت به من ملّة إبراهيم وإسماعيل، وكانوا أصحاب حروب وغارات، فربّما كان يشقّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية، ذي القعدة، وذي الحجة، ومحرم ولا يغيرون فيها بعد أن أتموا حجّهم في ذي الحجة، ويقولون: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لانصيب فيها شيئاً لنهلكن، فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم منهم رئيس، ويقول: أنا الذي لا أعاب ولا أخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون: نعم صدقت. أنسئنا شهراً واجعل حرمة المحرم في صفر وأحل المحرم، فيفعل ذلك.

فيكون صفر تلك السنة عندهم شهر المحرم والصفر ربيع أول وهكذا يتسلسل حتى يكون ذو الحجة الآتي بعدها في شهر محرم وكذلك كانت الاشهر تدور عندهم وأحياناً يصادف عندهم أن يحجوا في شهر ذي الحجة.

ولما حجّ النبي (ص) حجة الوداع وافقت شهر ذي الحجة، فقال في خطبته ألا وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض السنة إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب الذي بين جمادي وشعبان.

أراد (ص) أن الأشهر الحرم، رجعت إلى مواضعها وعاد الحجّ إلى ذي الحج وبطل النسيء وكان أول من سن النسيء عمرو بن لحي وحين جاء الاسلام كان ينسأها رجل يقال له القلمس وفي ذلك قال رجل من قومه اسمه عمير بن قيس بن جذل الطعان:

السنـــا النــاسئـين على معـد   شهـور الحل نجعلها حراماً[١٨]

نتيجة البحث:

مايهمنا مـمّا ذكرناه ان نظام الحكم في المجتمع العربي الجاهلي كان قبلياً محضاً عليه بنيت جميع اعراف المجتمع.

وفي مقدمة جميع أعرافهم حب كسب الفخر للقبيلة ونشر فضائلها، ومن ثم كان للشعر أكبر الاثر في نفوس افراد ذلك المجتمع وكانت أهم خصيصة من خصائصها أثر الشعر فيهم، بحيث ان مديحاً واحداً من شاعر لفقير مدقع يجعله شريفـاً يتسابق أشراف القبائل الى خطبة بناته ولملك ظافر ان يطلق اسرى القتال.

وقصيدة واحدة تدفع القبائل للحرب والقتال، ولذلك دفعت قريش مائة ناقة للأعشى الشاعر كي لا يذهب الى المدينة وينصر المسلمين بشعره، وبلغ خوفهم من هجاء الشعر لهم ان يسبّ بهم الاحياء والاموات، ويبقى أثره حي الاعقـاب مثل لقب أنف الناقة لبني قريع من بني تميم الذي اصبح ذمّا لاولاده يُعيّرون به ويغضبون منه ويفرقون الى ان قال الخطيئة في مدحهم:

قوم هم الانفُ والاذناب غيرهم   ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب، ويمدّون به اصواتهم في جهارة.

ومن هنا نعرف حكمة مجيء النبي(ص) في أولئكم الناس بمعجزة القرآن الذي فـاق بلاغة كل بليغ، وسوف ندرس في بحوثنا الآتية باذنه تعالى أثر القران في المجتمع العربي الجاهلي والاسلامي.

ونبدأ بذكر من تاريخ القرآن على عهد الرسول(ص) بمكة.

---

(١٨) أوردنا تفسير الكلمات من مفردات الراغب ولسان العرب والخبر من تفسير الآية بتفسير القرطبي ١٣٦/٨ ـ ١٣٨ وتفسير مجمع البيان ٢٨/٥ ـ ٢٩.

بحوث تمهيدية

«٢»

من تاريخ القرآن

الفصل الأول

أخبار القرآن في عصر نزولة بمكة على عهد الرسول الأكرم (ص)

أ ـ القرآن وما فيه.
ب ـ خصائص القرآن المكي وآثاره الادبية والفكرية.
ج ـ أخبار بدء الدعوة.
د ـ مقابلة قريش للقرآن الكريم.
هـ ـ سياسة النبي في أمر القراءة والاقراء.
و ـ تدوين القرآن في مكة.
ز ـ خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الرسول(ص).

اولاً ـ القرآن وما فيه:

في ليلة السابع والعشرين من رجب وفي غار جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة أنزل الله أول مرة مع جبرئيل على نبيه (ص):

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (الآيات/ ١ ـ ٥)

ثم توالى نزول القرآن ثلاثا وعشرين سنة. قال تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً... ﴾ (النحل/٨٩).

وكما أخبر الله سبحانه في سورة الجمعة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الآية/٢)

وكما قال تعالى في سورة البقرة:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

أنزل الله في القرآن جميع أنواع المعرفة الدينية من صفات الخالق وأخبار المعاد وأحكام الإسلام وآدابه وأصناف المعرفة بجميع عوالم الوجود؛ عوالم السموات والأرض، وعوالم الملائكة والجن والإنس والنبات والحيوان، و أخبار

الأمم السابقة و البائدة و أنبيائها،و أخبار الغيوب الآتية، و أودع مفاتيح تلك الكنوز من المعرفة،إلى رسول الله (ص) وقال تعالى في سورة النحل/ ٤٤:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

نزَل القرآن على رسول الله (ص) ثلاث عشرة سنة في مكّة وعشر سنوات في المدينة ولكلّ خصائصه، كما نذكرها في مايأتي بحوله تعالى.

ثانياً ـ خصائص القرآن المكي وآثاره:

أ ـ الخصائص الادبية في القرآن المكي:

نزل القرآن بمكة في ثلاث عشرة سنة قصيرة آياته صغيرة في جلّ سوره.

وفي القرآن المكّي ما يُدحض مزاعم قريش الباطلة في تعدد الآلهة، و يدمغ حججهم الواهية في التمسك بها و بأعرافهم الجاهلية بحجج رصينة و يجيب عن أسئلتهم بأجوبة شافية وافية وما فيه تعنيف شامت و ردٌ على اقتراحاتهم الجاهلية.

ومنه ما يقص ما جرى بين الرسول (ص) وقريش من مناظرات و مجادلات، وما يحكي عن حوادث معاصرة أو غابرة ممّا جرى بين الأنبياء وأُممهم يضرب بها مثلاً لكفار قريش وما يجري بينهم وبين نبيّهم من مشاجرات، ومنه ما يصور أهوال يوم القيامة ممّا يقشعرّ لها جلد العربي ذو الحسّ المرهف، ولكلام الله في القرآن الكريم ميزات كثيرة على كلام البشر جليّة نقتصر في ما يأتي على ذكر الامتياز البلاغي ـ الأدبي ـ ثمّ الفكري للقرآن المكّي بحوله تعالى:

أثر الامتياز الأدبي في القرآن الكريم:

أمثلة من آيات تتجلى فيها الميزة الأدبية في القرآن المكي:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

﴿ وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ

لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى/١ ـ ١١).

أية قطعة فنية من كلام البشر شعراً كان أم نثراً تضاهي هذه السورة أو تدانيها، أم أية قطعة أدبية من كلام البشر توازي أو تداني قوله تعالى في سورة الرحمن:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ * ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * ... فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الآيات/١ ـ ٧ و ١٣)

أم أية قطعة أدبية من كلام الآدميين توازي أو تداني قوله عزّ اسمه في سورة التكوير:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (الآيات/ ١ ـ ٩ و ٢٦ ـ ٢٨).

خذ أي فن من فنون كلام بلغاء الآدميين، وقارنه بما شئت من مثيله في القرآن الكريم، لترى بلاغة القرآن كضوء الشمس يخفي ضياؤه لمعان كل نجم في سماء الأدب صغيراً كان أو كبيراً خذ مثلاً الفن القصصي من كلام الآدميين وقارنه بنظيره في القرآن الكريم حيث قال ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة الفيل:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي

تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

وهي تحكي عن قصة شاهدتها قريش في عصرها ومصرها وان شئت فخذ مثلًا ما حكى الله من قصص الانبياء السابقين مع أممهم الغابرة وقارن بين ما قصه البشر من القصص المتوسطة وبين ما حكى الله عن نوح وقومه حيث قال في سورة نوح:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً * وَٱللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطاً * لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً * قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً * مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَاراً * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً

كَفَّاراً * رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمنَ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارا ﴾ (الآيات/١ ـ ٢٨)

وخذ للمقارنة قصص بلغاء البشر الكبيرة من قصص القرآن، وخذ إن شئت في سورة يوسف أحسن القصص أو قصص زكريا ومريم وعيسى ـ عليهم السلام ـ في سورة مريم أو قصص هارون وموسى مع فرعون وبني اسرائيل في سائر السور.

وهكذا لا يجارى القرآن ولا يبارى في أي فن من فنون البلاغة في التعبير، وكذلك لا شبيه له ولا نظير في ما يحوي من فنون العلم بالمبدأ والمعاد وأخبار عوالم الملائكة والجنّ والانس والحيوان والنبات والجماد والسمٰوات والكواكب وأنظمة لحياة الإنسان وسائر فنون المعرفة الصحيحة، وكان لبلاغة القرآن والجانب الأدبي فيه الأثر البليغ في نفوس قريش كما يدلّ عليه أمثال الخبر الآتي:

تأثير القرآن المكي في قريش واستماعهم اليه سرّاً:

روى ابن هشام وغيره واللفظ لابن هشام، قال:

إن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله (ص) وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كلّ رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا. فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثمّ انصرفوا. حتّى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرّة ثمّ انصرفوا. حتّى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا

طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتّى نتعاهد ألا نعود: فتعاهدوا على ذلك، ثمّ تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمّد؟

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به كذلك.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل وكان أول من دخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمّد؟

فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن - أي قبيلة بني مخزوم - وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى تحاذينا على الرُّكب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء؛ فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

قال: فقام عنه الاخنس وتركه[1].

هكذا كان للجانب الأدبي من القرآن الكريم الأثر البليغ في نفوس من يستمع إليه ولذلك بذلت قريش جهدها لتمنع الحجيج من الاستماع إلى قراءة الرسول للقرآن الكريم كما سيأتي خبره في بحث الخصائص الفكرية في القرآن المكي الآتي.

الخصائص الفكرية في القرآن المكي:

يعرض القرآن المكي في سور صغيرة عقيدة التوحيد في الالوهية والربوبية ورسالة خاتم الأنبياء وعوالم المعاد بعد حياة الدنيا،وانّ القرآن كلام

(١) سيرة ابن هشام ط. القاهرة ١/٣٣٧ - ٣٣٨.

الله نزل لهداية البشر، ويُدحض أعراف مشركي قريش الوثنية والجاهلية وحججهم على الرسول والقرآن الكريم، ويدعوهم الى العمل الصالح في الحياة الدنيا ومن أمثلة ذلكم:

أ ـ في التوحيد:

قال ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة التوحيد:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾

ب ـ في خبر المعاد:

قال سبحانه وتعالى في سورة يس:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (الآيات/٧٨ ـ ٧٩)

وقال تعالى في سورة الزلزلة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾

ج ـ دعوته للعمل الصالح:

قال ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة العصر:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾

كانت تلكم أمثلة من الآيات التي يتجلى فيها الامتياز البلاغي للقرآن

الكريم ثم أمثلة من الآيات التي تتجلى فيها الخصائص الفكرية للقرآن المكي.

ولم نقصد من ايراد آيات لتعريف الميزات الأدبية في القرآن الكريم ثم آيات اخر لتعريف الخصائص الفكرية فيه، تصنيف آيات القرآن الى صنفين متقابلين: آيات تمتاز ببلاغتها في الكلام واخرى بما تحوي من فكر وعلم، كلاّ! فإنّ الله سبحانه كما جعل ما يحتاجه جسد الانسان من (فيتامينات) مقومة لحياته في ثمار لذيذة الطعم كالتمر والتفاح والعنب والليمون والمشمش كذلك جعل ما تحتاجه نفسه من افكار مقومة لحياته النفسية والجسدية في فنون من الكلام في القرآن الكريم تهش الى سماعها نفسه.

وكما ان الانسان قد يصاب في جسده بغدد سرطانية يجب البدء باستئصالها من جذورها ثم القيام بتقوية جسده وتقويمه بما يحتاجه الجسد من مقومات الحياة في طعامه وشرابه، كذلك الانسان المتلوث فكره بالوثنيات والاعراف الجاهلية يجب البدء باستئصال افكاره المريضة الراسخة في اعماق نفسه وقطعها من جذورها ولذلك بدء خليل الله ابراهيم دعوته الناس إلى عبادة الله بزعزعة عقيدة عبدة الكواكب وكسر أوثان عبدة الأصنام وبدأ خاتم الرسل بدعوة المشركين إلى أن يقولوا: لا اله الا الله، أي أن ينبذوا جميع أصنامهم التي يعبدونها اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسائر آلهتهم.

وكما ان الانسان المدمن للخمور واستعمال المخدرات يصرف كل طاقاته الفكرية والجسدية في سبيل ادامة تعاطي الخمور والمخدرات ويقاوم بكل ما أوتي من حول وقوة من يريد أن يحول بينه وبينها!

كذلك الانسان المتلوث فكره بالوثنيات والاعراف الجاهلية يصرف جميع طاقاته في سبيل المحافظة على ما تلوث به فكره وآعتاده من أعراف جاهلية وعبادات وثنية ويحارب من يريد أن يحول بينه وبين أعرافه وعباداته. ومن هنا يُلقى إبراهيم في النار لتحرقه ويقابل خاتم الانبياء بصنوف من الاذى والطغيان ولمن آمن بقرآنه بانواع من العسف والظلم والعدوان.

لو اقتصر القرآن في مكة على عرض الجوانب الفنية والادبية في الكلام ولم يتعرض لأعراف قريش الجاهلية، ولم يسفه احلامهم، ويسب آلهتهم، لرفعت قريش الرسول فوق اكتافها، وشمخت بآنافها، وفاخرت به قبائل العرب وكاثرت به، ونافرت، لكن القرآن خاصمهم في كل جانب من جوانب اعرافهم الجاهلية فوقع بينهم وبين القرآن ومُبَلِّغه الرسول ما سنذكره بحوله تعالى بعد ايراد مثالين من أثر القرآن الفكري في الانسان العربي في ما يأتي:

أ ـ قيام قريش لمقابلة الاثر الفكري للقرآن الكريم:

بذلت قريش جهوداً ضخمة لصد الأثر الفكري للقرآن المكي عن الناس نذكر منها على سبيل المثال الموارد الآتية:

ذكر ابن عساكر وغيره في ترجمة عتبة ما موجزه قال: ان قريش اجتمعت برسول الله (ص) ورسول الله (ص) في المسجد، فقال لهم عتبة بن ربيعة دعوني حتى أقوم الى محمّد، فاكلمه، فاني عسى أن أكون أرفق به منكم.

فقام عتبة، حتى جلس اليه، فقال يا ابن أخي: إنك أوسطنا بيتا وأفضلنا مكانا وقد أدخلت على قومك ما لم يدخل رجل على قومه قبلك، فان كنت تطلب بهذا الحديث مالاً، فذلك لك على قومك ان تجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً، وان كنت تريد شرفاً فنحن مشرفوك، حتى لا يكون أحد من قومك فوقك، ولا نقطع الامور دونك.

وان كان هذا عن لمم يصيبك لاتقدر عن النزوع عنه، بذلنا لك خزائننا في طلب الطب لذلك منه.

وان كنت تريد ملكاً ملكناك.

قال رسول الله (ص): أفرغت يا أبا الوليد ؟

قال نعم.

فقرأ (ص) حم السجدة حتى مر بالسجدة فسجد وعتبة ملق يده خلف

ظهره حتى فرغ من قراءتها.

وقام عتبة لا يدري ما يراجعه به حتى أتى، نادى قومه فلما رأوه مقبلا قالوا لقد رجع اليكم بوجه ما قام به من عندكم.

فجلس اليهم فقال يا معشر قريش قد كلمته بالذي أمرتموني به حتى اذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني فيها بعده اتركوا الرجل واعتزلوه فوالله ماهو بتارك ماهو عليه وخلوا بينه وبين سائر العرب فان يكن يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم وملكه ملككم وان يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم.

قالوا: أصبأت اليه يا أبا الوليد[٢].

* * *

تأثر جمع من أفراد قبائل قريش بالقرآن، وآمنوا به، وسنشير الى خبرهم في آخر هذا البحث ـ ان شاء الله تعالى ـ، ولم ينحصر تأثير القرآن في قريش وحدها بل كان تأثيره في العرب، من غير أفراد قريش أكثر من تأثيره في قريش كما نرى مثله في خبر قيام قريش لمقابلة الأثر الفكري الآتي.

ب ـ الأثر الفكري و الأدبي للقرآن المكي في الانسان العربي من غير قريش:

قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

روى ابن هشام[٣] وغيره واللفظ لابن هشام، قال:

(كان رسول الله (ص)، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة

---

(٢) السيوطي ٥/٣٥٩؛ وفي ترجمة عتبة من مخطوطة ابن عساكر (١١/ ١/ ٢٠ أ)؛ والقرطبي ١٥/ ٣٣٨؛ وسيرة ابن هشام ط. القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٤٠٧/١ ـ ٤١١.

ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم، يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب.

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله (ص) بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلًا شريفاً شاعراً لبيباً. فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله (ص) قائم يصلي عند الكعبة.

قال: فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله.

قال: فسمعت كلاما حسناً.

قال: فقلت في نفسي واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله (ص) إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرْسُف، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولا حسناً، فاعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله (ص) الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت:

شهـادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الاسلام).

ثم روى ابن هشام بعد ذلك كيف دعا عمرو بن الطفيل عشيرته دوس الى الاسلام عندما رجع اليهم وكيف انتشر فيهم الاسلام وكيف وفدوا الى رسول الله (ص) بعد غزوة خيبر.

* * *

إنّ أمثال هذا النوع من الأثر دعت قريشاً أن يجتمعوا ويتشاوروا كيف يصدون الحجيج عن الاستماع الى قراءة الرسول (ص) للقرآن كما سنذكره بعد ايراد خبر بدء الدعوة في ما يأتي باذنه تعالى.

ثالثاً بدء الدعوة:

١ ـ دعوة أقارب الرسول (ص):

ويدأ التبليغ علنا بدعوة بني عبد المطلب ثم عم تبليغه للناس أجمعين وبين الله شعار الرسول في التبليغ في هذه المرحلة وقال في سورة الأنعام/ ١٩:

﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ...﴾

فبدأ بدعوة بني عبد المطلب كما روى ذلك جمع من أهل الحديث والسير مثل: الطبري، وابن عساكر، وابن الاثير وابن كثير، والمتقي، وغيرهم ـ واللفظ للأول ـ قال عن علي بن أبي طالب (ع) قال:

لّما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعاني رسول الله (ص) فقال لي: يا عليّ انّ الله أمرني ان انذر عشيرتي الاقربين فضقتُ بذلك ذَرعاً، وعرفتُ انّي متى أباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمتُّ عليه حتّى جاءني جبريل، فقال: يا محمّد انّك إلّا تفعل ما تُؤمر به يُعذّبك ربُّك فاصنعْ لنا صاعاً من طعام، واجعلْ عليه رجْل شاةٍ، واملأ لنا عُساً من لبن ثمّ اجمْع لي بني عبد المطلب، حتّى أُكلِّمهُم، وأُبلغهم ما أُمرت به.

ففعلتُ ما أمرني به ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم اعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم، فجئتُ به فلمّا وضعتُه، تناول رسول الله (ص) حذيةً من اللحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ القاها في نواحي الصَّحْفة ثمّ قال: خُذوا

بسم الله فأكل القومُ حتّى ماهم بشيء حاجة، وما أرىٰ الاّ موضع ايديهم وايم الله الذي نفسُ عليّ بيده وان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم، ثمّ قال اسقِ القوم، فجئتُهم بذلك العُسّ، فشربوا منه، حتّى رووا منه جميعاً وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول الله (ص) ان يكلّمهم بدره أبو لهب الى الكلام، فقال لهدَّما سحركم صاحبُكم، فتفرّق القومُ، ولم يكلّمهم رسول الله (ص) فقال الغد يا عليّ انّ هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القومُ قبل ان أُكلمهم، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ ثمّ اجمْعهم اليّ.

قال: ففعلتُ، ثمّ جمعتُهم ثمّ دعاني بالطعام فقرّبتهُ لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء به حاجة. ثم قال: اسقهم فجئتُهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعاً ثمّ تكلّم رسول الله (ص) فقال يا بني عبد المطّلب انّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومّه بافضل مما قد جئتكم، به انّي قد جئتُكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ـ تعالى ـ أن ادعوكم اليه فأيُّكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟

قال فاحجم القومُ عنها جميعاً وقلتُ وانّي لاحدثهم سنًا وارمصهم عيناً واعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً انا يا نبيّ الله اكون وزيرك عليه.

فاخذ برقبتي ثمّ قال: انّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا

قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع[٤].

---

(٤) تاريخ الطبري ط. أوربا ١/١١٧١ ـ ١١٧٢. وابن عساكر تحقيق المحمودي ١/٨٨ من ترجمة الامام. وتاريخ ابن الاثير ٢/٢٢٢. وشرح ابن ابي الحديد ٣/٢٦٣. وفي تاريخ ابن كثير ٣/٣٩، وقد حذف الألفاظ وقال: كذا وكذا. وكنز العمال للمتقي ١٥/١٠٠ و١١٥ و١١٦ منه، وفي ←

٢ ـ دعوته عامة قبائل العرب:

في سيرة ابن هشام ما موجزه:

أ ـ قال الـراوي: كان رسولُ الله (ص) يقفُ على منازل القبائل من العرب فيقول: «يابني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تَعبُدُون من دونه من هذه الأنداد، وأن تُؤمنوا بي وتُصدِّقوا بي، وتمنعوني حتى أبَيِّنَ عن الله ما بَعثني به» قال: وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان(*) عليه حُلةٌ عَدَنية، فاذا فرغ رسول الله (ص) من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يابني فلان، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللَّاتَ والعُزَّى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: يا أبتِ، مَنْ هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب.

ب ـ وفي روايةٍ أُخرى: أنه أتى كِندَةَ في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له: مليح، فدعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ، وعَرَض عليهم نفسه، فأبوا عليه.

ج ـ وفي رواية: أنـه أتى كلبـاً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم «يابني عبد الله، إنَّ الله ـ عزّ وجل ـ قد أحسنَ اسمَ أبيكم».

فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

د ـ وفي رواية: أن رسول الله (ص) أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم

←

ص ١٣٠: يكون أخي وصاحبي ووليّكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلامية ببيروت ٢٨٥/١.

ولهدّما: كلمة تعجب. وفي الأصل:(لقدما) تحريف.

(*) غديرتان: تثنية غديرة، وهي ذؤابة من الشعر.

إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبحَ عليه رداً منهم.

هـ ـ وفـي رواية: أنـه أتى بنـي عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس والله لو أني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب.

ثم قال له: أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».

قال: فقال له: أفنهدفُ نحورنا(*) للعرب دونك، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟!! لاحاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه، فلما صَدَرَ الناسُ رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحدَ بني عبد المطلب، يزعم أنه نبيٌّ يدعونا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ؟ هل لِذُنَابَاها من مَطْلَب؟ والذي نفسُ فلان بيده ما تَقوَّلها إسماعيليٌّ قطُّ، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟

قال ابن اسحق: فكان رسول الله (ص) على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لايسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تَصدَّى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

* * *

هكذا كان ديدن النبي (ص) مع قبائل العرب في موسم الحجّ، حتى لقي رهطا من الخزرج، فدعاهم الى الاسلام، وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا

(*) «أفنهدف نحورنا» معناه نصيرها هدفاً، والهدف: الغرض الذي يرمىٰ بالسهام إليه.

من اليهود في المدينة خبر بعثة نبي آن اَوانه، فكانوا اذا كان بينهم شيء قال اليهود لهم ان نبيا مبعوث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلّما كلّمهم رسول الله و دعاهم الى اللّه قال بعضهم لبعض: يا قوم و اللّه انه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم اليه، فاجابوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فلّما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم امر رسول الله (ص) ودعوهم الى الاسلام حتى فشى فيهم، فلم تبق دار من دور الانصار الاّ وفيها ذكر رسول الله (ص)، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً، فلقوه في العقبة، فبايعوه على بيعة النساء على السمع والطاعة، وذلك قبل ان يفترض الحرب وبعث معهم النبي مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، و يعلمهم الاسلام و يفقههم في الدين، حتى اذا كان العام المقبل خرج الى الحج من المدينة المشـركـون منهم والمسلمون، فاجتمع المسلمون منهم بالنبي وواعدهم العقبة فتسلّل منهم ثلاثة وسبعون رجلاً ومعهم امرأتان فبايعه الرجال بيعة الحرب وهي بيعة العقبة الثانية، واتخذ منهم اثنا عشر نقيباً، فلما قدموا المدينة انتشر فيها الاسلام فاذن الله ـ تبارك وتعالى ـ لرسوله (ص) في الهجرة الى المدينة[٥].

---

(٥) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة ٣١/٢ ـ ٧٦.

رابعاً ـ مقابلة قريش للقرآن الكريم:

أخبر الله سبحانه عن استهزاء قريش برسول الله (ص) وقال في سورة الأنبياء:

﴿ وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (الآية/٣٦)

وأخبر عن قريش انهم كانوا يصفون الرسول (ص) بانه شاعر ومجنون وقال: في سورة الصافات:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (الآيات/٣٥ ـ ٣٦)

وانهم كانوا يقولون ان القرآن قول شيطان رجيم كما أخبر عن ذلك في سورة التكوير قوله تعالى:

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الآيات/٢٢ ـ ٢٧)

وأخبر عنهم أنهم كانوا يصفون الرسول بانه رجل مسحور وقال تعالى في سورة الاسراء:

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ (الآيات/ ٤٦ ـ ٤٧)

* * *

كان هذا النوع من المقابلة للقرآن الكريم من باب ﴿...وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ...﴾ (النمل/١٤) مع شعورهم بعجزهم عن مقابلة القرآن الكريم كما ندرس ذلك في مايأتي:

أ ـ قريش تتشاور كيف تمنع تأثير القرآن في النفوس:

ذكر ابن هشام[٦] وغيره واللفظ لابن هشام في خبر تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن وقال: اجتمع اليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رايا نقلْ به؛ قال بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال لا والله ماهو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة[٧] الكاهن ولا سجعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ماهو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر؛ قال: ماهو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ماهو بساحر، لقد رأينا

---

(٦) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣ ـ ٢٨٤، وابن اسحاق ص١٣١ ـ ١٣٢.

(٧) الزمزمة: الكلام الخفي الذي لا يسمع.

السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم[٨].

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إنّ لقوله لحلاوةً، وان أصله لعذق[٩] - وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام: ويقال لغَدَق[١٠] وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره فأنزل الله - تعالى - في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (الآيات/١١ ٢٦)

قريش تقترح حلا وسطا بينهم وبين الرسول (ص)

ومرة أخرى اقترحت حلاً وسطاً بينهم وبين الرسول في عبادة الالهة كما رواه المفسرون وفي تفسير (سورة الكافرون) وابن هشام في السيرة واللفظ لابن هشام.

---

(٨) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطاً ثم ينفث فيه. ومنه قوله تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾، يعني الساحرات.

(٩) *العذق (بالفتح): النخلة يشبهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جنىٰ.*

(١٠) الغدق: الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل: إذا كثر بصاقه. وكان أحد أجداد النبي (ص) يسمى الغيدق، لكثرة عطائه.

قال: الاسود بن المطّلب والوليد بن المغيرة واميّة بن خلف والعاص بن وائل السهمي اعترضوا رسول الله (ص) وهو يطوف بالكعبة وكانوا ذوي اسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد هلم، فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر فان كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وان كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله في ردّ اقتراحهم الجاهلي[١١].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

* * *

ب ـ تعنت قريش برسول الله (ص)

مرّة أُخرى اجتمعت سادة قريش برسول الله(ص) في البيت وحاولت أن تقنعه بترك الدعوة وحاوروه بعنف وغلظة وسوء أدب كما نذكره في الخبر الآتي:

روى الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...﴾ من سورة الاسراء الآيات/ ٩٠ ـ ٩٣ واللفظ للأول:

ان عتبة و شيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والاسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا الى محمد فكلموه

---

(١١) تفسير السورة في التفاسير واللفظ لابن هشام في السيرة١/٣٨٦.

وخـاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله (ص) سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم فى أمره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس اليهم.

فقالوا: يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين وسفهت الاحلام، وشتمت الالهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح الا وقد جئته فما بيننا وبينك.

فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً.

وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا.

وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا.

وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك. حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال رسول الله (ص): ما بي ما تقولون، ما جئتكم بماجئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً، و أنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي، و نصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

فقالوا: يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فانه كان شيخا صدوقاً، فنسألهم

عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك بالحق رسولا كما تقول.

فقال لهم رسول الله (ص): ما بهذا بعثت، انما جئتكم من الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم، فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ أصبر لامر الله، حتى يحكم الله بيني و بينكم.

قالـوا: فان لم تفعـل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم رسول الله (ص): ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشـيراً ونذيراً فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه عليّ اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل.

فقال رسول الله (ص): ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك.

فقالوا يا محمد فاعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك أيضا اذا لم تقبل منا ما جئنا به فقد بلغنا أنه انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله ما نؤمن بالرحمن أبداً أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا.

قال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله (ص) عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو ابن

عمتـه ابن عاتكة ابنة عبد المطلب فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ثم انصرف عن رسول الله (ص) وانصرف رسول الله (ص) الى أهله حزيناً أسيفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه.

فلما قام عنهم رسول الله (ص) قال أبو جهل: يا معشر قريش ان محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا و شتم آبائنا و تسفيه أحلامنا و سب آلهتنا و إني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر قدر ما أطيق حمله فاذا سجد في صلاته فضخت رأسه به[١٢].

فانزل اللّه عليه في ذلك: ﴿**وَ قَالُوا لَن نُّؤمِنَ لَكَ ... بَشَراً رَسُولاً**﴾ وأنزل عليه في قولهم (لن نؤمن بالرحمن) ﴿ **كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ** ﴾ وأنزل عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الجبال وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ...**﴾.

وأخبر الله عن تعنتهم برسول الله (ص) في سورة الاسراء وقال سبحانه وتعالى:

﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً * وَقَالُوا لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ**

---

(١٢) تفسير الآية بتفسير الطبري ١١٠/١٥ ـ ١١١، وتفصيله في سيرة ابن اسحاق ص١٧٨ ـ ١٨١، وتفسير ابن كثير ٦٢/٣.

يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً * قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾(الآيات/٨٨ ـ ٩٦)(١٣)

واستمرت قريش في تعنتها برسول الله كما أخبر الله عن موقفهم في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الفرقان:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً * وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً * ... وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً * ... وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً * ... وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الآيات/١ ـ ٣ و ٧ ـ ٨ و ٢٠ و ٣٢)

وقوله تعالى في سورة الانعام:

---

(١٣) انظر تفسير الآية من التفاسير وسيرة ابن هشام ١/٣٣١ ـ ٣٣٢.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الآيات/٧ ـ ١١)

* * *

لم تنجح جميع محاولات قريش في اسكات الرسول عن الدعوة إلى القرآن بما فيه من عيب لآلهتهم وتسفيه لاحلامهم فاشتدت خصومتهم للرسول وقرآنه كما نذكر امثلة منها في ما يأتي بحوله تعالى.

اشتداد الخصومة الفكرية بين قريش والرسول (ص):.

قص الله أخبار خصومة قريش مع القرآن و مبلغه و احتجاجهم الواهي و كيف أجاب عنها في الآيات الآتية:

أ ـ أخبر عن تعنتهم في سورة ص وقال:

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ * أَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ (الآيات/ ٤ ـ ٨).

وروى الطبري وغيره في شأن نزول الآيات واللفظ للطبري قال:

إن ناساً من قريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل و الأسود بن المطلب و الأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض، انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فليكف

عن شتم آلهتنا وندعه والـهه الّذي يعبد، فإنّنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فبعثوا رجلاً منهم يسمّى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله (ص) قال يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم قد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها قال وإلامَ تدعوهم قال أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة يدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل من بين القوم ماهي وأبيك فنعطينكها وعشر أمثالها قال تقول «لا اله إلا الله» فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الّذي يأمرك بهذا:

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ﴾ (الآيات/ ٦ ـ ٧)[١٤].

وأيضا أخبر الله تعالى عن تعنتهم في الآيات/٤٣ ـ ٤٥ من سورة سبأ وقال:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن

(١٤) تاريخ الطبري ط. دار المعارف بمصر ٣٢٣/٢ ـ ٣٢٤، وط. اوربا ١١٧٦/١ ـ ١١٧٧، والسيوطي ٢٩٥/٥ ـ ٢٩٦، وصحيح الترمذي كتاب التفسير ١٠٩/١٢ ـ ١١٠.

نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

وأجاب الله عن مثل هذا النوع من التحجج وأقام البراهين على عجز آلهتهم وصحة رسالة خاتم الأنبياء في آيات كثيرة نورد بعضها في ما يأتي بحوله تعالى:

ب - قال سبحانه في اثبات التوحيد ونفي الآلهة التي يعبدونها في الآية ١٠ و١١ من سورة لقمان:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾

وقال في الآية ٤ و ٥ من سورة الأحقاف:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَـاوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَـابٍ مِن قَبْلِ هَـٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾

وقوله تعالى في الآية ٣ من سورة الفرقان:

﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾ (الآية/٣)

ووصفهم في الآية ٢١ من سورة النحل وقال:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

وأخبر أنهم ومن معهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن وقال سبحانه في سورة البقرة:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (الآيات/٢٣ ـ ٢٤)

ولم يستطع مشركو قريش ولا الدهريون ولا الزنادقة والملحدون ولا اليهود ولا النصارى ولا أي خصم آخر أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولن يفعلوا أبد الدهر ولن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان الخصوم بعضهم لبعض ظهيراً.

وتحداهم سبحانه في قولهم إنّ القرآن مفترى أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إن كانوا صادقين وقال سبحانه في سورة هود:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (الآيات/١٢ ـ ١٤)

وفي آية أُخرى تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله وقال في سورة يونس:

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ * وَمِنْهُم مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَن لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الآيات/٣٧ ـ ٤٠)

ج ـ وأجاب عن تشكيكهم في المعاد في الآيات ٧٨ ـ ٨٣ من آخر سورة ياسين وقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

روى المفسرون وقالوا: أنزل الله تعالى هذه الآيات الكريمة بعد أن قدم العاص بن وائل وأبو جهل وغيرهما من عتاة قريش بعظم حائل أمام الرسول (ص) فذراه في الريح وقال من يحيي العظام وهي رميم؟

وفي رواية أتى أُبَي بن خلف إلى النبي (ص) ومعه عظم قد وتر فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد! أنت الذي تحدث إن هذا سيحيا بعدما قد بلي فقال رسول الله (ص) نعم ليميتن الآخر ـ أي يميتن ابيا ـ ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار[١٥].

* * *

وأندحرت قريش في مقابل الأدلة التي أقامها القرآن لهم فتحججوا واقترحوا اقتراحات غير معقولة كالآتي خبره:

مقابلات أخرى من قريش واستهزاء بالرسول(ص) ودعوته

وكان خمسة من عتاة قريش دائبين على الاستهزاء برسول الله (ص) منهم العاص بن وائل السهمي وكان إذا ذكر رسول الله (ص) يقول: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لاعقب له لو مات لانقطع ذكره واسترحتم منه وأنزل الله في حقّه سورة الكوثر وقال سبحانه:

---

(١٥) تفسير السورة في الطبري ٢١/٢٣، والدر المنثور ٢٦٩/٥ ـ ٢٧٠.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلأَبْتَرُ ﴾(١٦).

وقالوا له الأبتر بعد موت ابنه القاسم بمكّة. والكوثر: العدد الكثير(١٧). وقد صدق الله وعده لرسوله فإنه لا يعرف اليوم نسل للعاص بن وائل وأكثر الله نسل رسوله (ص) من ابنته فاطمة (ع) على وجه الأرض.

نهاية أمر المستهزئين:

قال ابن إسحاق ما موجزه:

فأقام رسول الله (ص) على أمر الله صابراً محتسباً مؤدّياً إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب... فلما تمادوا في الشر وأكثروا الاستهزاء برسول الله (ص) أنزل الله ـ تعالى ـ عليه:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ * ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰـهاً آخَرَ ... ﴾ (الحجر/٩٤ ـ ٩٦).

ثم روى ابن اسحاق كيف أهلك جبرائيل كل واحد من المستهزئين(١٨)، وقال:

أن جبرئيل أتى رسول الله (ص) وهُم يطوفون بالبيت، فقام و قام رسول الله (ص) إلى جنبه، فمرَّ به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار الى بطنه فاستسقى [بطنه] فمات

---

(١٦) سيرة ابن هشام ٤٢١/١ ط. القاهرة. وتفسير سورة الكوثر بتفسير الطبري ٢١٢/٣٠ واللفظ للاول، وسيرة ابن اسحاق ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(١٧) تفسير الابتر والكوثر من المعجم الوسيط في اللغة.

(١٨) سيرة ابن هشام ١٥/٢ ـ ١٨ ط. القاهرة وتفسير السور في كتب تفسير القرآن بالحديث، وسيرة ابن اسحاق ص٢٥٤.

منه حَبنا[١٩]؛ ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله[٢٠] وذلك أنه مرَّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش،وليس بشيء، فانتقض[٢١] به فقتله؛ ومرَّ به العاص بن وائل فأشار الى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة[٢٢] فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته، ومرَّ به الحرث ابن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخض قيحاً فقتله.

---

(١٩) الحبن: بحاء مهملة وبفتحتين، داء في البطن ينتفخ منه ويعظم فيرم.

(٢٠) سبله: بفتح السين والباء الموحدة، فضول ثيابه. و (بسنين) في سيرة ابن اسحاق كذا: بيسير.

(٢١) انتقض الجرح: تجدد بعدما دمل وبرىء.

(٢٢) شبرقة: بكسرتين بينهما باء ساكنة، هو نبات ذو شوك يقال له الضريع، وفي المواهب «فدخلت فيه شوكة من رطب الضريع».

خامساً ـ سياسة النبي في أمر القراءة والاقراء:

وفي مقابل كل ذلك الاستهزاء كان رسول الله (ص) والمسلمون الاوائل لا يألون جهداً في اسماع القرآن لكل من أمكنهم اسماعه وفي ما يأتي امثلة من أنواع الجهد الذي بذلوه في هذا السبيل:

إن الرسول بدأ اسماع الناس للقرآن وتبليغهم وانذارهم بالقرآن واقتدى به المسلمون الأوائل في ذلك اما الرسول فقد كان يسمع القرآن لكل سامع يمر عليه عندما كان يتلو القرآن في صلاته في المسجد الحرام بمنظر ومسمع من قريش في أنديتهم حول الكعبة ومنظر ومسمع من شتى قبائل العرب التي تفد الى مكة للحج وتطوف حول البيت وعندما تنزل الآيات في ردّ احتجاج المشركين على رسول الله واختلف معاصرو رسول الله في مقابلتهم لقراءة الرسول فمنهم المشركون الذين أخبر الله عن قولهم وقال سبحانه:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت/٢٦).

ومنهم من أخبر الله عنهم وقال سبحانه:

﴿ وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة/٨٣).

مثل عداس النصراني في الطائف[٢٣].

---

(٢٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠ ـ ٣١، وترجمته في أسد الغابة ط. القاهرة سنة ١٣٩٠هـ ٤/٤ ←

ومن الجن ـ ايضاً ـ كما أخبر الله عنهم وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً * يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحداً * ... وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ﴾ (الجن/١ ـ ٢ و ١٣).

* * *

كذلكم اختلف الذين سمعوا القرآن من النبي (ص) أما أمر كيفية إقراء القرآن، فكالاتي خبره:

كيفية الإقراء:

أ ـ اقراء الله جل اسمه لرسوله (ص):

قد بين الله كيفية إقرائه لرسوله والنظام الذي يتبعه الرسول في تلقي القرآن في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و قُرْءَانَهُ * فإذا قَرَأْنَـهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة/١٧ ـ ١٩).

أي: إنّ النصّ القرآني مع بيان معناه بوحي غير قرآني ينزل من الله على رسوله (ص) فاذا تم نزوله على النبي (ص) أن يتابع قراءته.

وان على الله جمع القرآن بكلّ ماجمع القرآن من معنى ووعد الرسول بأنّه سوف لا ينسى القرآن الذي يُقرئه الله وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ والإقراء تعليم اللفظ والمعنى معاً. وتضميناً لحفظ القرآن أبد الدهر من النسيان فرض الله على الجميع قراءة القرآن في كلّ ركعة من صلوات الفريضة والنافلة وقال:

→

الترجمة ٣٥٩٧، والاصابة ٤٥٩/٢ الترجمة ٥٤٧٠.

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ (الاسراء/٧٨).

وفرض على رسوله (ص) خاصّة قيام الليل وشرّفه بالخطاب وقال له:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾

هكذا فرض الله على نبيه إحياء ثلث من كل ليلة عمره في ترتيل القرآن في نافلة الليل وندب المسلمين إلى ذلك(٢٤).

وفي شهر رمضان من كل عام كان جبريل يعارض الرسول القرآن مرّة أي ان جبريل كان يقرأ ما نزل من القرآن الى ذلك التاريخ على رسول الله (ص) مرة ورسول الله ـ أيضاً ـ كان يقرأه عليه، وفي عام وفاته عارضه القرآن مرتين(٢٥).

ب ـ إقراء الرسول (ص) للناس:

وحقق ذلك أولاً في اقرائه من آمن به في مرحلة الدعوة الخاصة حيث آمن به خديجة وعلي فاقرأهما القرآن وصليا معه وبعد ما يقارب ثلاث سنوات انتهت الدعوة الخاصّة عندما نزلت على رسول الله (ص) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ﴾ فدعا عامة اقربائه ثم تلا ذلك نزول قوله تعالى عليه: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...﴾ (الانعام/١٩).

وقد تولى نزول القران بعد ذلك على رسول الله (ص) في مكة والمدينة،

---

(٢٤) راجع استحباب صلوات النوافل وخاصة نافلة الليل في كتب الحديث.

(٢٥) مسند احمد ٢٨٢/٦، وسنن ابن ماجه ص٥١٨ الحديث ١٦٢١ كتاب الجنائز باب ماجاء في ذكر مرض رسول الله (ص)، وجاء بعض الحديث في صحيح مسلم فضائل الصحابة ١٩٠٥/٤ الحديث ٩٨ و ٩٩.

وكان لابد في الدعوة؛ من اقراء المؤمنين سرّاً ومن أجل ذلك نظم الرسول (ص) خلايا سرية لاقراء المستضعفين القرآن كالاتي بيانه.

اتخذ الرسول (ص) من دار الارقم بن أبي الارقم مركزاً سرياً للاقراء والارقم هو أبو عبد الله بن عبد مناف المخزومي. أسلم قديماً وكان السابع أو الثاني عشر ممن أسلم وشهد مع رسول الله بدراً وما بعدها وتوفي بالمدينة سنة خمسة وخمسين من الهجرة وكانت داره في أصل الصفا بمكة وكان المسلمون الاوائل يجتمعون فيها برسول الله (ص) يقرئهم القرآن.

قال ابن سعد وغيره بترجمة عمر بن الخطاب وخبر اسلامه، وأسلم فيها (دار الارقم) قوم كثير ودعيت دار الاسلام.

قال المؤلف:

وتفرعت من هذه الخلية خلايا أخرى صغيرة بمكّة كان منها: دار سعيد ابن زيد بن نفيل العدوي كما تحدث عنها الصحابي الخليفة عمر بن الخطاب وقال في حديثه عن خبر إسلامه إنّه سمع بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، فذهب إلى دارهما، قال:

وقد كان رسول الله (ص) يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند رجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد كان ضمّ إلى زوج أختي رجلين، قال: فجئت حتى قرعت الباب فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: و كان القوم جلوساً يقرؤون القرآن في صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا و اختفوا و تركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم، قال: فقامت المرأة ففتحت لي فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني أنّك صبوت قال فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به قال فسال الدم، قال: فلما رأت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت! قال: فدخلت مغضباً فجلست على السرير، فنظرت، فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب اعطينيه، فقالت: لا أعطيك لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾

قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه فإذا فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فلما مررت بـ (الرحمن الرحيم) ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال: ثم رجعت اليّ نفسي فإذا فيها ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، قال: فكلما مررت باسم من أسماء اللّه عز وجل ذعرت ثم ترجع إليّ نفسي حتى بلغت: ﴿آمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ حتى بلغت إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين ﴾ قال: قلت أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأشهد أنّ محمداً رسول اللّه(ص)[٢٦].

وفي رواية ابن سعد و ابن هشام و اللفظ للأخير قال: كان خبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ـ إلى قوله: فرجع عمر إلى أخته وختنه وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إيّاهما فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب في بعض البيت و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ـإلى قوله ـ فأعطته الصحيفة وفيها (طه) ـ الحديث[٢٧].

* * *

قال الصحابي عمر، كان رسول الله (ص) «يجمع الرجل أو الرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة» وهذا ما سميناه بتشكيل الخلايا السريّة لإقراء القرآن كما وجدنا خباب بن الارت يقرئ فاطمة وزوجها القرآن عندما اقتحم الدار عليهم عمر بن الخطاب، وكان شغل المسلمين الشاغل يومذاك حفظ القرآن عن

---

٢٦) أسد الغابة بترجمة عمر بن الخطاب، ٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨، رقم الترجمة ٣٨٢٣ .

(٢٧) طبقات ابن سعد بترجمة عمر، وسيرة ابن هشام (اسلام عمر) ط. مصر سنة ١٣٥٦، ١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧؛ وسيرة ابن اسحاق، اسلام عمر بن الخطاب، ص ١٦٠. وخباب بن الارت التميمي نسباً ومن حلفاء بني زهرة من قريش كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية وكان من السباقين إلى الاسلام وممن عذبته قريش على اسلامه شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) وكان مع علي في خلافته (ت:٣٧هـ) بعد مرض طويل راجع ترجمته في أسد الغابة وغيره.

ظهر قلب واليكم خبرين يدلان على حفظهم القرآن عن ظهر قلب.

خبر اجهار ابن مسعود بقراءة القرآن:

ومن الـذين استمعوا إلى القرآن،وآمنوا به في المرحلتين الأخيرتين من اقتدى بالرسول في إسماع القرآن للناس مثل عبد الله بن مسعود.

روى ابن عبد البر وابن الاثير وابن حجر وغيرهم في ترجمة عبد الله بن مسعود من كتب تراجم الصحابة، وكذلك روى في كتب التاريخ كلّ من الطبري وابن الأثير وابن كثير وغيره في ذكر حوادث قبل هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة وقالوا:

كان أوّل من جهـر بالقـرآن بمكّة بعد رسول الله (ص) عبد الله بن مسعود وذلك لأنه اجتمع يوماً أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهم فقال عبد الله بن مسعود أنا. فقالوا: إنّا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه. فقال: دعوني فإن الله سيمنعني فغدا عبد الله حتىٰ أتىٰ المقام في الضحى و قريش في أنديتها، حتّىٰ قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ٱلرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ ﴾

فاستقبلها فقرأ بها فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن ام عبد ثم قالوا: انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

فقال ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن و لئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً. قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[٢٨].

---

(٢٨) أسد الغابة ٣/٢٥٦ ٢٥٧، والاصابة ٢/٣٦١، وطبقات ابن سعد ٣/١١٧، والطبري ←

عليهم وتعذيبهم المسلمين.

فكان لابد له من القيام بأداء هذا الواجب سرّاً ومن أجل ذلك نظّم خلايا سرّية لإقراء المستضعفين، القرآن كما مر بنا خبره. وفيما يأتي ندرس بأذنه ـ تعالى ـ خبر تدوين القرآن بمكّة.

سادساً ـ تدوين القرآن

أ ـ من كان يقرأ ويكتب في مكّة:

ونبدأ فيه بذكرأمر الكتابة في مكة قبل نزول القرآن ثمّ نذكر باذنه تعالى شأن تدوين القرآن بمكّة.

أمر الكتابة في مكة قبل نزول القرآن.

قال البلاذري في فتوح البلدان:

دخل الاسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلُّهم يكتب وهم: عمر بن الخطاب، وعليٌّ بن ابي طالب، وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجرّاح وطلحة ويزيد بن أبي سفيان، وأبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وحاطب بن عمرو أخو سُهَيل بن عمرو العامري من قريش، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي، وأبـان بن سعيد بن العـاصي بن أميّة، وخالد بن سعيد أخوه، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري، وحويطب بن عبد العزّى العامري، وأبو سفيان، وجُهَيم بن الصّلت بن مَخرَمـة بن المطلب بن عبد مناف، ومن حُلفاء قريش العلاء بن الحضرمي[٢٩].

أمّا أمر تدوين القرآن، فان النظام الذي كان قد سنّه الرسول (ص)

---

(٢٩) فتوح البلدان للبلاذري ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ١٣٧٧هـ، ص٦٦٠ ـ ٦٦١.

لتدوين القرآن في مكة والمدينة كان امرأ واحداً وسوف ندرس نظام تدوين القرآن في أخبار القرآن في المدينة ان شاء الله تعالى.

ب ـ كيفية الإقراء:

ينقسم قراءة القرآن وتدوينه في العصر المكّي إلى ما يخصّ الرسول (ص) وما يعمّ المسلمين كالآتي بيانه:

١ ـ ما يخّص الرسول (ص):

إن أول ما أقرأ الله ـ جلّ جلاله ـ رسوله (ص) من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة اقرأ حيث قال سبحانه:

أ ـ فى سورة العلق:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

ب ـ في سورة الأعلى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾

ح ـ في سورة القيامة:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

وفي صحيحي مسلم و البخاري واللفظ للأول[٣٠]: بسندهما عن فاطمة إن رسول الله (ص) قال لها ـ في مرض وفاته ـ: إن جبريل كان يعارضه بالقرآن

---

(٣٠) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة (ع) الحديث رقم ٩٨ و ٩٩ ١٩٠٥/٤، وصحيح البخاري ١٥١/٣، كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي (ص)، ومسند احمد ٢٨٢/٦، وسنن ابن ماجه كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله (ص) ص٥١٨ الحديث ١٦٢١.

كلّ عام مرّة و أنّه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي.

كان ذلكم أمر إقراء الله ـ جلّ اسمه ـ نبيّه الكريم (ص) القرآن سواء كان في مكّة أو في المدينة.

٢ ـ ما يعمّ المسلمين بمكة:

من خبر إقراء خباب بن الأرت فاطمة أُخت عمر بن الخطاب وزوجها علمنا ان الرسول (ص) كان قد نظّم خلايا سريّة لإقراء المسلمين القرآن بمكة. وفي ما يأتي بعض أخبار القرآن لدى المهاجرين من مكة إلى الحبشة.

المسلمون والقرآن في الحبشة:

في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وغيرهما ما موجزه:

لما اشتدّ اذىٰ قريش للمؤمنين الذين أظهروا اسلامهم أمرهم الرسول بالهجرة إلى الحبشة فهاجر زهاء ثمانين رجلا و أمرأة من المسلمين فأجارهم النجاشي ملك الحبشة فبعثت قريش بهدايا إليه مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وطلبت منه أن يعيدهم إلى مكة فجمع النجاشي بين المسلمين وعمرو وعمارة فقرأ جعفر عليه صدر سورة كهيعص ـ سورة مريم ـ فبكى النجاشي حتىٰ اخضلت لحيته وأبى أن يعيد المسلمين إلى قومهم قريش(٣١).

لم يعين ابن هشام وغيره إلى أيّة آية قرأ جعفر من سورة مريم ولا بد أنه قرأ صدر السورة الى الآية ٣٤ منها والتي جاء فيها ذكر زكريا ويحيى وعيسى ومريم عليهم السلام.

إن خبر ابن مسعود وخبر جعفر يدلان على أن المسلمين كانوا يحفظون

---

(٣١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠؛ وطبقات ابن سعد، ١/ ٢٠٧؛ وسيرة ابن اسحاق ص ١٩٤.

ما نزل من القرآن ما يساعدهم أن يقرأوا في كل مكان ما يناسبهم، كما أن خبر خليّة بيت فاطمة ابنة الخطاب كان يدل على وجود القرآن مكتوبا عند المسلمين بمكة.

سابعاً ـ خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الرسول (ص):

وعندما بعث الرسول (ص) قوّض بالاسلام النظام القبيلي في الجزيرة العربية والنظام الطبقي في سائر المجتمعات البشرية في مابلّغ عن الله قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات/١٣).

وبقوله في خطبته (ص) وسط ايام التشريق عام حجة الوداع:

«يا ايها الناس! الا انّ ربكم واحد وانّ اباكم واحد ألا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على اسود ولا لأسود على أحمر إلّا بالتقوى، ابلّغت؟ قالوا: بلّغ رسول الله (ص)!»[١].

وعلى هذا الاساس اقام (ص) المجتمع الاسلامي الاول في المدينة المنورة، فعاش فيه سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وابو ذر العربي البدوي متآخين كاسنان المشط لا تفاضل بينهم، واربى على ذلك حين زوّج مولاه زيدا ابنة عمته زينب حفيدة عبد المطلب، وضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب المقداد بن عمرو مولى بني زهرة[٢]، ووظف على بلال الحبشي

(١) مسند احمد ٥/٤١١.

(٢) راجع في خبر زواج زينب بنت جحش بحث صفات المبلغين من عقائد الاسلام من ←

الأذان حتى علا سطح الكعبة يوم الفتح وأذن عليها.

وكان من الطبيعي أن يظهر أحياناً في ذلك المجتمع المثالي آثار التعصب القبيلي بين صحابة الرسول(ص) الذين نشأوا وعاشوا قبل الإسلام في المجتمع الذي بنيت أُسسه على النظام القبيلي ونقتصر بذكر بعض أخبارها في ما يأتي باذنه تعالى:

أ ـ التعصب القبيلي للصحابة المهاجرين من قريش

١ ـ روى مسلم عن عائذ بن عمرو:

(ان ابا سفيان اتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا والله ما اخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها.

قال ابو بكر: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم).

قال محمد فؤاد عبد الباقي في شرح الحديث:

هذا الاتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية[٣].

→

القرآن الكريم وخبر زواج ضباعة في ترجمة ضباعة من الاصابة.

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال ١٩٤٧/٤، وفي ترجمة (سلمان) و(صهيب) و(بلال) من سيرة النبلاء ٢/ ١٥: واللفظ لمسلم الاستيعاب ٢/ ٦٣٩ ط. مصر، تحقيق علي محمد البجاوي.

أ ـ أبو عبد الله سلمان الفارسي كان مجوسياً ثم تنصر قبل بعثة رسول الله (ص) وقصد المدينة ليدرك الرسول، فصحب قوما من العرب، فأسروه، وباعوه لرجل من يهود المدينة، فرأى رسول الله (ص)، وعرف فيه علامات النبوة، وأسلم على يديه، فاشتراه رسول الله (ص)، وأعتقه وهو الذي أشار على النبي يوم الخندق بحفر الخندق، وقال النبي في حقه يوم ذاك: سلمان منا أهل البيت، وتوفي في عصر عثمان سنة خمس وثلاثين في المدائن أميرا عليها ودفن هناك. أسد الغابة ٢٢٨/٢ ـ ٢٣٢.

ب ـ صهيب بن سنان الربعي النمري، كان أبوه عاملا لكسرى على الابلة، فغارت الروم عليهم، وأسرت صهيبا فنشأ فيهم، ثم باعته الى كلب فجاءت به الى مكة، فباعته من عبد الله بن جدعان فأعتقه، وكان من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا في مكة، وكناه الرسول أبا يحيى،

←

٢ ـ في سنن الدارمي وابي داود ومسند احمد وغيرها بسندهم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص انه قال:

«كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله (ص)، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب و الرضا؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: «أُكتب فوالّذي نفسي بيده ماخرج منه إلاّ حقّ»[٤].

انّ التعصب الجاهلي هو الذي دفع الصحابة القرشيين ان يمنعوا عبد الله ابن عمرو بن العاص من كتابة الحديث لما كان فيه ذكر اسماء القرشيين الذين ناهضوا الرسول، وحاربوا الاسلام و المسلمين، و جاء ذكر أفعالهم في القرآن الكريم و بيان اسمائهم في حديث الرسول (ص).

←

وكان في لسانه لكنة. توفي بالمدينة سنة ثمان أو تسع وثلاثين ودفن بها وكان ابن سبعين أو ثلاث وسبعين. أسد الغابة ٣/٣١ ـ ٣٣.

ج ـ بلال بن رباح الحبشي، وأمه حمامة، كان من السابقين الى الاسلام، فعذبته قريش، فكانت تبطحه على وجهه في الشمس، وتضع الرحاء عليه حتى تصهره الشمس، ويقولون له: أكفر برب محمد، فيقول: أحد، أحد، واشتراه أبو بكر وأعتقه، وكان مؤذن رسول الله (ص)، وخازنه، وشهد معه مشاهده كلها، وذهب بعد النبي الى الشام غازياً، وتوفي هناك في العشر الثاني بعد الهجرة، وعمره بضع وستون سنة. أسد الغابة ١/٢٠٩.

(٤) سنن الدارمي، ١/١٢٥، باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود ٢/١٢٦، باب كتابة العلم، ومسند أحمد ٢/١٦٢، ١٩٢ و٢٠٧ و٢١٥، ومستدرك الحاكم ١/١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٨٥ ط. الثانية، ط. العاصمة بالقاهرة سنة ١٣٨٨.

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي وامه ريطة بنت منبه السهمي كان اصغر من أبيه بإحدى عشرة أو اثنتى عشرة سنة. اختلفوا في وفاته أكان بمصر أو الطائف أو مكة وعام ٦٣ أو ٦٥. راجع ترجمته بأسد الغابة ٣/٢٣، والنبلاء ٣/٥٦، وتهذيب التهذيب ٥/٣٣٧.

ب ـ التعصب القبيلي في قبائل الانصار

خبر مسجد ضرار

قال تعالى في سورة التوبة/١٠٧.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

قال ابن عباس: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا﴾ هم أناس من الانصار ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر: اِبنوا مسجدكم، و استمدوا بها استطعتم من قوة و سلاح، فاني ذاهب الىٰ قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً و أصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا الرسول (ص) فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنُحب أن تصلّي فيه، و تدعو بالبركة، فأنزل الله﴿لاتقم فيه أبداً﴾[٥].

ج ـ خبر الشجار على ماء المريسيع:[٦].

عندما هاجر الرسول (ص) الى المدينة آخىٰ بين المهاجرين من قريش من نسل نزار ورجال من الأوس و الخزرج من الأنصار من نسل قحطان[٧]

---

(٥) في الطبري ١١/١٨ ـ ٢٠ والدر المنثور ٣/٢٧٦ عن ابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابو عامر عبد عمرو بن صيفي الراهب كان رأس الاوس في الجاهلية وترهّب لما بلغه من اليهود ان خاتم الانبياء يكون في المدينة املا في ان يكون هو النبي المبشر له فلمّا هاجر الرسول الى المدينة حسد رسول الله فلم يسلم وجاهر الرسول بالعداوة وخرج إلى مكة وحرّضهم لحرب رسول الله (ص) ثم ذهب الى قيصر لنفس الغرض.

(٦) المريسيع: ماء يبعد عن المدينة أياماً، كان يسكن حوله قوم من خزاعة يقال لهم: بنو المصطلق، غزاهم رسول الله (ص) في العام الخامس أو السادس بعد الهجرة. (امتاع الأسماع ص ١٩٥) وجهجاه من قبيلة غفار كان يومذاك أجيراً لعمر بن الخطاب المهاجري لذلك نادى بشعارهم ومات جهجاه بعد عثمان بسنة أسد الغابة ١/٣٠٩.

(٧) ولد نزار بن معد بن عدنان: مضر وربيعة واياد وانمار وولد مضر: الياس وقيس عيلان وعرب الشمال ينتسبون إلى عدنان ومعد ونزار ومضر وربيعة وقيس.

←

فعاشوا بوئام و إخاء حتى إذا انتهوا من معركة غزوة بني المصطلق وقعت أوّل منـافرة بينهما عندما وردت واردة الناس على ماء المريسيع، فازدحم على الماء جهجاه بن مسعود وهو يقود فرس عمر بن الخطاب، وسنان بن وبر الجهني حليف الخزرج، فاقتتـلا، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار!

و صرخ جهجاه: يامعشر المهاجرين!

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي رئيس المنافقين وعنده رهط من قومه، فقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا، و كاثرونا في بلادنا! والله ما عدنا و جلابيب قريش هذه إلا كما قال الاول: «سمن كلبك يأكلك»!

أما والله لان رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ.

ثم قال لمن حضره من قومه: هذا مافعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، و قاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم مابأيديكم، لتحوّلوا إلى غير داركم.

فبلغ ذلك رسول الله، و أشاروا عليه بقتله، فلم يقبل، و إنّما عالج الامر بحكمة، حيث أمر بالرحيل في غير ساعة الرحيل، و سار بالناس يومهم ذلك حتى أصبح، وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس، فلما نزل بهم و مس جلدهم الأرض، و قعوا نياماً و بذلك شغلهم عن حديث المنافرة.

و في هذه الواقعة نزلت سورة (المنافقون) ومنها الآية/٨

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

و بلغ حسـان بن ثابت الانصاري الذي وقع بين جهجاه و بين الفتية

←

أما عرب الجنوب فينتسبون إلى الازد وسبأ وقحطان والازد هو ابن الغوث بن نبت بن مالك ابن كهلان بن سبأ. وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (جمهرة أنساب العرب ٣١٠ ـ ٣١١).

الأنصار، فقال وهو يريد المهاجرين:

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا وابن الفـريعة أمسى بيضة البلد[٨]

الأبيات

فجاء صفوان بن المعطّل إلى بعض المهاجرين وقال: انطلق بنا نضرب حسّاناً، فوالله ماأراد غيرك وغيري.

ولما أبى المهاجري ذلك ذهب صفوان وحده، مصلتا بالسيف حتى ضرب حساناً في نادي قومه، وجرحه وقال:

تلق ذبــاب الــسيف عنّي فانــنّي غلام إذا هوجيت لست بشـاعر[٩]

ثم أصلح الرسول بينهم، وانتهت بذلك أول منافرة وقعت بين فرعي القبيلتين بعد أن عالجها الرسول بحكمته.

ووقعت الثانية يوم وفاة الرسول(ص)، وذلك لأن المجتمع العربي في شبه الجـزيرة كان يتوزع على مجتمعات قبليّة متعدّدة، وبعد هجرة الرسول إلى المدينة وفتح مكة أصبحت المجتمعات المتعددة يحكمها مجتمع المدينة الواحد المتكون من المهاجرين والأنصار.

وكان المهــاجرون جلّهم من مكّة ماعدا النادر منهم وهم ينتمون الى قريش وحلفائها ومواليها والانصار كلّهم من اليمن ومن قبائل سبأ؛ وبذلك تحولّت العصبيّة القبيليّة المتعدّدة الى التعصّب بين مهاجرة قريش ومن انتمى اليها من نزار والأنصار ومن أنتمى اليها من السبأيين.

وأوّل شجار وقع بينهما بعد الرسول (ص) حدث في سقيفة بني ساعدة

---

(٨) الجلابيب سفلة الناس، وبهامش الأغاني ١١/٤ (كان المنافقون يسمون المهاجرين بالجلابيب، وفي ديوان حسان (الخلابيس) أي الأخلاط من كل وجه الفريعة اسم أم حسان وبيضة البلد: يقال للمدح والذم.

(٩) الـطبري، ط. اوربـا، ١٥٢٦/١؛ الأغاني ١٢/٤ عن الزهري ولسان العرب مادة (بيض)؛ امتاع الأسماع للمقريزي ٢١١/١.

ثم امتدّ الى عصور طويلة بعد ذلك كما سندرسه في مايأتي بحوله تعالى.

* * *

زالت الاعراف الجاهليّة ظاهراً عن شبه الجزيرة العربية بعد نزول سورة البراءة و اعلامها على الحجيج المسلم و المشرك في منى في السنة التاسعة من الهجرة.

و أصبح المجتمع الاسلامي من جانب الحاكم وقليل من افراده اسلاميا انسانيا وفي سلوك الكثرة الكاثرة من افراده مزيجاً من الاعراف القبيلية الجاهلية و الاخلاق الاسلامية ومن قبل بعض آخر من افراده قبيلي جاهلي محض وهم الّذين سموا بالمنافقين.

وكان اهمّ ميزة هذا العصر بقاء الاحساس القبيلي بين افراده سواء منّهم المؤمن والمنافق والذي كان تظهر آثاره بين حين وآخر في المجتمع، فيعالجها الرسول (ص) بحكمته. وكان ذلكم خصائص المجتمع في هذا العصر.

نكتفي من أخبار القرآن بمكة لندرس في ما يأتي بحوله تعالى أخبار القرآن في العصر المدني.

الفصل الثاني

أخبار القرآن الكريم في عصر نزوله في المدينة على عهد الرسول الأكرم (ص)

١ ـ القرآن المدني.
٢ ـ النظام الذي سنه النبي (ص) في إقراء القرآن.
٣ ـ نظام المفاضلة بالقرآن.
٤ ـ تدوين القرآن في المدينة.
٥ ـ أخبار السيرة في القرآن الكريم.

أولا ـ القرآن المدني وما حواه

يحكي القرآن المدني عن بعض ما دار بين الرسول (ص) وهو في المدينة مع كفار قريش وسائر مشركي العرب من معارك فكرية وحروب قتالية، وكذلك ما دار بينه (ص) وبين أهل الكتاب من يهود ونصارى من ذلك، وبعض ما جرى في المجتمع الإسلامي الأوّل الّذي شيّده (ص) مع المنافقين والمؤمنين وما جرى في بيته (ص) يومذاك وما شرعه الله للإنسان في جميع مناحي حياته من نظام إلى غير ذلك مما أشرنا إليه في خصائص القرآن المكّي وفي ما يأتي أمثلة مما ذكرناه إن شاء الله تعالى.

ما جرىٰ مع أهل الكتاب

بسبب وضوح ما كان في كتب الله من تعريف خاتم الأنبياء أخبر الله عنهم أنّهم كانوا يعرفون خاتم الأنبياء وقبلته وشريعته كما يعرفون أبناءهم وقال عزّ اسمه في سورة البقرة:

﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى في سورة الأنعام:

﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الآية/٢٠)

وتنقسم معارك القرآن مع أهل الكتاب على ما كان بينه وبين اليهود وما كان بينه وبين أهل الكتاب من النصارى، وفي ما يأتي نوردهما على التوالي بإذنه تعالى:

ما دار بين اليهود وبين القرآن ومُبَلِّغَهُ والمؤمنين من حوار وخصام:

المعارك الفكرية بين القرآن المدني والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين:

استمرّ القرآن المدني في معاركه الفكرية مع المشركين مثل قوله تعالى في سورة الحج:

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الآيات/٧٣ ـ٧٤)

سفّه أحلام المشركين في هذه الآية في ما اتخذوه آلهة من دون الله كما كان شأن القرآن المكّي وعـمّم في الخطاب قريشاً وغيرهم هاهنا بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس...﴾ وعممّ الخطاب بينما المخاطبون هم مشركو قريش.

وأضاف إلى معركته مع المشركين معركة أخرى مع أهل الكتاب وخاطبهم قائلاً في سورة المائدة:

﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الآية/١٩)

وأثنى على بعضهم وقال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوراةِ وَٱلإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف/١٥٧).

وأخبر ـ سبحانه ـ أنّهم يكتمون الحقّ ويلبسونه بالباطل، وقال في سورة آل عمران:

﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(الآية/٧١)

وأخبر أنّه كان قد أخذ ميثاقهم ألا يكتمونه ويبينونه للناس وقال:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (الآية/١٨٧)

وقال سبحانه في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ ٱلنَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية/ ١٧٤).

وقال ـ عزّ اسمه ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ أُوْلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللاَّعِنُونَ ﴾ (البقرة/١٥٩).

وأخبر أنّ الرسول يبيّن كثيراً ممّا يخفون من الكتاب لقوله تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ (المائدة/١٥).

و من أخبار القرآن المدني:

تنقسم أخبار القرآن في المدينة إلى ما كانت قبل هجرة الرسول (ص) إليها وماجرت بعد هجرة الرسول (ص) إليها.

أما ما كان قبل هجرة الرسول (ص) إليها، فقد تحدث عنها جابر بن عبد الله الأنصاري، وقال: عن بدء إسلام الأنصار:

(... بعثنا الله إليه ـ أي إلى رسول الله (ص) ـ من يثرب فآويناه

وصدّقناه فيخرج الرجل منّا فيؤمن به. ويُقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه...) الحديث[1].

وروى ابن هشام وغيره: أنّ النبيّ (ص) بعث مع الأنصار بعد بيعتهم الأولى على الإسلام مصعب بن عمير، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يُسمّى المقرئ بالمدينة[2].

وفي صحيح البخاري عن الصحابي البراء بن عازب قال:

أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم وكانا يقرئان الناس[3].

وروى الذهبي بترجمة زيد بن ثابت من تذكرة الحفاظ أن زيداً قال: (أتى النبيّ (ص) المدينة وقد قرأت سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله (ص) فأعجبه ذلك)[4].

كذلك انتشرت قراءة القرآن في المدينة قبل هجرة الرسول (ص) إليها.

* * *

كانت تلكم بعض أخبار القرآن في المدينة قبل هجرة الرسول إليها وعندما هاجر الرسول (ص) إليها اتّخذ من مسجده مدرسة لإقراء القرآن وسنّ نظاماً لتدوين القرآن وإقرائه كما سنذكره فيما يأتي بإذنه تعالى.

---

(١) مسند احمد ٣/٣٢٢، ٣٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٢ ط. مصر سنة ١٣٥٦ هـ، خبر بيعة العقبة الاولى. ومصعب بن عمير: ابو عبدالله القرشي اسلم قديماً وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدراً واستشهد بأحد راجع ترجمته في جميع كتب تراجم الصحابة.

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٢٤ كتاب مناقب الانصار باب مقدم النبي (ص) المدينة، وفي كتاب التفسير، تفسير سورة (سبح اسم ربك) ٣/١٤٣. ومسند احمد ٤/ ٢٨٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٣١.

ثانياً ـ النظام الذي سنّه النبيّ (ص) في إقراء القرآن

في مسند أحمد و معرفة القرّاء الكبار للذهبي و البحار للمجلسي و اللفظ للذهبي عن أبي عبد الرحمن قال:

حدثني الذين كانوا يقرؤوننا: عثمان وابن مسعود وأُبيّ بن كعب (رض) ان رسول الله (ص) كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها الى عشر أُخر حتى يعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[1].

وفي تفسير الطبري بسنده:

عن أبي عبد الرحمن ـ السلمى ـ قال حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا انهم كانوا يستقرؤون من النبي (ص) فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[2].

ولفظ احمد في مسنده:

حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن أبي

---

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي ص٤٨، ومسند احمد ٥/٤١٠، والبحار للمجلسي ٩٢/١٠٦، ومجمع الزوائد ومنع الفوائد ١/١٦٥، وفي تفسير القرطبي ١/٣٩ وفي كنز العمال الحديث ٤٢١٣.

(٢) مسند احمد ٥/٤١٠، وتفسير الطبري ١/٢٧. راجع اخبارهم في كنز العمال ٢/٣٤٦ ط. بيروت سنة ١٤٠٩هـ الحديث ٤٢١٥.

عبد الرحمن قال حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي (ص) أنهم كانوا يقترؤون من رسول الله (ص) عشر آيات: فلا يأخذون في العشر الاخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل.

قالوا فعلمنا العلم والعمل[٣].

وفي تفسير القرطبي بسنده:

عن عثمان وابن مسعود وأبيّ أن رسول الله (ص) كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أُخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها[٤].

(وأبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي اخرج حديثه أصحاب الصحاح، ولد في حياة النبي (ص) ولأبيه صحبة قرأ القرآن وجوّده وبرع في حفظه، أخذ القرآن عرضا عن عثمان وعلي وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأُبيّ بن كعب (رض) وكان مقرئ أهل الكوفة منذ عصر عثمان الى ان توفي بعد السبعين من الهجرة في أوائل حكم الحجاج وكان يعلّم القرآن خمس آيات خمس آيات وعلّم ابن عمرو بن الحريث القرآن، فأرسل له جلالا وجُزراً[*] فردّها وقال: انا لا نأخذ على كتاب الله أجراً)[٥].

* * *

---

(٣) مسند احمد ٥/٤١٠.

(٤) تفسير القرطبي ١/٣٩.

(*) جلالاً جمع جل: ما يكسى به الفرس لتصان به فهنا بمعنى الفرس المجلل.
الجزر جمع الجزور الابل التي تصلح للذبح.

(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي ص ٤٥ ـ ٤٩.

ونعلم من الروايات الآتية أن ما كان يقرئهم الرسول (ص) في معاني الآيات كان يتلقاه عن طريق الوحي عن الله جلّ اسمه.

أ - في سنن أبي داود ومسند أحمد واللفظ للأول بسنده عن المقدام بن معديكرب عن رسول الله (ص) أنه قال:

«ألَا إنِّي أُوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ مَعهُ لا يُوشِكُ رجلٌ شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال، فأحلُّوهُ، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّمُوهُ...»[٦].

ب - في سنن أبي داود عن العرباض بن سارية قال: نزلنا مع رسول الله (ص) خيبر ومعه من معه من أصحابه، ثم صلّىٰ بهم النبي (ص)، ثم قام، فقال:

«أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن! ألّا وإني وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر...»[٧].

قد يكون معنى قول الرسول (ص) «أنها لمثل القرآن» أي أنه تلقاه عن الوحي وأكثر من القرآن في شرح أحكام الله.

ج - في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة ومسند أحمد واللفظ للأول، عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال النبي (ص):

---

(٦) سنن ابي داود باب لزوم السنة ٤/٢٠٠ الحديث ٤٦٠٤، ومسند احمد ٤/١٣١.

مقدام الكندي صحابي مشهور نزل الشام ومات سنة ٨٧هـ وله احدى وتسعون سنة. تقريب التهذيب ٢/٢٧٢.

(٧) سنن ابي داود ٢/٦٤ باب في تعشير أهل الذمة من كتاب الخراج والامارة والفيء، وطبعة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٣/١٧٠.

وعرباض السلمي أبو نجيح صحابي كان من أهل الصفة ونزل حمص ومات بعد السبعين. تقريب التهذيب ٢/١٧.

«لا أُلفينَّ أحدكم مُتكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»(٨).

د ـ وفي مسند أحمد عن المقدام بن معدي كرب قال:

«حرّم رسول الله (ص) يوم خيبر أشياء، ثم قال: «يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه.

ألا و إن ما حرم رسول الله (ص) مثل ما حرم الله».

وفي آخر الحديث من سنن الترمذي: «وان ما حرم رسول الله (ص) كما حرم الله».

وفي سنن ابن ماجة: «مثل ما حرم الله»(٩).

هـ ـ في مسند أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص):

«لا أعرفنّ أحداً منكم أتاه عني حديث وهو متكئ في أريكته. فيقول: اتل علي به قرآناً...»(١٠).

وروي موجز الاحاديث القرطبي في تفسيره بقوله: «كان الوحي ينزل على رسول الله (ص) ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك»(١١).

* * *

---

(٨) سنن ابي داود باب لزوم السنة من كتاب السنة ٢/٢٥٦، والترمذي ١٠/١٣٢، وابن ماجة المقدمة ١/٧، ومستدرك الحاكم كتاب العلم ١/١٠٨، ومسند احمد ٦/٨.

وعبيد الله بن ابي رافع مولى النبي. تقريب التهذيب ١/٥٣٢.

(٩) مسند احمد ٤/١٣٢، وسنن الدارمي ١/١٤٠، وسنن الترمذي ١٠/١٣٣، وابن ماجة مقدمة ١/ ٦.

(١٠) مسند احمد ٢/٣٦٧ و٤٨٣.

في المتن لاعرفن تصحيف ونرى الصحيح لا أعرفن.

(١١) تفسير القرطبي ١/٣٩.

كان ذلكم كيفية اقراء الرسول (ص) آي القرآن لأصحابه، و تعليمهم معنى الآيات مع تعليم اللفظ واهتمامه بما بينه في أحاديثه من الاحكام وفي ما يأتي ندرس كيفية اهتمامه بإقراء القرآن لأهل الصفة بمسجده وبمن يأتي من خارج المدينة ويُسلم على يده:

الإقراء لأهل الصفة ولمن جاء من خارج المدينة وأسلم:

وكان في مسجد الرسول (ص)، صفة لايواء الفقراء من المسلمين وكان عبادة بن الصامت يعلّم أهل الصفة القرآن(١٢).

وفي المستدرك عن عبادة بن الصامت انه قال:

إذا قدم الرجل وقد أسلم على يد رسول الله (ص) دفعه إلى رجل منّا ليعلمه القرآن فدفع إليَّ رسول الله (ص) رجلاً كان معي في البيت وكنت أقرأته القرآن فرآى ان لي عليه حقاً فأهدى إليَّ قوساً ما رأيت أجود منها ولا أحسن منها عطافاً فأتيت رسول الله (ص) فقلت ما ترى يا رسول الله فيها، فقال: جمرة بين كتفيك تقلدتها أو تعلقتها(١٣).

وفي رواية عن عبادة بن الصامت قال:

كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي(ص) إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول اللّه(ص) ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول اللّه(ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا(١٤).

و جاء ـ أيضاً ـ في كنز العمال عن الطفيل بن عمر و الدوسي ذي النوران

---

(١٢) راجع سنن ابي داود ٣/٢٦٤، ومسند احمد ٥/٣١٥، وسنن ابن ماجه ٢/٧٣٠.

(١٣) مستدرك الحاكم ٣/٣٥٦، ومسند احمد ٥/٣٢٤، وسنن ابن ابي داود ٣/٢٦٥، وقال صحيح الاسناد.

(١٤) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بكلية اصول الدين في الأزهر ط. دار احياء الكتب العربية بمصر ١/٢٣٤.

قال: أقـرأني أُبي بن كعب القـرآن، فأهـديت له قوساً فغدا إلى النبي(ص) مُتقلدها، فقال له النبي(ص): من سلّحكَ هذه القوس يا أُبي؟ فقال: الطفيل بن عمـرو الـدوسي، أقرأته القرآن، فقال له رسول اللّه(ص): تقلدها شِلْوَةً من جهنم، فقال يا رسول اللّه: إنا نأكل من طعامهم، فقال: أما طعامٌ صُنع لغيرك فحضرتَ فلا بأس أن تأكله[١٥].

بمقارنة هذا الخبر بخبر الإقراء بمكّة الذي رواه الصحابي الخليفة عمر نرى أنّ أهل اليسار بمكّة كانوا يؤون من يقرئهم من المستضعفين بمكّة وفي المدينة كان أهل اليسار يؤون المهاجر الجديد لإقرائه، ونرى أنّ الرسول يُحذّرهم من أخذ هدية مـمّن أقرؤه. وعلى هذا يكون الإيواء والإطعام في البلدين على أهل اليسار دون مقابل.

ولم يقتصر تقارىء القرآن بين الصحابة في الحضر دون السفر، فقد روى ابن عمر وقال: سافر النبي (ص) واصحابه إلى أرض العدوّ وهم يعلّمون القرآن[١٦]..

ففي صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم قال[١٧]:

جاء أناس إلى رسول الله (ص)، فقالوا: أن ابعث معنا رجالا يعلّمون القرآن والسنّة فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يقال لهم القرّاء ـ وفي لفظ البخاري[١٨]: من القراء ـ يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون.

وفي كتاب التراتيب الادارية ما موجزه:

---

(١٥) كنز العمال ٢/ ٣٤٢، الحديث ٤١٩٤ .

(١٦) صحيح البخاري ١١٣/٢ كتاب الجهاد باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو.

(١٧) مسلم كتاب الامارة (باب ثبوت الجنة للشهيد) ص١٥١١ الحديث ١٤٧.

(١٨)البخاري ١٣٦/٢ كتاب الجزية باب دعاء الامام على من نكث عهداً. وجاء الخبر في خبر بئر معونة بكتب سيرة الرسول (ص) كسيرة ابن هشام ١٨٤/٣ ـ ١٨٥.

أرسل مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف في سيرة ابن إسحاق لما انصرف النبي (ص) من القوم الذين بايعوه في العقبة الأولى قال وهم اثنا عشر بعث معهم مصعبا وأمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى المقرئ بالمدينة[١٩].

و في الاستبصار لابن قدامة المقدسي لما قدم مصعب بن عمير المدينة نزل على أسعد بن زرارة فكان يطوف به على دور الانصار يقرئهم القرآن ويدعوهم الى الله عز وجل فأسلم على يديهما جماعة منهم سعد بن معاذ و أُسيد بن حضير و غيرهما.

و في التهذيب للنووي لدى ترجمة مصعب هذا: هاجر الى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن، و يصلي بهم بعثهُ رسول الله (ص) مع الاثني عشر اهل العقبة الثانية ليفقه أهل المدينة، ويقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، ومنهم معاذ بن جبل في الاكتفاء لأبي الربيع الكلاعي استخلف رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن خرّجه ابن سعد في الطبقات عن مجاهد وفي الاستيعاب بعثه النبي (ص) قاضيا على الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن عام فتح مكة، ومنهم عمرو بن حزم الخزرجي النجاري.

في الاستيعاب استعمله النبي (ص) على نجران ليفقههم في الدين

---

(١٩) كتاب الحكومة النبوية المعروف بالتراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة لعبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسيني الادريسي الكتاني. افست دار الكتاب العربي بيروت ٤٢/١ ـ ٤٧.

وراجع طبقات ابن سعد ط . اوربا ١٠٨/٢/٨. وسيرة ابن هشام ٤٢/٢. والاستبصار لابن قدامة ص ٥٧. والاستيعاب ص ٢٢٧٩، ومسند أحمد ٢١٢/٣.

ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا وكتب له كتابا في الفرائض و السنن و الصدقات و الديات يصح أن يستدرك هنا من المعلمين جماعة فمنهم أبو عبيدة بن الجراح أخرج أحمد في مسنده عن أنس قال لما وفد اهل اليمن على رسول الله (ص) قالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والاسلام... وسيّره الى الشام اميرا فكان فتح اكثر الشام على يده .

ثالثاً ـ نظام المفاضلة بالقرآن:

سنّ رسـول الله (ص) نظام المفـاضلة بين المسلمـين بمقياس القراءة للقرآن ومن جملتها الموارد الّتي نذكرها في ما يأتي:

أ ـ تعيين الأكثر قراءة للقرآن إماماً للجماعة.

كثرت الروايات والأخبار في هذا الصدد ونحن نقتصر على ذكر خبر واحد منها كالآتي:

روى أبـو داود في سننه وأحمد في مسنده وابن سعد في طبقاته وغيرهم واللفظ لابن سعد قال:

قال عمرو بن سلمة بن قيس الجَرْمي:

كنّا بحضرة ماء، ممرّ الناس عليه، وكنّا نسألهم ما هذا الأمر؟ ـ يقصد أنّهم كانوا يسألون عن خبر بعثة النبي (ص) ـ فيقولون: رجلٌ زعـم أنّه نبيّ وأنّ الله أرسله، وأنّ الله أوحىٰ إليه كذا وكذا ـ يقصد أنّهم كانوا يقرؤون عليهم بعض ما سمعوه من القرآن ـ قال: كنت أتلقّىٰ الركبان فيقرؤوني الآية.

قال: فجعلت لا أسمع شيئاً من ذلك إلّا حفظته كأنّما يُغرىٰ في صدري بغراء، حتّى جمعت فيه قرآناً كثيراً[1].

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٣٣٦ ـ ٣٣٧، وط. اوربا ٢/٧٠. و سنن أبي داود ١/١٥٩، رقم الحديث ٥٨٥. و مسند أحمد ٣/ ٤٧٥ و ٥/٢٩ و ٧١.

وفي مسند أحمد: وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكّة.

وفي طبقات ابن سعد:

يقولون: انظروا، فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبيّ، فلما جاءتنا وقعة الفتح ـ فتح مكة ـ بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حوائنا ذلك ـ الحواء بيوت مجتمعة للناس على ماء ـ وأقام مع رسول الله (ص)، ما شاء الله أن يقيم.

قال: ثمّ أقبل، فلما دنا منّا تلقّيناه فلـمّا رأيناه قال: جئتكم والله من عند رسول الله (ص) حقّاً ثمّ قال: إنّه يأمركم بكذا وكذا وينهاكم عن كذا وكذا وأن تصلّوا صلاة كذا وكـذا في حين كذا وإذا حضـرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمّكم أكثركم قرآناً.

قال: فنـظر أهل حوائنا، فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مِنّي للّذي كنت أحفظه من الركبان.

قال: وأنا يومئذ غلام عليّ شملة، فدعوني، فعلموني الركوع والسجود فقدموني بين أيديهم.

قال وكان عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلّصت عنّي، فقالت امرأة من الحيّ: ألا تغطّون عنّا است قارئكم.

قال: فكسوني قميصاً من معقّد البحرين، فما فرحت بشيء أشدّ من فرحي بذلك القميص.

وفي سنن أبي داود قال: وأنا ابن سبع سنين أو ثماني سنين.

قال: فما شهدت مجمعاً من جَرْم ـ يقصد قبيلته ـ إلاّ كنت إمامهم وكنت أصلّي على جنائزهم.

وفي رواية: لم يزل يؤمهم إلى زمن معاوية[٢].

---

(٢) راجع اسناد الخبر في طبقات ابن سعد (١/٣٣٦ ـ ٣٣٧) خبر وفد جرم، وسنن أبي ←

وجاء عن أبي هريرة انه قال :

بعث رسول الله (ص) بعثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كلّ رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنّاً فقال ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: أمعك سورة البقرة؟ فقال نعم قال: فاذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم والله يارسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلّا خشية ألّا أقوم بها فقال رسول الله (ص) تعلموا القرآن فأقرأوه وأقرئوه فإنّ مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كلّ مكان ومثل من تعلمه فيرقدُ وهو في جوفه كمثل جراب وكيء على مسك[٣].

وفي تفسير السيوطي عن الدلائل للبيهقي: عن عثمان بن أبي العاص قال استعملني رسول الله (ص) وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك اني كنت قرأت سورة البقرة[٤].

ب ـ المفاضلة بعد الحياة وفي القبر.

لما كان يوم أحد وأمر رسول الله (ص) بدفن الشهداء في أحد قال (ص) أُنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن. فاجعلوه أمام أصحابه في القبر، وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[٥].

ج ـ يوم القيامة.

قال رسول الله (ص) اقرؤوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً

→

داود ١٥٩/١ ـ ١٦٠ كتاب الصلاة باب من أحق بالامامة الحديث ٥٨٥ و٥٨٧، ومسند احمد ٣٠/٥.

(٣) سنن الترمذي ط. الاولى بمصر سنة ١٣٥٣هـ ٧/١١ ـ ٨، وتفسير سورة البقرة في الدر المنثور ٢١/١، وتفسير ابن كثير ٣٣/١.

(٤) تفسير السيوطي ٢١/١.

(٥) مسند احمد ٤٣١/٥.

لأصحابه[٦]

د ـ في الجنة.

في مسند احمد والترمذي:

يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتّل في الدنيا، فانّ منزلتك عند آخر آية ـ أي: يقال ذلك لصاحب القرآن في الجنّة[٧].

وفي سنن الدارمي:

ان الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، فهو مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه ـ أو هو عليه شاق ـ فله أجران[٨].

من تعلم القرآن، فآستظهره، وحفظه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته[٩].

وقال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...[١٠].

واجمع كلام للرسول (ص) في المفاضلة قوله:

إنّ أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه.

وفي رواية:

---

(٦) صحيح مسلم ص٥٥٣ كتاب صلاة المسافرين باب فضل القرآن، الحديث ٢٥٢.

(٧) مسند احمد ١٩٢/٢، وابي داود ٧٣/٢، والترمذي ٣٦/١١.

(٨) الترمذي ٢٩/١١، والدارمي ٤٤٤/٢ باب فضل من يشتد القرآن عليه ـ أي لا أقوم بعمل ما فيها..، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الماهر بالقرآن ص٥٤٩ ـ ٥٥٠ الحديث ٢٤٤.

(٩) مسند احمد ١٤٩/٥، وقريب منه في ص١٤٨.

(١٠) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤ الحديث ٣٨، ومسند احمد ٢٥٢/٢.

خيركم من تعلم القرآن وعلمه[11].

وقال: إنّ أهل القرآن هم أهل الله وخاصته[12].

وفي كنز العمال كتاب الاذكار، باب في فضائل القرآن (٢/ ١٨٧):

عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّه (ص): يا حملة القرآن ان أهل السمٰوات يذكرونكم عند اللّه فتحببوا إلى اللّه بتوقير كتاب اللّه يزدكم حباً ويحببكم إلى عباده.

وفي ص ٥٢٣ منه الحديث

حملة القرآن هم المعلمون كلام اللّه و المتلبسون بنورِ اللّهِ، مَنْ والاهم فقد والىٰ اللّه، و من عاداهم فقد عادىٰ اللّه.

و في رواية ٢٢٩٥ :

حملة القرآن أولياء اللّه ...

و حملة القرآن من حفظ جميع القرآن عن ظهر قلب .

وفي ص ٥٣٨ منه الحديث ٢٤١٤:

من ختم القرآن عن ظهرِ قلبهِ أو نظراً أعطاه اللّهُ شجرةً في الجنةِ.

و نظراً: أي ختم القرآن في المصحف .

و في ص ٥٣٦ منه: الحديث ٢٤٠٧ :

من قرأ القرآن نظراً متع ببصره .

و في ص ٥٣١ الحديث ٢٠٧٧ :

يا عليّ تعلمْ القرآنَ و علمهُ الناسَ فلك بكل حرفٍ عشر حسناتٍ فان

---

(١١) صحيح البخاري ١٥٤/٣ كتاب فضائل القرآن باب (١٩) خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وابي داود ٢/ ٧٠، وسنن الدارمي ٤٣٧/٢ باب خياركم من تعلم القرآن وعلمه، وابن ماجة ٧٧/١.

(١٢) ابن ماجة ٧٨/١، ومسند احمد (١٢٧/٣، ١٢٨، ٢٤٢).

مِتَّ مِتَّ شهيداً، يا عليُّ تعلَّم القرآنَ و علمهُ الناسَ فَانْ مِتَّ حَجَّتِ الملائكةُ إلىٰ قبرِكَ كما تَحُجُّ الناسُ إلى بيتِ اللّهِ العتيق .

وفي ص ٥٣٨ الحديث ٢٤١٦:

من قرأ القرآنَ في سبعةٍ كَتبهُ اللّهُ من المحسنين ولا تقرؤوا في أقلِ من ثلاثةٍ فمن وجدَ منكم نشاطاً فليجعَله في حُسن تلاوتهِ.

وممّا يتبع باب المفاضلة مانجده في سيرة الرسول (ص) من انتهازه الفرص لنشر الاقراء بين المسلمين مثل ما رواه البخاري وغيره واللفظ للبخاري:

قال: أتت النبي (ص) امرأة، فقالت: انها وهبت نفسها لله ولرسول الله (ص).

فقال: ما لي في النساء من حاجة.

فقال رجل زوجنيها:

قال: اعطها ثوبا.

قال: لا اجد.

قال: اعطها ولو خاتما من حديد، فاعتل له.

فقال ما معك من القرآن؟.

قال: كذا وكذا.

قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن[١٣].

وكان لكيفية اقراء الرسول (ص) بمكة والمدينة اثراً امتد من عصره إلى ما بعده كالآتي خبره:

---

(١٣) صحيح البخاري ١٥٥/٣ كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

أثر كيفية إقراء الرسول(ص) في عصره:

كان لما قاله الرسول (ص) وفعله في شأن إقراء القرآن أبلغ الأثر في الصحابة وسائر المسلمين في عصره و بعده. أما في عصره فقد روى عقبة بن عامر الجهني وقال:

خرج علينا رسول الله (ص) ذات يوم ونحن نتدارس القرآن، قال: تعلّموا القرآن، واقتنوه، فإنّه أشد تفلتا من المخاض في عقلها. أي: أشدّ تفلتاً من الناقة المشدودة بالعِقال ساعة الولادة[١٤]:

وكانوا يقرؤون أبناءهم ونساءهم القرآن، فقد روى أحمد وابن ماجة عن زياد بن لبيد الأنصاري أنّه قال:

ذكر النبي (ص) شيئاً، فقال «ذاك عند أوان ذهاب العلم».

قال: قلت: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال.... أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما[١٥].

إهتمام الرسول(ص) بالسور الطوال

وكان الرسول (ص) يعني بسورة البقرة عناية خاصة ثم ما بعدها من السور الكبار ومن موارد ذلك ما رواه.

البيهقي وأحمد بسندهما، رويا عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:

«كنت أقوم مع رسول الله (ص) في الليل، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فاذا مر بآية فيها استبشار، دعا ورغب، و إذا مر بآية فيها تخويف، دعا

---

(١٤) مسند احمد ١٥٣/٤.

(١٥) سنن ابن ماجه ١٣٤٤/٢ كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم، ومسند احمد ٢١٩/٤.

واستعاذ»[١٦].

وفي سنن البيهقي: عن عوف بن مالك الاشجعي قال: قمت مع رسول الله (ص) ليلة، فقام فقرأ البقرة لا يمر بآية رحمة، إلّا وقف، فسأل، ولا يمر بآية عذاب، إلّا وقف، فتعوّذ، ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة[١٧].

ويرغّب المسلمين في استظهار سورة البقرة كما جاء في صحيح مسلم ومسند أحمد بسندهما عن أبي امامة الباهلي قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.

اقرؤا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غيايتان أو كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما، اقرؤا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها بطلة[١٨].

وفي صحيح مسلم وسنن النسائي والبيهقي ومسند أحمد بسندهم عن حذيفة قال: صلّيت مع رسول الله (ص) ليلة من رمضان، فافتتح البقرة، فقلت يصلي بها ركعة، ثم افتتح النساء، فقرأها ثم افتتح آل عمران، فقرأها مترسلاً اذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، واذا مر بتعوّذ تعوذ، واذا مرّ بآية فيها تنزيه لله عزوجلّ سبح[١٩].

---

(١٦) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف ٢/٣١٠، ومسند احمد ٦/٩٢ و١١٩، والدر المنثور للسيوطي ١/١٨.

(١٧) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف ٢/٣١٠، والدر المنثور للسيوطي ١/١٨.

(١٨) مسلم ١/٥٥٣ كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ومسند احمد ٤/١٨٣، والدر المنثور للسيوطي ١/١٨. ولا يستطيعها البطلة: أي لا يقدر على تحصيلها السحرة.

(١٩) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الوقوف عند آية الرحمة وآية العذاب وآية التسبيح ←

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند أحمد بسندهم عن نواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنياتقدمهم سورة البقرة وآل عمران قال: وضرب لهما رسول الله (ص) ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أوكأنهما غيايتان أو كأنهما ظلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صوافّ يحاجان عن صاحبهما[٢٠].

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسنن الدارمي ومستدرك الحاكم وصححه الذهبي عن بريدة قال: قال رسول اللّه(ص): تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة، ولاتستطيعها البطلة ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة، وآل عمران فانهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوافّ تحاجّان عن صاحبهما اقرؤا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة[٢١].

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند أحمد ومستدرك الحاكم واللفظ للأوّل عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إنّ

←

٣٠٩/٢، والنسائي باب تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود ٢٢٥/٣ ـ ٢٢٦، ومسند احمد ٣٨٤/٥ و٣٩٧، ومسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٥٣٦/١ ـ ٥٣٧، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

(٢٠) مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٤/١، ومسند احمد ١٨٣/٤، والترمذي ١٤/١١ باب فضائل القرآن، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

(٢١) سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن باب في فصل سورة البقرة وآل عمران ٤٤٦/٢ و٤٥٠، وصحيح مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١، ومسند احمد ٢٤٩/٥ و٢٥١ و٢٥٥ و٢٥٧ و٣٤٨ و٣٥٢ و٣٦١، ومستدرك الحاكم ٢٨٧/٢ كتاب التفسير، والدر المنثور للسيوطي ١٨/١.

الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة ولفظ الترمذي: وإن البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وفي لفظ الحاكم عن عبد الله عن الرسول (ص) اقرؤا سورة البقرة في بيوتكم فان الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة[٢٢].

إضافة إلى ما قاله الرسول (ص) لأصحابه في فضائل استظهار سورة البقرة جعل لمن حفظها عن ظهر قلب ميزة على غيره و مرّ بنا آنفاً ان أبا هريرة قال:

بعث رسول الله (ص) بعثا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعني ما معه من القرآن فاتى على رجل منهم من أحدثهم سنّاً فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. قال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: اذهب فأنت أميرهم. فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلّا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول الله (ص) تعلموا القرآن واقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوّ مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكئ على مسك[٢٣].

وفي غزوة حنين قال ابن كثير:

كان رسول الله (ص) لما غشيه القوم قام في الركابين ... ونادى أصحابه فقال ... يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة وأمر من أصحابه من ينادي بذلك[٢٤].

---

(٢٢) المستدرك كتاب التفسير ٢/٢٦٠، وصحيح مسلم باب استحباب صلاة النافلة من بيته وجوازها في المسجد ١/٥٣٩، والترمذي باب فضائل القرآن ١٠/١١، ومسند احمد ٢/٢٨٤ و٣٣٧ و٣٧٨ و٣٨٨، والدر المنثور للسيوطي ١/١٩.

(٢٣) مرّ ذكر مصادره في الصفحة رقم ١٦٧ الهامش رقم ٣.

(٢٤) تاريخ ابن كثير ط. بيروت سنة ١٤٠٨هـ ٦/٣٥٧.

وفي عيون الأثر عن العباس بن عبدالمطلب ما موجزه: إني لمع رسول اللّه(ص) آخذ بحكمة بغلته وقد شجرتها بها. قال وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت فقال: ياعباس! اصرخ يا معشر الأنصار...[٢٥].

وفي كنز العمال:

فنادى العباس: اين المهاجرون اين أصحاب سورة البقرة بصوت عال[٢٦].

هكذا جعل رسول الله (ص) لحفظ سورة البقرة عن ظهر قلب شأناً عظيماً، فاهتم المسلمون بذلك.

وفي مسند أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال:

كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا، يعني عظم.

وفي رواية يعد فينا عظيماً[٢٧].

وجاء في فضل السبع الأول من القرآن الكريم في كنز العمال ٥٧٢/١ الحديث ٢٥٨٤:

«من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خيرٌ».

وعلى أثر ذلك تسابق الصحابة في استظهار سورة البقرة.

فقد روى القرطبي في تفسير سورة البقرة بسنده وقال:

تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نَحر جزورا وفي رواية بعدها شكر الله وان عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها[٢٨].

وفي موطأ مالك:

---

(٢٥) عيون الاثر لابن سيد الناس ط. بيروت سنة ١٩٧٤م ١٩١/٢.

(٢٦) كنز العمال ط. بيروت سنة ١٤٠٩هـ ٥٤٥/١٠ رقم الحديث ٣٠٢١٩.

(٢٧) مسند احمد ١٢٠/٣.

(٢٨) تفسير القرطبي ٤٠/١، وسيرة عمر لابن الجوزي ص١٦٥.

عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً.

وذكر مالك في الموطأ انه بلغه ان عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها[٢٩].

وفي تفسير السيوطي:

أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة معاً في المصنف عن عروة قال كان شعار أصحاب النبي (ص) يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة[٣٠].

و ذكر الرسول (ص) أهمية سورة هود و أخواتها وقال كما في كنز العمال (١/ ٥٧٣):

أ ـ الحديث ٢٥٨٦ ـ شيبتني هودٌ و أخواتُها .

ب ـ الحـديث ٢٥٨٧ ـ شيبتني هودٌ و أخـواتُها الواقعةُ و الحاقةُ و إذا الشمسُ كُورتْ .

ج ـ الحديث ٢٥٨٨ ـ شيبتني هودٌ و الواقعةُ و المرسلاتُ و عمَّ يتساءلون و إذا الشمسُ كُورتْ.

د ـ الحديث ٢٥٨٩ ـ شيبتني هودٌ و أخواتُها قَبلَ المشيب .

هـ ـ الحديث ٢٥٩٠ ـ شيبتني سورةُ هودٍ و أخواتُها الواقعة و الحاقة و إذا الشمسُ كُورتْ و سألَ سائلٌ.

و ـ الحديث ٢٥٩١ ـ شيبتني هودٌ و أخواتُها و ما فعلَ الأممُ قبلي.

و ذكر (ص) أهمية سور أخرى وقال (ص):

عن واثلة بن الاسقع أن النبي (ص) قال: أعطيت مكان التوراة السبع و أعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني و فضلت

---

(٢٩) موطأ مالك ٢٠٥/١ كتاب القرآن باب ماجاء في القرآن الحديث ١١.

(٣٠) تفسير السيوطي ٢١/١، وفي تاريخ ابن كثير ٣٥٧/٦ في ذكر خبر قتال مسيلمة.

بالمفصل[٣١].

وأخرج الدارمي: قال عبد الله السبعُ الطوال مثل التوراة والمئين مثل الانجيل والمثاني مثل الزبور وسائر القرآن بعدُ فضل[٣٢].

وقال السيوطي في خاتمة النوع الثامن عشر لجمع القرآن وترتيبه ما موجزه:

السبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة كذا قال جماعة. وعن ابن عباس قال السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والسابع الكهف (والمئون) ما وليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد علىٰ مائة آية أو تقاربها (والمثاني) ما ولي المئين (والمفصل) ما ولي المثاني من قصار السور وآخره سورة الناس بلا نزاع[٣٣].

* * *

كان ذلكم بعض أخبار كيفية إقراء الرسول (ص) القرآن لأصحابه وحثه إياهم علىٰ حفظه عن ظهر قلب وأخبار اهتمامه ببعض السور وفي ما يأتي نبين بعض أخبار من قرأ القرآن علىٰ النبي (ص) وجمعه وكتبه على عهده.

من قرأ القرآن على النبي ومن جمعه على عهده ومن كتبه من الصحابة:

أقرأ الرسول جميع الصحابة ما تيسر له من القرآن أداءً لواجبه التبليغي وقرأ عليه جميع الصحابة ما تيسر لهم من القرآن أداءً لواجبهم الإسلامي أمّا من جمع منهم القرآن على عهده (ص) وكتب فلا يمكن إحصاؤهم وما جاء في بعض الروايات من جمع القرآن على عهد الرسول (ص) أو كتب ليس من باب

---

٣١) مسند أحمد ٤/ ١٠٧ وكنز العمال ١/ ٥٧٣.

٣٢) سنن الدارمي ٢/ ٤٥٣.

٣٣) الاتقان للسيوطي ١/ ٦٥.

الحصر و الاحصاء و إنّما ذكرت أسماؤهم لمناسبة في المقام و ما جاء عن الصحابي أنس بن مالك في حصر من جمع القرآن علىٰ عهد الرسول(ص) ببعض الأنصار مردود كما نبينه في ما يأتي باذنه تعالىٰ:

قول الصحابي أنس في من جمع القرآن على عهد النبي (ص)

في صحيح البخاري عن أنس أنّه قال:

مات النبي (ص) ولـم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد قال و نحن ورثناه[٣٤].

و في رواية أخرى:

عن قتـادة قال: سألت أنس بن مالـك: من جمع القـرآن على عهـد النبي (ص) قال أربعة كلهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب و معاذ بن جبل و زيد ابن ثابت و أبو زيد[٣٥].

و في رواية:

قال قتادة: قلت: من أبو زيد قال: أحد عمومتي[٣٦].

---

٣٤) صحيح البخـاري ٣/ ١٥٢؛ و الـبرهـان للزركشي ١/ ٢٤١؛ و الاتقان ١/ ٧٢؛ و تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥.

و قوله: و نحن ورثناه: أي أبا زيد.

٣٥) صحيح البخاري ٣/ ١٥٢ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي (ص) و فيه رواية أخرى عن ثمامة عن أنس. طبقات ابن سعد ٢/ق ١١٣/٢؛ و تفسير القرطبي ١/ ٥٦ ـ ٥٧؛ و البرهان للزركشي ١/ ٢٤١؛ و الاتقان ١/ ٧٢؛ و عمدة القاري ٢٠/ ٢٦؛ و تذكرة الحفاظ ١/ ٣١؛ و سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣١.

٣٦) كنز العمال ٢/ ٣٩٠.

دراسة الحديث:

نرىٰ انه اعتمد أحاديث الصحابي أنس من قال: بحصر جمع القرآن علىٰ الأنصار مثل الشعبي[٣٧] ومحمد بن كعب القرظي[٣٨] وابن كثير[٣٩] وغيرهم[٤٠].

وقد أنكر العلماء على أنس هذا القول وحاول بعضهم توجيهه مثل: السندي في حاشيته على الرواية الأولىٰ في صحيح البخاري حيث قال:

« أي لم يجمعه غيرهم في علمي، أو من الأوس، وإلّا فقد كان ممن يجمعه إذ ذاك كثير من الصحابة، كما هو معلوم »[٤١].

وقال القرطبي في تفسيره:

قال ابن الطَّيب (رض): لا تدل هذه الآثار علىٰ أن القرآن لم يحفظه في حياة النبي (ص) ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداريّ وعُبادة بن الصامت وعبد اللّه بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من في رسول اللّه (ص) غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن علىٰ عهد النبي (ص) لأجل سبقهم إلىٰ الإسلام، وإعظام الرسول (ص) لهم[٤٢].

وفي البرهان للزركشي:

---

٣٧ و ٣٨) كنز العمال ٢/ ٣٧٤، الحديث ١٩١٥ و ١٩١٦.

٣٩) راجع ترجمة أبي بن كعب ومعاذ بن جبل في تاريخ ابن كثير ٧/ ٩٧ و ٩٥.

٤٠) راجع ترجمة قيس بن السكن في الاصابة.

٤١) حاشية السندي على صحيح البخاري ط. دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٧ هـ ٣/ ١٥٢، وطبعة الأفست لبنان، دار المعرفة، سنة ١٣٩٨ هـ، ٣/٢٢٨.

٤٢) تفسير القرطبي ١/ ٥٧.

وقال الماوردي: وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة، والصحابة متفرقون في البلاد ! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون.

قال الشيخ: وقد سمى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القُرّاء من الصحابة في أول كتاب القراءات له، فسمى عدداً كثيراً[٤٣].

وفي عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري:

إنّ قصارى الأمر أن أنساً قال جمع القرآن على عهده (ص) أربعة قد يكون المراد إني لا أعلم سوى هؤلاء ولا يلزمه أن يعلم كل الحافظين لكتاب اللّه تعالى[٤٤].

وروى في الاتقان عن البخاري:

وفيه ـ في الحديث الأول ـ المخالفة لحديث قتادة من وجهين أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أُبي بن كعب وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة وقال المازري لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه وإلّا فكيف الاحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد وهذا لا يتم إلّا إن كان لقى كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي (ص) وهذا في غاية البعد في العادة وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك قال وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه.

وقال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد النبي (ص) ببئر معونة مثل هذا العدد وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة

---

٤٣) البرهان للزركشي ١/ ٢٤٢.

٤٤) عمدة القاري ٢٠/ ٢٧ - ٢٨.

تعلقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم[٤٥].

و يرد على قول أنس بالاضافة إلى ما ذكروا:

إنّ المهاجرين سبقوا الأنصار إلى الإسلام عشر سنوات و أكثر من ذلك أو أقلّ، فكيف لم يكن فيهم مهاجريّ واحد قد جمع القرآن، وقد كان الصحابة الآتية أسماؤهم ممّن جمع القرآن على عهد النبي(ص):

أ ـ علي بن أبي طالب[٤٦].

ب ـ سعد بن عبيد بن النعمان بن زيد.

ج ـ أبو الدرداء عويمر بن زيد.

د ـ أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

هـ ـ عبيد بن معاوية بن زيد بن الضحاك.

و ـ أمّ ورقة بنت عبد اللّه.

* * *

ينقسم الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول إلى صنفين منهم من اشتهروا بذلك وهم من مشاهير الصحابة و في مقدمتهم الإمام علي وفي ما يأتي نورد مثالاً بخبر واحد من أخبار من اشتهر بالقراءة و الإقراء من المهاجرين.

جاء في كنز العمال:

عن زِرِ بن حُبيش قال: قرأتُ القرآن من أوله إلىٰ آخره على عليِ بن أبي طالبٍ، فلما بلغتُ الحواميم قال: لقد بلغتَ عرائس القرآن، فلما بلغتُ رأسَ ثنتين و عشرينَ آية من حمعسق ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فِي رَوضَاتِ

٤٥) الاتقان للسيوطي ١/ ٧٢ ـ ٧٣.

٤٦) جاء تفصيل أخذ الامام علي القرآن و تفسير القرآن من الرسول في الجزء الثاني من معالم المدرستين في بحث أسناد حديثهم إلى جدهم الرسول(ص) من الفصل الرابع.

ٱلْجَنَّاتِ ﴾ الآية بكى حتى ارتفعَ نحيبه، ثم رفعَ رأسه إلىٰ السماءِ وقال: يا زرُّ أَمِّن علىٰ دعــائي، ثم قال: اللّهم إني أسألُك إخبات المخبتين، و اخلاص الموقنين، و مرافقة الأبرار ...

و قال في آخر الدعاء :

يا زرّ إذا ختمتَ فادعُ بهذه فانّ حبيبي رسول اللّه (ص) أمرني أن أدعو بهنّ عند ختم القرآن .

و زِرّ بن حُبَيش أبو مريم أبو مطرف الكوفي مخضرم أدرك الجاهلية. روىٰ عن عمر و عثمان و علي و أبي ذر .

قال ابن سعد و ابن معين: كان ثقة كثير الحديث و كان عالماً بالقرآن توفي سنة ٨٣ و عمره ١٢٧[٤٧].

و هذا الحديث يدل على انّ الإمام علياً كان قد جمع القرآن كلّه على عهد الرسول (ص) أمّا عن ظهر قلب أو مكتوباً في نسخة و لما علمنا في ما ذكرناه في المجلد الثاني من معالم المدرستين و ما سيأتي ذكره في المجلد الثاني من هذا الكتـاب ان الـرسـول (ص) و الإمـام علي كانـا يجتمعـان يوميا و يمـلي الرسول (ص) عليه ما أوحي إليه خلال تغيب أحدهما عن الآخر فلابدّ أن يكـون الإمـام علي قد أخـذ القرآن من الرسول (ص) و علىٰ أي حال فان الحديث يدل علىٰ ان الإمام عليا كان يختم القرآن على عهد الرسول(ص)، و ممّن أقرأ القرآن غيره.

و يضـاف إلى المشهورين من القرّاء في الصحابة القرّاء السبعون من أصحاب الرسول (ص) الآتي خبرهم:

---

٤٧) كنز العمال ٢/ ٣٥١، رقم الحديث ٤٢٢١ ؛ و ذكر سنة وفاته بترجمته من الاصابة ٢/ ٥٦٠ ؛ و تهذيب التهذيب ٣/ ٣٢١ ؛ و حلية الأولياء لأبـي نعيم ٤/ ١٨١ .

و زِرّ : بكسر الزاي و تشديد الراء .

خبر القرّاء السبعين من أصحاب رسول اللّه الّذين استشهدوا

قال ابن سعد :

في صفر على رأس ستة و ثلاثين شهراً من الهجرة قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة الكلابي على رسول اللّه (ص)، فأهدىٰ له فلم يقبل منه و عرض عليه الإسلام فلم يُسلم و لم يُبعد وقال :لو بعثتَ معي نفراً من أصحابك إلى قومي لرجوتُ أن يجيبوا دعوتك و يتبعوا أمرك، فقال: إني أخاف عليهم أهلَ نَجد. فقال: أنا لهم جارٌ إن يعرض لهم أحدٌ. فبعث معه رسول اللّه (ص) سبعين رجلاً من الأنصار شَبَبَةً يُسمّو ن القُرّاء و أمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، فلمّا نزلوا ببئر معونة، وهو ماء من مياه بني سُليم و هو بين أرض بني عامر و أرض بني سُليم، كلا البلدين يُعدّ منه وهو بناحية المعدن، نزلوا عليها و عسكروا بها و سرحوا ظهرهم و قدّموا حَرامَ بن ملحان بكتاب رسول اللّه (ص)، إلىٰ عامر ابن الطفيل فوثب على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا و قالوا: لا يُخفرَ جوار أبي بَراء، فاستصرخ عليهم قبائل من سُليم عُصيّةَ و رِعلاً و ذكوانَ فنفروا معه ورأسوه. واستبطأ المسلمون حراماً فأقبلوا في أثره فلقيهم القوم فأحاطوا بهم فكاثروهم فتقاتلوا فقُتل أصحاب رسول اللّه (ص)، و فيهم سليم ابن مِلحان و الحكم بن كيسان في سبعين رجلاً، فلمّا أحيط بهم قالوا: اللهمّ إنّا لا نجد من يُبلغ رسولك منّا السلامَ غيرك فأقرئه منّا السلامَ. فأخبره جبرائيل (ع) بذلك فقال: وعليهم السلام؛ و بقي المنذر بن عمرو فقالوا: إن شئت آمناك، فأبى و أتى مَصرَعَ حرام فقاتلهم حتى قُتل؛ و كان معهم عمرو بن أميّة الضمري فقتلوا جميعاً غيره، فقال عامر بن الطّفيل : قد كان على أميّ نَسَمَةٌ فأنتَ حُرّ عنها، و جزّ ناصيته . و فقد عمرو بن أميّة عامرَ ابن فُهيرة من بين القتلى فسأل عنه عامرَ بن الطّفيل فقال: قتله رجل من بني كلاب يُقال له

جبّار بن سُلمى، لـمّا طعنه قال: فزتُ و اللّه![48].

و في صحيح البخاري :

قال أنس: كنّا نسميهم القراء يحطبون بالنهار و يصلون بالليل[49].

و جاء أكثر تفصيلاً في طبقات ابن سعد حيث قال:

جاء ناس إلىٰ النبيّ (ص) فقـالـوا: ابعث معنا رجالاً يعلّمونا القرآن و السنّة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القرّاء فيهم خالي حرام، كانـوا يقرؤون القرآن و يتدارسون بالليل و يتعلّمون، و كانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد و يحتطبون فيبيعونه و يشترون به الطعام لأهل الصفة والفقـراء فبعثهم النبيّ (ص) إليهم فعـرضـوا لهم فقتلوهم قبـل أن يبلغـوا المكان ... الحديث[50].

و من القرّاء من لم يشتهر في عداد قراء الصحابة مثل :

أ ـ عبد اللّه بن عمرو بن العاص .

جاء في كنز العمال: عن عبد اللّه بن عمرو قال: جمعتُ القرآن، فقرأت به في ليلةٍ، فقال رسولُ اللّه (ص): اقرأه في شهرٍ ، قلتُ يا رسول اللّه دعني أستمتع من قوتي و شبابي، قال: اقرأه في عشرين، قلت يا رسول اللّه دعني أستمتع من قوتي و شبابي، قال: اقرأه في عشر ، قلت يا رسول اللّه دعني أستمتع من قوتي و شبابي، قال: اقرأه في سبع ليالٍ ، قلت يا رسول اللّه دعني أستمتع من قوتي و شبابي فأبىٰ[51].

ب و ج ـ ابن أم عبد ـ عبد اللّه بن مسعود و سالم مولىٰ أبي حذيفة

---

٤٨) طبقات ابن سعد ٢/ ٥١ ـ ٥٢ .

٤٩) صحيح البخاري ٢/ ١٢١، كتاب الجهاد و السير ، باب العون بالمدد.

٥٠) طبقات ابن سعد ٢/ ٣ .

٥١) كنز العمال ٢/ ٣٥١، رقم الحديث ٤٢٢١ .

روي عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله (ص) يقول خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد و بدأ به و من أُبي بن كعب و من سالم مولىٰ أبي حذيفة و من معاذ بن جبل[٥٢].

وهذا الحديث يدلّ على انّ هؤلاء الأربعة أما أن يكون كل واحد منهم قد جمع القرآن عن ظهر قلب ولاطمئنان الرسول (ص) بذلك يهدي المسلمين أن يأخذوا القرآن منهم أو أن يكون لدىٰ كل واحد منهم نسخة كاملة من القرآن الكريم و دلالة الحديث علىٰ الأمر الثاني أقوى و أهمّ.

د ـ هـ ـ و ـ ز ـ ح ـ ط: أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و عثمان بن عفّان و تميم الداريّ و معاذ بن جبل و أبو الدرداء

لما جاء في طبقات ابن سعد[٥٣]، باب ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص):

أولاً ـ عن محمد بن سيرين قال: جمع القرآن على عهد النبي (ص)، أبيّ ابن كعب و زيد بن ثابت و عثمان بن عفّان و تميم الداريّ[٥٤].

ثانياً ـ عن عامر الشعبي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص)، ستّة رهطٍ من الأنصار: معاذ بن جبل و أبـي بن كعب و زيد بن ثابت و أبو الدرداء و أبو زيد و سعد بن عُبيد، قال: قد كان بقي على المجمّع بن جارية سورةٌ أو سورتان حين قُبض النبيّ[٥٥].

---

٥٢) راجع ترجمته في الاستيعاب ١/ ٣٦٠ و ٢/ ٥٦٢ ، و أسد الغابة ٢/ ٣٠٧ ؛ و الاتقان للسيوطي ١/ ٧٢ .

٥٣) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٥ .

٥٤) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة، ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرىٰ الرواية بالمعنىٰ، من الثالثة ـ الطبقة الوسطىٰ من التابعين، مات سنة عشر ومائة (تقريب التهذيب ٢/ ١٦٩).

٥٥) عامر بن شراحيل الشعبي: أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة ←

وجاء فيه ـ أيضاً ـ عن الشعبي:

قال: جمع القرآن على عهد رسول اللّه (ص)، ستّة نفرٍ: أُبـيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وسعدٌ وأبو زيد. قال: وكان مجمّع ابن جارية قد جمع القرآن إلّا سورتين أو ثلاثاً، وكان ابن مسعود قد أخذ بضعاً وتسعين سورة وتعلّم بقيّة القرآن من مجمّع.

ي ـ ثابت بن زيد بن قيس بن زيد الخزرجي الحارثي ويكنىٰ أبا زيد

أخبرنا أبو زيد الأنصاري البصري النحوي واسمه سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبـي زيد قال: وثابت بن زيد بن قيس هو جدّي، وقد شهد أحداً وهو أحد الستّة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه (ص) وكان قد نزل البصرة واختطّ بها، ثمّ قدم المدينة فمات بها في خلافة عمر بن الخطاب فوقف عمر على قبره فقال: رحمك اللّه أبا زيد، لقد دُفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة[٥٦].

وموجز الخبر بترجمته في الاصابة ١/٢٢٠ وفي أسد الغابة ١/٢٦٩: وهذا غير أبو زيد الذي جاء اسمه في رواية أنس والذي جمع القرآن على عهد النبي(ص) اختلفوا في اسمه وقد رجعنا في ترجمته إلى الاصابة حيث قال:

(أبو زيد) الذي جمع القرآن ـ وقع في حديث أنس في صحيح البخاري غير مسمى وقال أنس هو أحد عمومتي واختلفوا في اسمه فقيل أوس وقيل ثابت بن زيد وقيل معاذ وقيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن السكن وهذا هو الراجح كما بينته في حرف القاف.

وقال في حرف القاف ما موجزه:

ـ الطبقة الوسطى من التابعين ـ قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين (تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧).

٥٦) طبقات ابن سعد ٧ / ٢٧.

(قيس) بن السكن بن زعوراء و قيل بن السكن و زعوراء قيس آخر الأنصاري ـ ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً .

و في صحيح البخاري عن أنس في تسمية من جمع القرآن أبو زيد قال أنس هو أحد عمومتي وقد أخرجه أبو نعيم في المستخرج عن البخاري و ابن حبان و ابن السكن و ابن منده من الوجه الذي أخرجه منه البخاري و زادوا أن اسمه قيس بن السكن و كان من بني عدي بن النجار و مات و لم يدع عقباً قال أنس فورثناه.

و انما قلنا ان أبا زيد الثاني غير أبي زيد الأول لأنّ الأول كان له عقب بالبصرة وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب و أبو زيد الثاني و المستخرج ترجمته من رواية أنس قال عنه استشهد ببدر و نحن ورثناه و هذا الصحابي لم نجد له ذكراً في غير روايات أنس وعلى ذلك يسوغ لنا أن نعده من الصحابة المختلقين.

تراجم القرّاء من الصحابة[٥٧]

و نبدأ بذكر تراجم من وجدنا أسماءهم ممن استشهد منهم يوم بئر معونة:

أ ـ أميرهم: المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي

كان يكتب بالعربية قبل الإسلام و كان أحد النقباء الاثني عشر في بيعة العقبة الثانية أمّره رسول اللّه (ص) على أصحاب بئر معونة فاستشهد كما ذكرناه (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٥).

ب ـ أبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر من بني النجار

شهد بدراً و أحداً و استشهد يوم بئر معونة (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٤).

ج و د ـ أنس و أبي ابني معاذ بن أنس من بني ساعدة

---

٥٧) اقتصرنا في إيراد تراجم القراء من الصحابة على إيراد تراجم غير المشهورين من الصحابة ولا حاجة لايراد تراجم القرّاء المشهورين مثل الخلفاء.

من الأنصار، شهد أنس بدراً و أحداً و شهد معه أحداً أخوه أبي و شهدا - أيضاً - بئر معونة و أستشهدا في المعركة (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٢).

هـ - أبو سعد الحارث بن الصِمّة من بني النجار

كان ممن خرج مع رسول اللّه (ص) إلىٰ بدر فكسر بالروحاء فردّه الرسول (ص) وضرب له بسهمه و أجره، شهد أحداً و استشهد في بئر معونة (الاستيعاب بهامش الاصابة ٢/ ٢٩٨؛ و أسد الغابة ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤؛ و الاصابة ٢/ ٢٨٠؛ و طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

و و ز - سليم و حرام ابني ملحان الخزرجي من بني النجار

خالا أنس بن مالك، استشهدا في المعركة، جاء رجل خلف حرام فطعنه برمح فقال حرام فزت و ربّ الكعبة (طبقات ابن سعد ٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥؛ و أسد الغابة ١/ ٢٩٥ و ٢/ ٣٥٠).

ح - عروة بن أسماء بن الصلت السلمي

حليف لبني عمرو بن عوف من الأنصار، حرص المشركون بعروة أن يؤمنوه فأبىٰ وقال: لا أقبل لكم أماناً و لا أرغب بنفسي عن مصرع أصحابي و قاتل حتى استشهد (طبقات ابن سعد ٤/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

ط و ي - مالك و سفيان ابنا ثابت

قال ابن سعد : وهما من النبيت من الأنصار ذكرهما محمد بن عمر في كتابه في من استشهد يوم بئر معونة ... وقال ابن حجر مالك بن ثابت الأنصاري الأوسي من بني النبيت و قال الواقدي: قتل يوم بئر معونة (طبقات ابن سعد ٤/ ٣٧١؛ و الاصابة ٣/ ٣٢١).

ك - مسعود بن سعد بن قيس من بني زريق

شهد بدراً و أحداً و يوم بئر معونة و قتل يومئذ شهيداً (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٩٦).

ل - معاذ بن ماعض الأنصاري الزرقي

الثبت انه شهد بدراً و أحداً و بئر معونة و قتل يومئذ شهيداً (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٩٦؛ وراجع الاصابة ٣/ ٤٠٩).

م ـ المنذر بن محمد بن عقبة الخزرجي

قتل يوم بدر شهيداً ولا عقب له (طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٣؛ وراجع ترجمته في الاصابة).

و من حلفاء الأنصار كان:

ن ـ عامر بن فهيرة مولىٰ الخليفة أبي بكر

أسلم بمكة قبل أن يدخل رسول اللّه (ص) دار الأرقم ويدعو فيها وكان من المستضعفين بمكة وعذب ليترك دينه فلما هاجر إلىٰ المدينة آخىٰ الرسول (ص) بينه و بين الحارث بن أوس. قتل في بئر معونة و لم يوجد جسده حين دفن و كانوا يرون إن الملائكة هي التي دفنته (طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ و راجع ترجمته في الاصابة).

و كان من ضمنهم من غير الأنصار:

س ـ الحكم بن كيسان مولىٰ هشام بن المغيرة

والد أبي جهل وأسر في غير قريش التي أصابها عبداللّه بن جحش بنخلة في أول سرية بعثها رسول اللّه (ص) أسره المقداد بن عمرو و أراد أمير السرية أن يضرب عنقه، فقال له المقداد دعه نقدم به على رسول اللّه (ص) فلما قدموا عليه جعل رسول اللّه (ص) يدعوه إلىٰ الإسلام، فأطال، فقال عمر: علامَ تُكلِّمُ هذا يا رسول اللّه ؟ و اللّه لا يُسلمُ هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه و يقدم إلىٰ أمّه الهاوية. فجعل النبي (ص) لا يُقبلُ علىٰ عمر حتى أسلم الحكم فقال عمر: فما هو إلّا أن رأيته قد أسلم حتى أخَذني ما تقدم و ما تأخر وقلت: كيف أرُدّ علىٰ النبيّ (ص)، أمراً هو أعلم به مني ثمّ أقول إنّما أردتُ بذلك النصيحة للّه و لرسوله ؟ فقال عمر: فأسلم و اللّه فحسن إسلامه و جاهد في اللّه

حتى قُتِلَ شهيداً ببئر معونَة، ورسول اللّه (ص) راضٍ عنه ودخل الجنان (طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٧؛ والاصابة ١/ ٣٤٩).

ع ـ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي

شهد بئر معونة واستشهد فقال ابن رواحة ينعى نافعاً:

رحم اللّه نافع بن بديل رحمة المبتغين ثواب الجهاد

(طبقات ابن سعد ٤/ ٢٩٤؛ والاصابة ٣/ ٥١٤).

ف ـ عبد اللّه بن قيس بن صرمة بن أبي أنس

استشهد يوم بئر معونة (الاستيعاب ١/ ٣٨٠).

ونجىٰ منهم:

ص ـ عمرو بن اميّة بن خويلد من بني عبد مناة بن كنانة

أسرته بنو عامر وقال له عامر بن الطفيل ـ رئيس المشركين ـ انه كان علىٰ أميّ نسمة فأنت حرّ عنها وحزّ ناصيته فقدم المدينة وأخبر رسول اللّه (ص) بقتل من قتل فسرّ رسول اللّه (ص) بقدومه ودعا له بخير (طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩؛ واختصر ترجمته في الاصابة).

* * *

كان ذلكم ما وجدنا من تراجم السبعين من القراء في يوم بئر معونة وفي ما يأتي تراجم غيرهم من قراء الصحابة:

١ ـ أبو الطفيل وأبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الخزرجي من بني النجار

شهد بيعة العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه (ص).

وبترجمته في طبقات ابن سعد (٢/ ٤٩٨ ـ ٥٠٢) وتاريخ ابن عساكر وتهذيبه ومختصره (٤/ ١٩٧ ـ ٢٠٤) ما موجزه:

كان أبي بن كعب يكتب في الجاهلية قبل الإسلام وكتب الوحي لرسول اللّه (ص) وقرأ القرآن عليه وقال للخليفة عمر: إني تلقيت القرآن ممّن تلقا

من جبرائيل و هو رطب.

وفي طبقات ابن سعد عن أبيّ أنّه كان يختم القرآن في ثماني ليالي و كان تميم الداري يختمه في سبع.

و في تاريخ ابن عساكر خطب عمر فقال :

من كان يُريد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبـيّ بن كعب، و من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، و من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، و من كان يريد أن يسأل عن المال فليأتني، فإنّ اللّه جعلني له خازناً و قاسماً ... الحديث.

و رويا بسندهما عن جندب بن عبد اللّه البجلي ما موجزه:

قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، و إذا النّاس في مسجد رسول اللّه (ص) حَلَقٌ حَلَقٌ يتحدثون؛ قال: فجعلت أمضي الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب، عليه ثوبان كأنّما قدم من سفرٍ ، فسمعتهُ يقول: هلك أصحاب العقدة و ربِّ الكعبة، ولا آسا عليهم، قالها ثلاث مرّات؛ قال: فجلستُ إليه فتحدث بما قُضي له، ثم قام، فلما قام سألت عنه، قلت: من هذا ؟ قالوا: هذا أُبيّ بن كعب سيِّد المسلمين؛ فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رثُّ المنزل، و رثُّ الكسوة يُشبه بعضه بعضاً، فسلمت عليه، فردّ عليّ السَّلام، ثم سألني: من أنت؟ قلتُ: من أهل العراق؛ قال: أكثر شيءٍ سؤالاً! قال: فلما قال ذاك غضبتُ فجثوتُ على ركبتيّ، و اَستقبلت القبلة، و رفعت يدي، فقلت: اللّهم إنّـا نشكـوهم إليك، إنّا ننفق نفقـاتنا، و ننصب أبداننا، و نرحل مطايانا اَبتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّموا و قالوا لنا؛ قال: فبكى أُبـيّ، و جعل يترضاني، وقال: ويحك، لم أذهب هناك؛ ثم قال: إنّي أُعاهدك لئن اَبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول اللّه (ص) ولا أخاف فيه لومة لائم؛ ثم أراهُ قام، فلمّا قال ذلك اَنصرفت عنه و جعلت أنتظر الجمعة لأسمع كلامه؛ قال: فلمّا كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجاتي فإذا السكك غاصّة من الناس لا آخذ في سكّة إلاّ تلقاني الناس . فقلت

ما شأن النـاس قالوا: نحسبك غريباً قلت: أجل قالوا: مات سيد المسلمين أُبي بن كعب.

قال: فلقيت أبا موسىٰ بالعراق فحدثته بالحديث، فقال: والـهفاه ! ألا كان بقيَ حتى يُبلِّغنا مقالة رسول اللّه (ص) انتهىٰ.

لست أدري: هل اغتيل أُبيّ بن كعب من قبل أهل العقدة كي لا يفشي سرّهم ؟!

اختلفوا في سنة وفاته فقالوا كان في سنة ١٩ و ٢٠ و٢٢ و ٢٣ راجع ترجمته في طبقات ابن سعد و الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة .

٢ ـ أمّ ورقة بنت عبد اللّه نسبت إلىٰ جدّها الأعلىٰ نوفل الأنصاري، قالوا في ترجمتها بأسد الغابة:

ان رسول اللّه (ص) لما غزا بدراً قالت له ائذن لي فأخرج معك فامرض مرضاكم لعل اللّه يرزقني الشهادة قال قري في بيتك فان اللّه يرزقك الشهادة قال فكـانـت تسمى الشهيدة قال و كانت قد قرأت القـرآن فاستـأذنت النبي (ص) في أن تتخذ في دارها مؤذناً فأذن لها قال و كانت قد دبرت غلاما لها و جارية فقاما إليها بالليل فغمياها بقطيفة لها حتى ماتت و ذهبا فأصبح عمر فقام في الناس فقال من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما فأمر بهما فصلبا فكانا أوّل مصلوب بالمدينة فقال عمر : صدق رسول اللّه (ص) حين كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

٣ ـ تميم بن أوس الداري

كان راهب أهل فلسطين ثم سكن المدينة على عهد النبي و أسلم سنة تسـع من الهجـرة و قصّ على عهـد الخليفتـين عمـر و عثمان في مسجـد الرسول (ص) وفي ترجمته بتاريخ ابن عساكر و تهذيبه و مختصره (٣١٩/٥): انه كان مـمن جمع القرآن على عهد رسول اللّه(ص) و كان يختـم القـرآن فـي سبع ليالٍ و انّ رجلاً أتـى تميم الداري فتحدث إليه حتـىٰ استأنس إليه فقال

له:

كم جزءاً تقرأ القرآن في ليلة ؟ فغضب وقال: لعلك من الذين يقرأ أحدهم القرآن في ليلة ثم يصبح فيقول: قد قرأت القرآن في هذه الليلة؟ فوالذي نفسُ تميم بيده لأن أصلي ثلاث ركعاتٍ نافلة أحب إليّ من أن أقرأ القرآن في ليلة ثم أصبح فأقول: قرأت القرآن الليلة. قال: فلما أغضبني قلت: و الله إنكم معاشر صحابة رسول الله(ص) ـ من بقي منكم ـ لجديرون أن تسكتوا فلا تعلِّموا و أن تُعَنِّفوا من سألكم ! فلما رآني قد غضبت لانَ وقال: ألا أحدثك يابن أخي؟ قلت: بلى، و الله ما جئتك إلّا لتحدثني؛ قال: أرأيت إن كنت أنا مؤمناً قوياً، و أنت مؤمن ضعيف. فتحمل قولي على ضعفك فلا تستطيع، فتنبت، أو رأيت إن كنت مؤمناً قوياً و أنا مؤمن ضعيف أتيتك ببساطي حتى أحمل قوتك على ضعفي فلا أستطيع فأنبت؟ ولكن خُذ من نفسك لدينك أو من دينك لنفسك حتى يستقيم بك الأمر على عبادةٍ تُطيقها.

٤ ـ زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي النّجّاري

بترجمته من مختصر تاريخ دمشق لابن منظور و طبقات ابن سعد ما موجزه:

قال زيد: قدم النبي المدينة و أنا ابن احدىٰ عشرة سنة و قرأت عليه سبع عشرة سورة فأعجبه ذلك فقال: يا زيد تعلّم لي كتاب يهود فتعلّمته و كنت أكتب له إذا كتب إليهم و إذا كتبوا إليه أقرأه.

و في مختصر تاريخ دمشق:

قال: و كانت راية بني مالك بن النجار في تبوك مع عمارة بن حزم، فأدركه رسول الله (ص) فأخذها منه، فدفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء ؟ قال: لا ولكن القرآن يُقدَّم، و كان زيد أكثر أخذاً منك للقرآن.

و في حديث آخر بمعناه: و القرآن يقدم و إن كان عبداً أسود مجدعاً.

وعن أبـي سعيد قال:

لما توفي رسـول اللّه (ص) قام خطباء الأنصار، فجعل بعضهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول اللّه (ص) كان إذا بعث رجلاً منكم قرنه برجل منا، فنحن نرى أن يلي هذا الأمر رجلان: رجل منكم، ورجل منا، فقام زيد بن ثابت فقـال: إنّ رسـول اللّه (ص) كان من المهاجرين، وكنا أنصار رسول اللّه (ص)، وإنما يكون الإمام من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول اللّه (ص). فقال أبو بكر: جزاكم اللّه خيراً من حيّ يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم، واللّه لو قلتم غير هذا ما صالحناكم.

وفيه وفي صحيح البخاري باب جمع القرآن من كتاب فضائل القرآن:

(إنّ زيد بن ثابت (رض) قال: أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة)

(قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللّه (ص) فتتبّع القرآن فاجمعه).

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللّه ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر.

(فأرسل عثمان إلىٰ حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمّ نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت و... فنسخوها في المصاحف) (وأرسل إلى كل أُفق بمصحف ممّا نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[٥٨].

وفي مختصر تاريخ ابن عساكر:

كان عمر يستخلف زيد بن ثابت في كل سفر ـ أو كل سفر يسافره ـ وكان يفرّق الناس في البلدان، ويوجهه في الأمور المهمة، ويطلب إليه الرجال المسمون، فيقال له: زيد بن ثابت. فيقول: لم يسقط علي مكان زيد، ولكن أهل

---

٥٨) صحيح البخاري ٣/ ١٥٠ ـ ١٥١.

البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده فيما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره.

يعني انه يعلم بمكان زيد و لكن أهل المدينة يحتاجونه ولا يجدون ما عنده من العلم عند غيره .

و قال :

استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء، و فرض له رزقاً.

و قال :

إنّ عمر بن الخطاب (رض) كان يستخلف زيد بن ثابت إذا خرج إلى بعض أسفاره، فقلما رجع إلاّ أقطع زيداً حديقة من نَخل.

و قال :

كان مع عمر بن الخطاب لما قدم الشام و خطب بالجابية عند خروجه لفتح بيت المقدس، وهو الذي تولّىٰ قِسمة غنائم اليرموك.

و قال :

ما كان عمر و عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء، والفتوىٰ، و الفرائض، و القراءة.

و قال :

لما ردّ عبد اللّه بن الأرقم المفتاح استخزن عثمان زيد بن ثابت[٥٩].

كان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على عثمان، و كان زيد بن ثابت يذبُّ عنه، فقال له قائل منهم: وما يمنعك !؟ ما أقلَّ و اللّه من الخزرج من له من عِضدانِ العجوة ما لَكَ !

قال: فقال له زيد بن ثابت: اشتريتُ بمالي، و قطع لي إمامي عمر بن الخطاب، وقطع لي إمامي عثمان بن عفان.

---

٥٩) بالاضافة إلىٰ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر راجع تراجمه في طبقات ابن سعد والاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة.

فقال له ذلك الرجل: أعطاك عمر بن الخطاب عشرين ألف دينار ؟ قال: لا، و لكن عمر كان يستخلفني علىٰ المدينة، فواللّه ما رجع من مغيب قط إلاّ قطع لي حديقة من نخل.

و لما حُصِر عثمان أتاه زيد بن ثابت، فدخل عليه الدار، فقال له عثمان: أنت خارج أنفعُ لي منك ههنا، فَذُبَّ عني. فخرج، فكان يذبُّ الناس، و يقول لهم فيه، حتى رجع لقوله أناس من الأنصار، و جعل يقول: يا للأنصار ! كونوا أنصار اللّه ـ مرتين ـ انصروه، و اللّه إن دمه لحرام. فجاء أبو حَبَّة المازني مع ناس من الأنصار، فقال: ما يصلح لنا معك أمر، فكان بينهما كلام، ثم أخذ تلبيبَ زيد ابن ثابت هو و أناس معه، فمرَّ به ناس من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه. توفي بالمدينة سنة ٤٥ أو ٤٨ أو ٥٥ .

٥ ـ سالم مولىٰ أبي حذيفة القرشي العبشمي

بترجمته في أسد الغابة: (كان من أهل فارس من اصطخر) (وهو معدود في المهاجرين لأنّه لما أعتقته ثُبيتة الأنصاريّة زوج أبي حذيفة) (تبناه أبو حذيفة) (وهو معدود في الأنصار لعتق مولاته) (وهو معدود في قريش لما ذكرناه).

و بترجمته في طبقات ابن سعد (٨٧/٣ ـ ٨٨):

(أقبل سالم مولىٰ أبي حذيفة يوم المهاجرين من مكة حتى قدم المدينة لانه كان أقرأهم) (كان سالم مولىٰ أبي حذيفة يوم المهاجرين بقباء فيهم عمر ابن الخطاب قبل أن يقدم رسول اللّه (ص)).

آخىٰ رسول اللّه (ص) بينه و بين أبي عبيدة بن الجرّاح و بينه و بين معاذ ابن ماعص الأنصاري.

و بترجمته في أسد الغابة (٢/ ٣٠٧) و الاصابة (٣/ ٥٧):

إنّه قيل له يوم اليمامة في اللواء أن يحفظه و قال غيره: نخشىٰ من نفسك شيئاً فنولّي اللواء غيرك فقال بئس حامل القرآن أنا إذاً و قاتل حتىٰ قتل.

٦ ـ سعد أو سعيد الملّقب بالقارئ ابن عبيد بن النعمان

الأنصاري، الأوسي، وكان يدعىٰ في زمن النبي بالقارئ وهو أوّل من جمع القرآن من الأنصار وكان إمام مسجد عمرو بن عوف فلما قتل بالقادسية سنة خمس عشرة اختصموا في الامامة إلىٰ عمر بن الخطاب (طبقات ابن سعد ٣٥٥/٢ و ٣٧٢/٤؛ وأسد الغابة ٣٥٩/٢ ـ ٣٦٠ بترجمة سعد وسعيد؛ والاستيعاب ص ٥٥٠).

٧ ـ عبادة بن صامت أبو الوليد الخزرجي

بايع رسول اللّه (ص) في بيعة العقبة الأولىٰ وفي الثانية جعله رسول اللّه (ص) من النقباء الاثني عشر شهد بدراً والمشاهد كلّها مع رسول اللّه (ص)[٦٠].

كان ممّن جمع القرآن على عهد رسول اللّه (ص)[٦١].

ويعلّم أهل الصفة القرآن[٦٢].

وبترجمة أبي الدرداء، عويمر بتاريخ ابن عساكر ومختصره (١٩/ ١٩ ـ ٢٠) ما موجزه:

في زمان الخليفة عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان واليه علىٰ الشام: إنّ أهل الشام قد كثروا وربَلوا[٦٣] وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلىٰ من يعلمهم القرآن ويفقههم؛ فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم فأرسل إلىٰ الشام معاذ وعُبادة وأبو الدرداء وقال لهم: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس علىٰ

---

٦٠) بترجمته في مختصر تاريخ دمشق .

٦١) في باب من جمع القرآن على عهد رسول اللّه(ص) بطبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٦ ، وبترجمته من الاصابة عن طبقات ابن سعد وتاريخ البخاري.

٦٢) بترجمته في أسد الغابة .

٦٣) ربلوا : كثر عددهم ونموا .

وجوه مختلفة، منهم مَنْ يَلْقَن[٦٤]، فإذا رأيتم ذلك فوجِّهوا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد و ليخرج واحد إلى دمشق و الآخر إلىٰ فلسطين.

فقـدمـوا حمصَ فكانوا بها، حتىٰ إذا رضُوا من الناس أقام بها عُبادة وخرج أبو الدرداء إلىٰ دمشق، و معاذ إلىٰ فلسطين؛ و أمّا عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها؛ و أمّا أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات.

ولما توفي يزيد وولي الشام أخوه معاوية بن أبي سفيان جرىٰ بين عبادة ومعاوية ما جاء بترجمته في تاريخ ابن عساكر ومختصره (٣٠٦/١١ ـ ٣٠٧) فرجع إلىٰ المدينة فأعاده عمر إلى محل عمله ولما استخلف عثمان جرىٰ بينه و بين معاوية ـ أيضاً ـ ما جاء بترجمته وقالوا توفي سنة ٣٤.

٨ ـ عبد اللّه بن عمرو بن العاص القرشي السهمي

مرّ بنا الدليل علىٰ كونه من القرّاء على عهد رسول اللّه(ص) وله خبر مع الإمـام الحسـين (ع) ذكره ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال: «كنت في مسجد الرسول (ص)، في حلقة فيها أبو سعيد الخدري و عبد اللّه بن عمرو، فمر بنا حسين بن علي، فسلم، فرد القوم السلام، فسكت عبد اللّه حتى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام و رحمة اللّه و بركاته. ثم أقبل علىٰ القوم فقال: ألا أُخبركم بأحب أهل الأرض إلىٰ أهل السماء؟ قالوا: بلى. قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالي صِفين، ولأن يرضى عني أحبُّ إليَّ من أن يكون لي حُمرُ النَّعمِ. فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟ قال: بلى. قال: فتواعدا أن يغدوا إليه. قال: فغدوت معهما، فاستأذن أبو سعيد، فأذن له، فدخل، ثم استأذن لعبد اللّه، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول اللّه، إنك لـمّا مررت بنا أمسِ ... فأخبره بالذي كان من قول عبد اللّه بن عمرو، فقال حُسين: أعلمت يا عبداللّه أني أحب أهل

---

٦٤) يلقن: يفهم بسرعة.

الأرض إلى أهل السماء ؟ قال: إي ورب الكعبة ! قال: فما حملك علىٰ أن قاتلتني وأبي يوم صفين ؟ فواللّه لأبي كان خيراً مني. قال: أجل، ولكن عمرو شكاني إلىٰ رسول اللّه (ص). فقال: يا رسول اللّه، إن عبد اللّه يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لي رسول اللّه (ص): يا عبد اللّه، صَلِّ ونَمْ وصُم وأفطر، وأطع عمراً. قال: فلما كان يوم صفين أقسم عليّ فخرجت، أما واللّه ما اخترطت سيفا، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال: فكانه» وقال:

وتوفي عبد اللّه سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة خمس وستين بمصر. وقيل: سنة سبع وستين بمكة. وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالطائف. وقيل: سنة ثمان وستين. وقيل: سنة ثلاث وسبعين. وكان عمره اثنتين وسبعين سنة. وقيل: اثنتان وتسعون سنة[٦٥].

٩ ـ أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعري

بترجمته من أسد الغابة ما موجزه:

ركب من اليمن مع جماعة من قومه في سفينة للهجرة إلى المدينة فألقتهم الريح إلى الحبشة فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه منها وقدمت السفينتان معاً، سفينة جعفر وسفينة الأشعريين علىٰ النبي (ص) حين فتح خيبر.

وفي ترجمته بمختصر تاريخ ابن عساكر فأطعمهم النبي (ص) طعمة يقال لها: طعمة الأشعريين.

واتفقت الروايات في تراجمه انّه كان حسن الصوت بالقرآن فكان يستقرؤه الخليفة وغيره، وعينه الخليفة عمر سنة سبع عشرة والياً ومقرئاً لأهل البصرة فقال لهم:

إنّ أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عزّ وجلّ، وسنّة

---

٦٥) أسد الغابة ٣/ ٣٥١.

نبيكم، و أنظف لكم.

و في تاريخ ابن عساكر :

كان إذا صلى الصبح أمر الناس فثبتوا في مجالسهم، ثم استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئه القرآن حتى يأتي على الصفوف.

و كان هو الذي فقه أهل البصرة و أقرأهم.

و في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٤ و ٤/ ١٠٨) عن أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر فقال لي عمر : كيف تركت الأشعري فقلت له: تركته يعلّم الناس القرآن.

و في سنة سبع و عشرين عزله عنها الخليفة عثمان و ولي عليها عبد اللّه ابن عامر كريز فسكن الكوفة.

و في سنة أربع و ثلاثين أخرج أهل الكوفة واليهم سعيد بن العاص و ولوا عليها أبا موسى و كتبوا إلى الخليفة يسألونه أن يولي عليهم أبا موسى فوّلاه و بقي عليها إلى واقعة الجمل فثبط أهل الكوفة عن الإلتحاق بجيش الإمام علي فعزله. وفي واقعة الحكمين ألّحوا على الإمام علي أن يعينه من قبله ففعل و كان من أمره ما هو مشهور. وتوفي في الكوفة في خلافة معاوية سنة ٤٢ أو ٤٤ أو ٤٩ أو ٥٠ أو ٥٥[٦٦].

١٠ ـ ابن أم . عبد اللّه بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة

أسلم قبل دخول رسول اللّه دار الأرقم، قال كنت سادس ستة ممن أسلم وكان أول من أجهر بالقرآن بمكة من الصحابة وهاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة و كان في المدينة يخدم رسول اللّه (ص).

قال ابن مسعود قال لي رسول اللّه (ص): اقرأ عليّ . قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل. قال: إنّي أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء عليه

---

٦٦) راجع ترجمته بتاريخ ابن عساكر و مختصره .

حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ إلى آخر الآية فاضت عيناه (ص).

قال الإمام علي في حقّه: علم القرآن و السنّة.

و قال: قرأ القرآن فاحلّ حلاله و حرّم حرامه.

و قال: بينا نحن عنده (ص) على حراء إذ نزلت عليه (ص) سورة المرسلات فأخذتها و انّ فاه ليرطب بها.

* * *

كان ذلكم بعض أخبار ابن مسعود على عهد الرسول (ص) و من أخباره بعده ما رواه الذهبي بترجمة الخليفة عمر من تذكرة الحفاظ وقال:

إنّ عمر حبس ثلاثة ابن مسعود و أبا الدرداء و أبا مسعود الأنصاري فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله(ص)[٦٧].

يعني حبسهم في المدينة ومنعهم عن الخروج منها ونرىٰ أنه كان من أثر ذلك ما جاء بترجمة ابن مسعود في تاريخ ابن عساكر ومختصره:

أ ـ كان عبد الله بن مسعود يأتي عليه الحول قبل أن يحدثنا عن رسول الله (ص).

ب ـ بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة معلماً و وزيراً وهو أفقههم وأقرأهم للقرآن وولاه عمر بيت المال.

ج ـ جاء رجل من الكوفة إلى الخليفة عمر فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة فتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه فغضب و انتفخ فقال: ومن هو ويحك، قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسير عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك... الحديث.

---

٦٧) راجع ترجمة ابن مسعود بتاريخ ابن عساكر و مختصره؛ وتذكرة الحفاظ ١/ ٧.

وسيأتي موجز أخباره في زمن الخليفة عثمان - إن شاء اللّه تعالى - في بحث اختلاف المصاحف من المجلد الثاني من هذا الكتاب وتوفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

١١ - أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي

شهد مع رسول اللّه أحداً فما بعدها وآخىٰ بينه وبين سلمان الفارسي وكان ممن جمع القرآن علىٰ عهد رسول اللّه (ص).

وفي ترجمته بتاريخ ابن عساكر ومختصره (١٩/ ١٠ - ٤٣) ما موجزه:

قال رجل لأبي الدرداء: يا معشر القُرّاء ما بالكم أجبنُ منا وأبخلُ إذا سُئلتم، وأعظم لُقماً إذا أكلتم؟ فأعرض عنه أبو الدرداء ولم يرد عليه شيئاً، فأُخبرَ بذلك عمر بن الخطاب، فسأل أبا الدرداء عن ذلك؟ فقال أبو الدرداء: اللهم غفراً! وكل ما سمعناه منهم نأخذهم به! فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال لأبي الدرداء ما قال، فقال بثوبه وخنقه، وقاده إلى النبي (ص) فقال الرجل: إنما كنا نخوضُ ونلعب، فأوحىٰ اللّه تعالىٰ إلى نبيه (ص) ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّانَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (التوبة/٦٥).

وروى انه كان ممن بعثه عمر إلى الشام لتعليم القرآن ثمّ ولاه علىٰ القضاء - يعني بدمشق - وكان القاضي يكون خليفة الأمير إذا غاب.

وقال: كان عبد اللّه بن مسعود يقول: علماء الناس ثلاثة: واحدٌ بالعراق، وآخر بالشام - يعني أبا الدرداء - يحتاج إلى الذي بالعراق - يعني نفسه - والذي بالشام والعراق يحتاجان إلى الذي بالمدينة - يعني علي بن أبي طالب - ولا يحتاج إلى واحدٍ منهما. قالوا توفي سنة ٣١ أو ٣٢ في الشام.

١٢ - أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي

شهد بيعة العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول اللّه (ص).

جاء بترجمته من تاريخ ابن عساكر ومختصره ما موجزه:

لما فتح رسول اللّه (ص) مكة وسار إلى حنين استخلف عليها عتاب

ابن أسد يصلي بهم وخلّف معاذ بن جبل يقرئهم القرآن ويفقههم، ثم بعثه مع أبي موسىٰ إلى اليمن وقال لهما: يسرا ولا تعسرا.

وبترجمته من الاستيعاب:

فقال معاذ لأبي موسىٰ: كيف تقرأ القرآن، قال: أقرؤه في صلاتي وعلىٰ راحلتي قائماً وقاعداً ومضطجعاً أتفوقه تفوقاً. فقال معاذ: لكني أنام ثمّ أقوم فاحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

وتوفي في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وثلاثين سنة[٦٨].

ومن أخبار القرآن ان النبيّ (ص) كان يفضل في تعيين الولاة والامراء ولاقامة الجمعة والجماعة أقرأهم للقرآن.

وقد مرّ بنا خبر عمرو بن سلمة الجرمي الذي كان سكنى قومه على ماء ممّر الناس عليه وكانوا يسألون القادمين من الحرم عن أخبار الرسول (ص) فيخبروهم انه يقول: « أوحي إليّ كذا وكذا » يُعنون ما سمعوه من السور المكية التي كان الرسول (ص) يقرؤها في صلاته في الحرم وفي غيرها قال: كنت أتلقىٰ الركبان فيقرؤني فجعلت لا أسمع شيئاً إلّا حفظته حتى جمعت فيه قرآن كثيراً ولمّا وفد قومه علىٰ النبيّ (ص) بعد فتح مكة فاصبح امام جماعتهم واستمرّ علىٰ ذلك حتى عصر معاوية، ونظير هذا الخبر خبر عثمان الثقفي الآتي:

أبو عبد اللّه عثمان بن أبي العاص الثقفي

بترجمته من طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠) ما موجزه:

قدم علىٰ رسول اللّه(ص) المدينة في وفد ثقيف فأسلموا وكان عثمان من أصغرهم فجاء إلىٰ النبي (ص)، قبلهم فأسلم وأقرأه قرآناً ولزم أُبيّ بن كعب

---

٦٨) راجع ترجمته في تاريخ ابن عساكر ومختصره ٢٤/ ٣٦٩ ـ ٣٨٣؛ وطبقات ابن سعد ٣/ ٥٨٣ ـ ٥٩٠؛ والاستيعاب ١/ ٢٣٨.

فكان يُقرئه فلـمّا أراد وفد ثقيف الانصراف إلى الطائف قالوا: يا رسول اللّه أمّر علينا، فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفيّ، و قال إنّه كيس وقد أخذ من القرآن صدراً، فقدم معهم الطائف، فكان يصلي بهم و يُقرئهم القرآن.

و علىٰ عهـد عمـر كتب إليه أن استخلف علىٰ الـطائف و يقبـل إليه فاستخلف أخاه الحكم بن أبي العاص و أقبل إليه فوجّهه إلى البصرة.

و بترجمته من الاستيعاب و الاصابة :

ولاه عمر سنة خمس عشرة علىٰ عمان و البحرين و سكن في زمان معاوية البصرة و توفي في خلافة معاوية.

و كان النبي (ص) يعين الولاة علىٰ الجيوش و الامراء و القضاة في البلاد ممّن برز في قراءة القرآن و حفظه و جمعه و كان ممن عينه كذلك:

أ ـ الصحابي معاذ بن جبل بعد فتح مكّة يعلّم أهلها القرآن و يفقههم في الدين و بعد ذلك بعثه إلى الجند من بلاد اليمن ليقرئهم و يفقههم و يقضي بينهم و يقبض الصدقات.

ب ـ الصحابي عمرو بن حزم استعمله علىٰ نجران ليفقههم في الدين و يعلّمهم القرآن.

ج ـ إلى الطائف عثمان بن أبي العاص[٦٩].

د و هـ ـ معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعري إلى اليمن[٧٠].

* * *

كان ذلكم فهرساً لأخبار الاقراء و القرآن في عصر الرسول في المدينة و في ما يأتي فهرس أخبار تدوين القرآن يومذاك.

---

٦٩) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٨ .

٧٠) حلية الأولياء لأبـي نعيم ٢٥٦/١ و بترجمته بطبقات ابن سعد.

رابعاً ـ تدوين القرآن في المدينة

ندرس في هذا البحث الأمور الآتية:

أ ـ أمر الكتابة في المدينة قبل الاسلام:

قال البلاذري في فتوح البلدان:

كان الكتاب بالعربيَّة في الأوس والخزرج قليلاً، وكان بعض اليهود قد علَّم كتاب العربيَّة، وكان تعلَّمه الصبيان في المدينة في الزمن الأول، فجاء الاسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وهم سعد بن عُبَادة بن دُلَيم والمنذر بن عمرو وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت، فكان يكتب العربية والعبرانية، ورافع بن مالك، وأُسيد بن حضير، ومعن بن عَدِيّ البَلَويّ حليف الانصار، وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع وأَوسْ بن خَوَلّي وعبد الله بن ابيّ المنافق.

قال: فكان الكملة منهم والكامل من يجمع الى الكتاب الرمي والعوم: رافع بن مالك، وسعد بن عبادة وأُسيد بن حُضَير، وعبد الله بن أُبيّ، وأوس ابن خَوَلّي، و كان من جمع هذه الأشياء في الجاهليَّة من أهل يثرب: سُويد بن الصامت وحُضَير الكتائب[1].

قال: كانت الشفاء كاتبة في الجاهلية[2].

---

(١) فتوح البلدان ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ١٣٧٧ هـ ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤.

(٢) فتوح البلدان ص٦٦١ ـ ٦٦٢.

بترجمتها من الاستيعاب والاصابة: أسلمت الشفاء قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأوائل، بايعت النبي(ص) قبل الهجرة وكانت من عقلاء الناس وكانت ترقى النملة.

ب ـ أمر الكتابة في المدينةبعد الاسلام:

١ ـ من كان يقرأ ويكتب من الصحابيات:

قال البلاذري في فتوح البلدان:
وكانت حفصة زوج النبي تكتب.
وان أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب.
وان عائشة بنت سعد قالت: علمني أبي الكتاب.
وان كريمة بنت المقداد كانت تكتب.
وقال ان عائشة كانت تقرأ المصحف، ولا تكتب.
وكانت، أم سلمة تقرأ ولا تكتب(٣).

٢ ـ اهتمام الرسول (ص) بتعليم الكتابة بين المسلمين:

في امتاع الاسماع:

وكان في الأسرى من يكتُبُ، ولم يكن في الأنصار من يُحسِن الكتابةَ، وكان منهم من لا مالَ له، فيُقْبَل منه أن يعلّم عشرة من الغِلمان الكتابة ويُخلى سبيلُه. فيومئذ تعلّم زيدُ بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار. خرّج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله (ص) فداءهم أن يعلّموا أولاد الانصار الكتابة، قال: فجاء غلامٌ يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني مُعلّمي.

---

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص٦٦١ ـ ٦٦٢.

قال: الخبيثُ!! يطلب بِذَحْل بدر؛ والله لا تأتيه أبداً[٤].

و في ترجمة الحكم و عبد اللّه بن سعيد بن العاص الأموي من أسد الغابة و الاصابة أنّه قدم على النبي(ص) مهاجراً وكان اسمه الحكم فسمّاه النبي(ص) عبد اللّه و كان يكتب في الجاهلية فأمره رسول اللّه(ص) أن يُعلِّم الكتاب بالمدينة و كان كاتباً محسناً.

ج ـ من كتب لرسول الله (ص):

قال البلاذري في فتوح البلدان:

اوَّل من كتب لرسول الله (ص) مقدمه المدينة أُبيّ بن كعب الانصاري، وهو اوَّل من كتب في آخر الكتاب، وكتب فلان، فكان أُبيّ، اذا لم يحضر دعا رسول الله (ص) زيد بن ثابت الانصاري، فكتب له فكان أُبيّ وزيد يكتبان الوحي بين يديه، وكُتُبه الى مَن يُكاتب من الناس، وما يُقطِع وغير ذلك.

قال الواقدي: واوَّل من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن ابي سرح، ثم ارتدَّ ورجع الى مكَّة، وقال لقريش: انا آتي بمثل ما يأتي به محمد، وكان يملّ عليه الظالمين، فيكتب الكافرين، يملّ عليه سميع عليم، فيكتب غفور رحيم و أشباه ذلك، فأنزل الله:

﴿وَمَن أَظْلَم مِمَّن اَفْتَرى عَلى اَلله كَذِباً أَو قالَ أُوحيَ إِلَيَّ وَلَم يُوح إليهِ شَيءٌ وَمَن قال سَأُنزِلُ مِثل مَا أَنزَلَ اَلله﴾ (الانعام/٩٣)

فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله (ص) بقتله، فكلّمه فيه عثمان بن عفَّان وقال: أخي من الرضاع، وقد أسلم فأمر رسول الله (ص) بتركه، وولاَّه عثمان مصر، فكتب لرسول الله (ص) عثمان بن عفان وشُرحبيل بن حسنة الطابخي من خِنْدِف حليف قريش، ويقال بل هو كندي. وكتب له جُهَيم بن

---

(٤) امتاع الاسماع للمقريزي ص١٠١، ومسند احمد ٣٤٧/١.

الصَّلت بن مخرمة، وخالد ابن سعيد وابان بن سعيد بن العاصي، والعلاء بن الحضرمي، فلما كان عام الفتح اسلم معاوية، كتب له ايضاً، ودعاه يوماً وهو يأكل فابطأ، فقال: لا أشبع الله بطنه، فكان يقول: لحقتني دعوة رسول الله (ص) وكان يأكل في اليوم سبع أكلات و أكثر و أقل.

و قال كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدي من بني تميم بين يدي رسول الله (ص) مرّة، فسمّي حنظلة الكاتب.

تعلم كتابة اليهود:

وقال: زيد بن ثابت: أمرني رسول الله (ص) أن أتعلَّم له كتاب يهود، وقال لي: اني لا آمن يهوداً على كتابي، فلم يمرَّ بي نصف شهر حتَّى تعلمته، فكنت اكتب له الى يهود و إذا كتبوا إليه قرأت كتابهم[٥].

وفي فتوح البلدان:

قال الرسول (ص) لزيد بن ثابت: «يازيد: تعلم لي كتابة يهود فإني ما آمنهم على كتابي».

قال: فحذقته في نصف شهر[٦].

* * *

واهتم الرسول بنشر الكتابة في المدينة، و جعل فدية من يعرف الكتابة من سبعين أسيراً في غزوة بدر تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

ومن النسـاء كانت تكتب حفصة زوجة الرسول و أم كلثوم ابنة عقبة و عائشة ابنة سعد و كريمة ابنة المقداد و زوجتا الرسول عائشة و أم سلمة كانتا

---

(٥) فتوح البلدان ص٦٦٢ ـ ٦٦٤، وعيون الاثر ص٨٤ ـ ٨٦.

(٦) أمر الخط في آخر فتوح البلدان ص٦٦٣ ـ ٦٦٤، ترجمة زيد من تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٠/١ ـ ٣٢.

تقرءان ولا تكتبان[7].

كان في الصحابة جمع يكتبون لرسول الله (ص) في المدينة عدّ منهم البلاذري من ذكرناه في فصل من كتب لرسول الله (ص) و أضاف إليهم ابن سيد الناس (ت:٧٣٤هـ) في فصل ذكر كتابهِ (ص) من عيون الأثر وقال:

أبو بكر وعمر وعلي وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وثابت بن قيس ابن شماس والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن زيد وجهيم بن الصلت والزبير بن العوام وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن أُبي ومعيقيب بن أبي فاطمة وطلحة بن عبيد الله ويزيد ابن أبي سفيان والأرقم بن ابي الأرقم والعلاء بن عتبة وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد وبريدة بن الحصيب والحصين بن نمير وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وحويطب بن عبد العزي وأبو سفيان بن حرب وحاطب بن عمر وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد ورجع إلى مكة وكذب على رسول الله، فنزلت فيه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً ﴾[8].

و بين المؤرخ الثبت المسعودي في التنبيه و الاشراف (ص/٢٤٥ ـ ٢٤٦) ما كان يكتب كل منهم وقال:

كان خالد بن سعيد بن العاص بن امية يكتب بين يديه في سائر ما يعرض من أموره والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه، وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات، والزبير بن العوام، وجهيم ابن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله (ص)، وكان عليها من

---

(٧) أمر الخط في فتوح البلدان ص٦٦١ ـ ٦٦٢.

(٨) عيون الأثر ٢/ ١٩١ .

قبله وزيد بن ثابت الأنصاري ثم الخزرجي من بني غنم بن مالك بن النجار يكتب الى الملوك، ويجيب بحضرة النبي (ص) وكان يترجم للنبي (ص) بالفارسية والرومية والقبطية والحبشة، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، وكان حنظلة بن الربيع بن صيفي الاسيدي التميمي يكتب بين يديه (ص) في هذه الأمور اذا غاب من سمينا من سائر الكتاب ينوب عنهم في سائر ما ينفرد به كل واحد منهم، وكان يدعى حنظلة الكاتب، توفي في خلافة عمر بن الخطاب.

وكتب له عبد الله بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي بن غالب ثم لحق بالمشركين بمكة مرتدا، وكتب له شرحبيل بن حسنة الطابخي، وكان أبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي ربما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته باشهر، وإنما ذكرنا من أسماء كتابه (ص) من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك ان يسمى كاتباً ويضاف إلى جملة كتابه.

دراسة الخبر:

وصف العلماء هذا العدد الكبير بكتاب الوحي وأحيانا وصفوا الواحد منهم بكاتب الوحي ويصدق هذا الوصف عليهم جميعاً وعلى الواحد منهم كذلك في ما اذا كان رسول الله (ص) قد عينهم لتدوين القرآن بينما نجد المسعودي عندما يذكر نوع عملهم في الكتابة لم يخص أحداً بذكر كتابة القرآن ومن ثم نعرف أنهم جميعاً كانوا يكتبون ما نزل من القرآن كسائر الكتبة من الصحابة وسنذكر في ما يأتي أن نسخة من القرآن كان في بيت الرسول (ص) وأمر الامام علي بجمعه بعد وفاته ولعله كان قد أمره في حال حياته بكتابة تلك النسخة ثم أمره بعد وفاته بجمعها بعد أن كانت مكتوبة على قطع مختلفة.

كان ذلك شأن الكتابة والكتاب على عهد رسول الله (ص) في المدينة وفي ما يأتي خبر النظام الذي سنه الرسول في تدوين القرآن.

د ـ كيفية تدوين القرآن بأمر الرسول (ص):

في مسند أحمد بسنده عن ابن عباس أنه قال في حديثه عن الخليفة عثمان أنّه قال:

إن رسول الله (ص) كان مما يأتي عليه الزمان يُنزَل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا أُنزل عليه الشيء يدعو بعضَ من يكتب عنده، يقول: ضعوا هذا في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآياتُ فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، ويُنزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا[٩].

وفي لفظ آخر قال:

كان رسول الله (ص) مما يأتي عليه الزمانُ وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا[١٠].

ولفظ الحديث في سنن أبي داود كالآتي:

قال عثمان: كان النبي (ص) مما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له «ضَع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك[١١].

وفي سنن الترمذي:

---

(٩) مسند احمد ٥٧/١، وكنز العمال الحديث ٤٧٧٠.

(١٠) مسند احمد ٦٩/١، و مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، ٢٢١/٢. ذكر ابن الجوزي بعض الحديث في تفسيره زاد المسير تفسير سورة التوبة ٣٨٩/٣ ـ ٣٩٠.

(١١) سنن ابي داود ٢٠٩/١ كتاب الصلاة باب من جهر بها.

قال عثمان: كان رسول الله (ص) مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان اذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

و إذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح[١٢].

وفي مستدرك الحاكم وتلخيصه:

فقال عثمان (رض) ان رسول الله (ص) كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات عدد، فكان اذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

و تنزل عليه الآية، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا[١٣].

ووضع له رمز البخاري ومسلم أي أن الحديث صحيح على شرطهما.

وفي تفسير القرطبي بسنده عن ابن وهب قال:

سمعت مالكا يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله (ص). وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فُرق على النبي (ص) في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، و يقِف جبريل رسول الله (ص) على موضع السورة والآية، فاتساق السورة كاتساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد

---

(١٢) سنن الترمذي ط. مصر سنة ١٣٥٣هـ ٢٢٦/١١ ـ ٢٢٧ في تفسير سورة التوبة، وفي تفسير ابن كثير ٣٣١/٢، وفي فضائل القرآن ١١/٤، وفي كتاب المصاحف لابن ابي داود ص٣١، والسيوطي ٢٠٧/٣ ـ ٢٠٨، وكنز العمال الحديث ٤٧٧٠.

(١٣) مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٢٢١/٢.

خاتم النبيين عليه السلام، عن ربّ العالمين؛ فمن أخر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخرة، فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغيّر الحروف والكلمات[١٤].

وفي كنز العمال: عن عَسعَس بن سلامة قال:

قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين ما بالُ الانفال وبراءةَ ليس بينهما ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ قال كانت تنزل السورةُ فلا تزال تكتبُ حتى تنزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فاذا جاءت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتبت سورة أُخرى. فنزلت الانفال ولم تكتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[١٥].

وفي ترجمة رافع بن مالك من أسد الغابة ما موجزه:

إن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري الخزرجي تعلم من رسول الله في مكة سورة طه ثم كتبها ثم أقبل بها الى المدينة، فقرأها على بني زريق.

وفي ترجمته من الاصابة: انه أوّل من قوّم كتّابهم.

هـ ـ نظام تدوين القرآن:

أ ـ كان الوحي يعين مكان الآيات في السور.

في حديث عثمان بن ابي العاص بمسند أحمد:

قال: كنت عند رسول الله (ص) اذ شخص ببصره... فقال: اتاني جبريل (ع) فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ان الله يأمر بالعدل والاحسان...[١٦].

---

(١٤) تفسير القرطبي ٦٠/١.

وابن وهب هو ابو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري الفقيه.

قال علي بن الحسين بن الجنيد: مسائل ابن وهب عن مالك صحيحة. تهذيب التهذيب بترجمته، ٧١/٦ ـ ٧٤.

(١٥) كنز العمال ط٢، ٣٦٧/٢ ـ ٣٦٨.

(١٦) مسند احمد ٢١٨/٤.

ب ـ كان الرسول يأمر بتدوين الآيات في السورة.

ذكرنا حديث عثمان في بحث كيفية تدوين القرآن السابق.

وفي حديث البراء بن عازب:

ان رسول الله (ص) نزلت عليه آية فقال: ادع لي زيداً و ليجئ باللوح و الدواة و الكتف أو الكتف و الدواة قال: ثم اكتب... الحديث[١٧].

وفي مستدرك الحاكم و تلخيصه:

عن زيد بن ثابت قال: كنا حول رسول الله (ص) نؤلّف القرآن...

وفي رواية: كنا عند رسول الله (ص) نؤلّف القرآن من الرقاع...

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ـ البخاري ومسلم ـ ولم يخرجاه وفيه البيان الواضح ان جمع القرآن لم يكن مرة واحدة فقد جمع بحضرة رسول الله (ص) ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق والجمع الثالث هو في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رض))[١٨].

و ـ القلم الذي خط به القرآن:

اطنب المستشرقون ومن تبعهم من المشارقة في التفكير في وصف الخط الذي كتب به القرآن في صدر الاسلام.

أما المستشرقون منهم، فإنهم أرادوا بعملهم التشكيك، من طرف خفي بثبوت النص القرآني كما سنشرحه في آخر هذا الباب ان شاء الله تعالى.

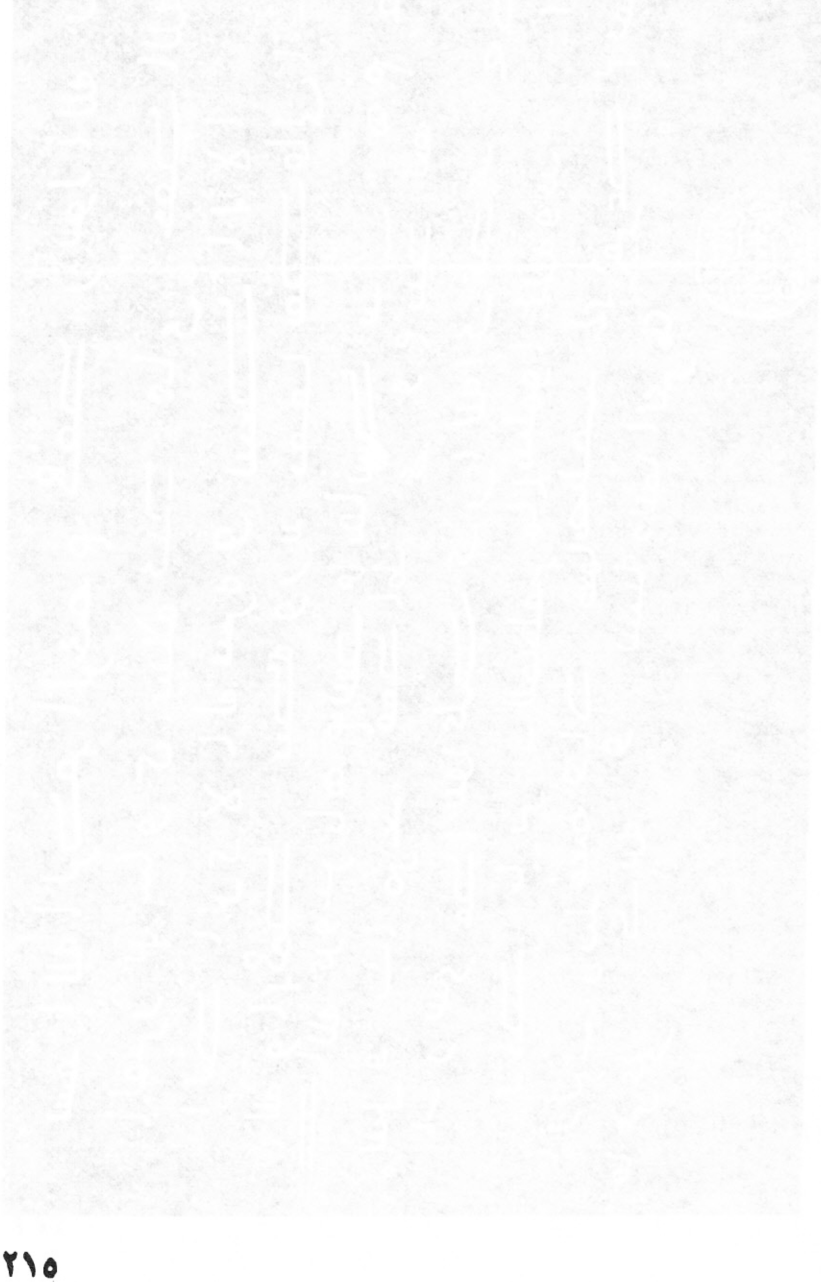
وسار أتباعهم من الشرقيين في طريقهم دونما تنبه لهدفهم المنشود.

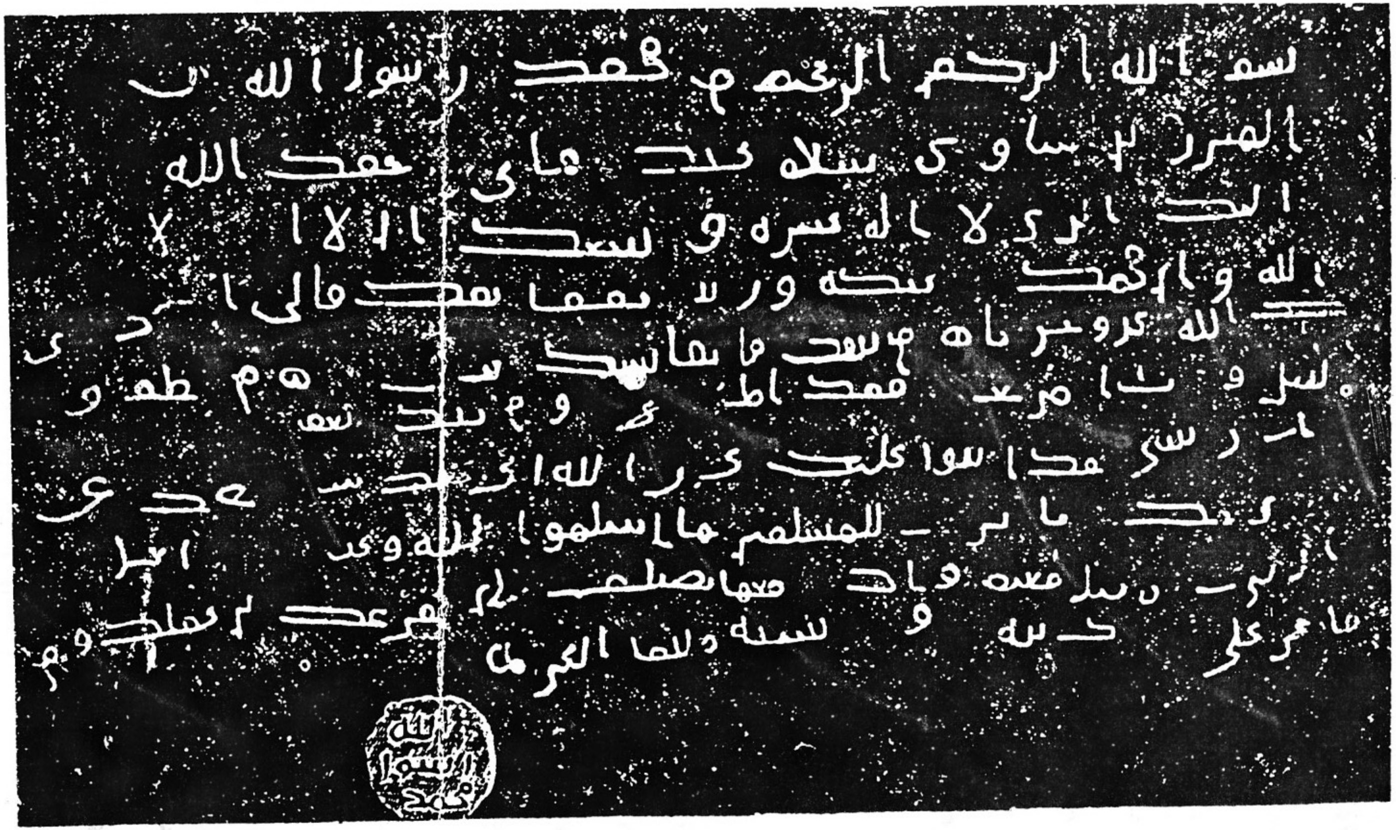
---

(١٧) صحيح البخاري ١٥١/٣ كتاب فضائل القرآن باب كاتب النبي.

(١٨) مستدرك الحاكم وتلخيصه كتاب التفسير ٢٢٩/٢. الاتقان للسيوطي ٥٩/١.

أما نحن فنقول: إن كل ما فعلوه باسم البحث العلمي لا جدوى فيه بتاتا ويكفينا في هذا الصدد أن نعلم أن الخط الذي دون المسلمون به قرآنهم كالآتي تصويره:





(كتاب النبي (ص) الى المنذر بن ساوى)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى

سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله غيره واشهد ان لا إله إلّا آلله وأنّ محمداً عبده ورسوله

أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فانما ينصح لنفسه، وانه من يطع رسلي و يتبع أمرهم فقد أطاعني، و من نصح لهم فقد نصح لي. و إن رسلي قد أثنوا عليك خيراً. و إني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، و عفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم. و إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك. ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

(محل الختم)

رسول الله محمد[١٩]

وهذا الخط خال من الاعجام ولا فرق في خطه بين الباء والتاء والثاء والنون والياء في وسط الكلام وآخره وأوله وخال من الإعراب لأي علامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون ـ منها ثم أدخل كل منها في رسم الخط القرآني ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول الهجري متدرجا كما سنبينه في ما يأتي ان شاء الله تعالى.

---

(١٩) مجموعة الوثائق السياسية د. محمود.

خامساً ـ أخبار السيرة في القرآن الكريم:

مقدمة البحث:

نورد في هذا البحث من الآيات والـروايات في شأن نزولها وبيانها وتفسيرها ما نحتاج الى دركها واستيعابها في بحث اختلاف المصاحف وزيادة القرآن ونقصانه ـ معاذ الله ـ الآتيين[1].

الآيات و شأن نزولها و تفسيرها و بيانها في الروايات

أ ـ ما يخص الرسول (ص) وأهل بيته:

١ ـ آية التطهير:

قال الله سبحانه في سورة الاحزاب/٣٣:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة:.

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[2] قال:

---

(١) سوف نستدل باذنه تعالى في البابين المذكورين عن اثر هذه الاخبار فيهما.

(٢) بمستدرك الصحيحين ١٤٧/٣.

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين: ابن عمّ النبي أبي طالب وأمّه أسماء بنت عميس الخثعمية ←

(لّما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة، قال: «أُدعوا لي، ادعوا لي»،
فقالت صفية[٣]: من يا رسول الله؟
قال: «أهل بيتي عليّاً و فاطمة و الحسن و الحسين»[٤].

→

ولد بأرض الحبشة في هجرة أبويه إليها، وهاجر أبوه به إلى المدينة. وكان حليماً كريماً يقال له: بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف ـ عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكّة جحف الحاجّ وذهب بالإبل عليها أحمالها ـ. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص٢٨٢.

(٣) صفية بنت حُيَي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، وأمّها برة بنت السموأل من بني قريظة. كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبيّ وقال لها: «إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك»، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، ومالي في اليهودية إرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيّرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحبّ إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي. فاعتدّت ثم تزوّجها النبيّ وتوفّيت في سنة ٥٢هـ وروى عنها أصحاب الصحاح ١٠ أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد ٨/ ١٢٠ ـ ١٢٩. وجوامع السيرة ص٢٨٥.

(٤) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمُّها أمّ المؤمنين خديجة (ع).

في ترجمتها بأسد الغابة والإصابة: أن كنيتها أمّ أبيها وأنه انقطع نسل رسول الله إلا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» أخرجه ـ أيضاً ـ الحاكم في مستدركه ٣/ ١٥٣. وبميزان الاعتدال ٢/ ٧٧. وتهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤١. وفي باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري ٤/ ٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٥: قال رسول الله (ص): «فاطمة بضعة منّي، من أغضبها أغضبني».

وفي رواية أخرى فيه بباب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ٣/ ١٧٧، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذي. وبمسند أحمد ٤/ ٣٢٨. ومستدرك الصحيحين ٣/ ١٥٣: «يؤذيني ماآذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين ٣/ ١٥٥ و١٥٦ و١/ ٤٨٩. ومسند أحمد ٥/ ٢٧٥. وسنن البيهقي ١/ ٢٦.

←

فجيء بهم. فألقى عليهم النبيّ (ص) كساءه، ثمّ رفع يديه، ثمّ قال:

→

وفي باب فرض الخمس من صحيح البخاري ١٢٤/٢، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستّة أشهر.

وفي باب غزوة خيبر منه ٣٨/٣: فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعليّ وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر...

ورواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد ١٥٤/٥. ومسند أحمد ٩/١. وسنن البيهقي ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في أسد الغابة: وأوصت إلى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحداً، فلما توفيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال المؤلف:

ولم يعرف موضع قبرها حتّى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصّحاح ١٨ حديثاً. جوامع السيرة ص٢٨٣.

والحسنان سبطا رسول الله وابنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. في سنن ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) ص ٥١ ـ ٥٢. ومستدرك الصحيحين ١٦٧/٣. ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقي أكثر من ستّة أشهر في الخلافة، ثمّ اقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصالح معاوية. ولـمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دسّ إليه السّمّ فقتله سنة خمسين. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ٢٥١/١ ـ ٢٦٦.

وفي سنة ستين أبى الحسين أن يبايع يزيد وقال: «وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد». فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة إحدى وستّين. اللهوف لابن طاووس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخاري ومسلم، وعن الحسين ٨ أحاديث. جوامع السيرة ص٢٨٤ و٢٨٦. وتقريب التهذيب ١٦٨/١.

«اللهمّ هؤلاء آلي فصل على محمّد وآل محمّد».

نزل الله عزّوجلّ:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

وفي رواية أمّ المؤمنين عائشة: أنّ الكساء كان مرطاً مرحّلاً من شعر أسود[٥].

وفي رواية الصّحابيّ واثلة بن الأسقع: إنّ رسول الله أدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه... الحديث[٦].

وفي رواية أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل (ع) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟

---

(٥) المرط: كساء من صوف أو خز. والمرحل من الثياب: ماأشبهت نقوشه رحال الإبل.

وعائشة بنت أبي بكر وأمّها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشرة شهراً من هجرته إلى المدينة. وتوفّيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩. وصلّى عليها أبو هريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

وروايتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم ١٣٠/٧، باب فضائل أهل بيت النبي. ومستدرك الصحيحين ١٤٧/٣. وبتفسير الآية في تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطي وآية المباهلة في تفسير الزمخشري والرازي. وسنن البيهقي ١٤٩/٢.

(٦) واثلة بن الأسقع الليثي: أسلم والنبيّ يتجهّز إلى تبوك. وقيل إنّه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين أو ثلاث وثمانين بدمشق أو ببيت المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص٢٧٩. وروايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢/٢، ورواية أخرى منه بمسند أحمد ١٠٧/٤. ومستدرك الصحيحين ٤١٦/٢ و ١٤٧/٣. ومجمع الزوائد ١٦٧/٩. وابن جرير والسيوطي في تفسير الآية من تفسيريهما. وأسد الغابة ٢٠/٢.

قال: «إنك إلى خير. إنك من أزواج النبيّ»[٧].

وقد روى شأن نزول آية التّطهير غير من ذكرنا كلّ من:

أ ـ عبد الله بن عباس[٨].

ب ـ عمر بن أبي سلمة[٩] ربيب النبيّ (ص).

ج ـ أبو سعيد الخدري[١٠].

د ـ سعد بن أبي وقاص[١١].

---

(٧) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ورواية أخرى في سنن الترمذي، ٢٤٨/١٣. ومسند أحمد ٣٠٦/٦. وأسد الغابة ٢٩/٤، و٢/ ٢٩٧. وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٧.

وأخرى بمستدرك الصحيحين ٢/ ٤١٦ و ٣/ ١٤٧. وسنن البيهقي ٢/ ١٥٠. وأسد الغابة ٥/ ٥٢١ و ٥٨٩. وفي تاريخ بغداد ١٢٦/٩.

وأخرى: بمسند أحمد ٢٩٢/٦.

(٨) رواية ابن عباس بمسند أحمد ٣٣٠/١، وخصائص النسائي ص١١. والرياض النضرة ٢٦٩/٢. ومجمع الزوائد ١١٩/٩و٢٠٧، وتفسير الآية بالدر المنثور.

(٩) عمر بن أبي سلمة بن عبدالأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول الله، أمّه أمّ سلمة. ولد في الحبشة. شهد مع عليّ الجمل، واستعمله على البحرين وعلى فارس. توفّي سنة ٨٣هـ روى عنه أصحاب الصحاح ١٢ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص: ٢٨٤. وحديثه بشأن آية التطهير في: «فضائل الخمسة» ٢١٤/١ عن صحيح الترمذي ٢٠٩/٢.

(١٠) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ٢٧٨/١٠. ومجمع الزوائد ١٦٧/٩ و١٦٩.

(١١) سعد بن أبي وقاص. ـ مرّت ترجمته في بحث (خصائص المجتمع الاسلامي على عهد عمر) وأبى أن يبايع عليّاً، وأبي على معاوية أن يسبّ عليّاً. ودسّ إليه معاوية السمّ لـمّا أراد أن يبايع ليزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وصحيح مسلم ١٢٠/٧ وأحاديث أم المؤمنين عائشة ٣٥٦/١ ط. بيروت ١٤٠٥هـ.

وروايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ ـ ٥. وسنن الترمذي ١٧١/١٣ ـ ١٧٢.

هـ ـ أنس بن مالك[١٢]، وغيرهم[١٣].

وٱستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر[١٤]، وعليّ بن الحسين (ع) في الشّام[١٥].

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلّم عليهم ويقرأ الآية. قال ٱبن عبّاس:

شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنّما يريد الله... الصّلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات[١٦].

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة، إلّا أتى باب عليّ، فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال: «الصلاة، إنّما يريد الله...»[١٧].

---

(١٢) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي ٢٤٨/١٣. ومجمع الزوائد ٢٠٦/٩.

(١٣) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته بأسد الغابة ٤١٣/٣، ومعقل بن يسار، راجع سنن الترمذي ٢٤٨/١٣.

(١٤) روي استشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ١٧٢/٣. ومجمع الزوائد ١٤٦/٩ و١٧٢.

(١٥) علي بن الحسين: أمّه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري راجع ج٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب. وماتت في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ١٢٨/٢) ويبدو أنها كانت تسمى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين. وروى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث واستشهاده بآية التطهير جاء في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان ٤٢٩/٢. وتاريخ اليعقوبي ٣٠٣/٢.

(١٦) رواية ابن عباس في تفسير الآية وآية ﴿وأمر اهلك﴾. من الدر المنثور.

(١٧) أبو الحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته في الاستيعاب ٥٩٨/٢. وأسد الغابة ١٧٤/٥. ومجمع الزوائد ١٦٨/٩.

وقال أبو برزة: إنّه صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...[١٨].

وعن أنس بن مالك ستّة أشهر[١٩]. وروى ـ أيضاً ـ غيرهم في ذلك.

٢ ـ آية المباهلة:

قال الله سبحانه في سورة آل عمران:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(الآية/٥٩)

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾(الآية/٦١)

تفصيل الخبر:

في السنة العاشرة من الهجرة كتب رسول الله (ص) الى نصارى نجران يدعوهم الى الإسلام[٢٠].

قال المقريزي:

وأرسل نصارى نجران العاقب والسّيِّد في نفرٍ، فأرادوا مُباهَلة رسول الله (ص)، فخرج و معه فاطمة و عليّ و الحسن و الحسين ـ عليهم السلام ـ. فلما

---

(١٨) أبو برزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفّي في البصرة سنة ستّين أو أربع وستّين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثاً. ترجمته بأسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و٢٨٣. وحديثه المذكور في مجمع الزوائد ١٦٩/٩، لفظه: سبعة عشر شهراً ونراه من غلط النساخ.

(١٩) رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢/٣. والطيالسي ٢٧٤/٧، ح ٢٥٠٩. وأسد الغابة ٥٢١/٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطي.

(٢٠) تاريخ ابن كثير ٥٣/٥ ـ ٥٤، ط سنة ١٣٥١هـ ط. السعادة.

رأوهم قالوا: هذه وجوهٌ لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها!!

ولـم يباهلوا، وصالحوا على ألفي حلة: ثمن كل حلة أربعون درهما، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله (ص). وجعل لهم ـ عليه السلام ـ ذمّة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم، ولا يعشروا، ولا يُحشروا، ولا يأكلوا الرِّبا ولا يتعاملوا به[٢١].

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومستدرك الحاكم بسندهم عن سعد بن ابي وقاص قال:

ولـمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وفي مسند أحمد أهل بيتي[٢٢].

شرح الكلمات:

نجران: من بلاد اليمن.

وابتهل الى الله: تضرع واجتهد في الدعاء.

ولا يُعشروا: لا يؤخذ عشر أموالهم في التجارات.

ولا يحشروا: لا يؤخذوا الى المغازي.

وفصل الخبر ابن كثير في تاريخه[٢٣].

---

(٢١) امتاع الاسماع للمقريزي ص٥٠٢ العاقب والسيد من رؤوساء نصارى نجران. ط. القاهرة ١٩٤١م.

(٢٢) صحيح مسلم ١٢٠/٧ وسنن الترمذي ط. المدينة ١٩٣/٤ ومسند احمد ١٨٥/١ ومستدرك الحاكم ١٥٠/٣ وراجع حوادث السنة العاشرة في تاريخ ابن الاثير ١١٢/٢ واسد الغابة ٢٦/٤ وفي تفسير الآية في تفسير ابن كثير عن جابر ٣٧٠/١.

(٢٣) تاريخ ابن كثير ٥٤/٥ ـ ٥٥.

٣ ـ الآيات الأولى من سورة براءة و خبر تبليغها:

قال الله سبحانه:

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ * فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الآيات/١ ـ ٥)

كيفية تبليغ الآيات لكفار قريش :

في سنن الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها عن أنس وابن عبّاس وسعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعليّ بن أبي طالب[٢٤]، وأبي بكر. ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة في مسند أحمد، قال:

دعا النبيّ أبا بكر فبعثه ببراءة لأهل مكّة، لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين

---

(٢٤) سنن الترمذي ١٣/١٦٤ ـ ١٦٥. ومسند احمد ١/١٥١، و٣/٢٨٣، وراجع ١/١٥٠. وخصائص النسائي ص٢٨ ـ ٢٩. وتفسير الطبري ١٠/٤٦. ومستدرك الصحيحين ٣/٥١ و٥٢. ومجمع الزوائد ٧/٢٩، و٩/١١٩.

رسول الله (ص) مدّة فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله.

قال: فسار بها ثلاثاً ثمّ قال لعليّ: «اِلحقه فردّ عليَّ أبا بكر وبلّغها أنت».

قال: ففعل. فلمّا قدم على النبيّ (ص) أبو بكر بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟

قال: « ما حدث فيك إلاّ خير، ولكنّي أمرت أن لا يبلّغه إلاّ أنا أو رجل منّي »[٢٥].

وفي رواية عبد الله بن عمر: «ولكن قيل لي: أنّه لا يبلّغ عنك إلاّ أنت أو رجل منْك»[٢٦].

وفي رواية أبي سعيد الخدري: « لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي »[٢٧].

تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أنّ القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلّفين بها في بادىء الأمر، وهذا ما لا يقوم به إلاّ الرسول أو رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ التبليغ الّذي يقوم به المكلّفون بتلك الأحكام بعد ما بلّغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذاك أن يقوموا بتبليغها إلى غيرهم، ويطّرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أنّ الرسول (ص) عنىٰ بقوله: «لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي» التبليغ من النوع الأوّل.

---

(٢٥) مسند أحمد ٣/١، ح٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاكر: (اسناده صحيح). وراجع كنز العمال ط: ٢، ٢٦٧/٢ و٢٧٠ وذخائر العقبى ص٦٩.

(٢٦) في مستدرك الصحيحين ٥١/٣.

(٢٧) في الدرّ المنثور بتفسير: ﴿براءة من الله﴾.

٤ ـ آية ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك... ﴾

روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالا: أمر الله محمداً (ص) أن ينصب عليّاً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول الله (ص) أن يقولوا حابىٰ ٱبن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (المائدة/٦٧).

فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدير خمّ)[٢٨].

وروى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول: (كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) وهو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى ـ كان يروي عن الحسن البصري ـ فقال له: يا ٱبن رسول الله، جعلني الله فداك، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولايخبرنا من الرجل ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾. فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنّه يخاف.

إنّ جبرئيل هبط إلى النبيّ (ص) ـ إلى قوله: ـ فقال: إنّ الله يأمرك أن تدلّ أمّتك على وليّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول الله (ص): ياربّ إنّ قومي

---

(٢٨) الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند ٣٩٠/٤، وط. مصر ١٢٠٠/٣، بآخر الطبقة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام ١٣٩٣هـ. والحديث في ١٩٢/١ ورقم الحديث ٢٤٩.

قريبو عهد بالجاهليّة، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلّا وقد وتره وليهم، وإني أخاف ـ أي من تكذيبهم ـ. فأنزل اللّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ـ يريد فما بلّغتها تامة ـ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فلمّا ضمن اللّه له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليّ...)[٢٩].

وروى الحاكم الحسكاني:

عن ٱبن عبّاس في حديث المعراج، أنّ الله ـ عزّ ٱسمه ـ قال لنبيّه في ما قال: «وإنّي لم أبعث نبيّاً إلّا وجعلت له وزيراً، وإنّك رسول الله (ص) وإنّ عليّاً وزيرك».

قال ٱبن عباس: [فهبط][*] رسول الله (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة ـ إلى قوله:ـ فاحتمل رسول الله حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك...﴾ ـ إلى قوله:ـ فقال: «يا أيّها الناس، إنّ الله أرسلني إليكم برسالة، وإنّي ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتّهموني وتكذّبوني، حتّى عاتبني ربّي فيها بوعيد أنزله عليَّ...»[٣٠].

وروى الحسكاني وٱبن عساكر: عن أبي هريرة: أنزل الله عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ـ في عليّ بن أبي طالب ـ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾[٣١].

قصد أبو هريرة أنّ المقصود أن يبلّغ ما نزل في عليّ.

---

(٢٩) شواهد التنزيل ١/١٩١، وراجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي، ونزول القرآن لأبي نعيم.

(*) كذا جاءت.

(٣٠) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩٢ ـ ١٩٣، وفي ص١٨٩ منه نزول الآية فقط.

(٣١) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٨٧، ورواها ابن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث ٤٥٢.

روى الحسكـــاني: (عن عبـد الله بن أبي اوفى، قال: سمعت رسـول الله (ص) يقول يوم غدير خمّ وتلا هذه الآيـة : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ... ﴾ ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه، ثمّ قال: «ألا من كنت مولاه...»)[٣٢].

وروى الواحدي في أسباب النزول والسيوطي في الدّر المنثور عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾[٣٣].

وفي تفسير السيوطي: (عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك ـ أنّ علياً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته...)[٣٤].

قصد ابن مسعود أنّهم كانوا على عهد رسول الله يقرؤون في تفسير الآية هكذا.

وكان نزول هذه الآية في غدير خمّ، وفي ما يلي تفصيل الخبر.

---

(٣٢) الحسكاني ١/١٩٠.

وعبد الله بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمي. صحابيّ شهد الحديبية، وعمّر بعد النبيّ (ص)، مات سنة ست أو سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/٤٠٢. وأسد الغابة ٣/١٢١.

(٣٣) أسباب النزول ص:١٣٥. والدرّ المنثور ٢/٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل، وراجع فتح القدير ٢/٥٧، وتفسير النيسابوري ٦/١٩٤.

الواحدي، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

(٣٤) الدرّ المنثور ٢/٢٩٨.

خبر الغدير:

لمّا صدر رسول الله من حجّة الوداع[٣٥] نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة[٣٦] آية ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...﴾[٣٧]. فنزل غدير خمّ من الجحفة[٣٨] وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام[٣٩] ووقف هنـاك حتّى لحقه من بعده وردّ من كان تقدّم[٤٠] ونهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث إليهنّ فقُمَّ ما تحتهن من الشوك[٤١] ونادى بالصلاة جامعة[٤٢] وعمد إليهنّ[٤٣] وظلّل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمرة من الشمس[٤٤]، فصلى الظهر بهجير[٤٥]، ثمّ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إنّي أوشك ان أُدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»

---

(٣٥) مجمع الزوائد ٩/١٠٥ و١٦٣ ـ ١٦٥. وأنقل عن هذه الصفحات في مايأتي من هذا البحث.

(٣٦) رواه الحاكم الحسكاني في ١/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٣٧) سبق ذكر مصادره.

(٣٨) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ ـ ١٦٥. وابن كثير ٥/٢٠٩ ـ ٢١٣.

(٣٩) مادة (الجحفة) من معجم البلدان.

(٤٠) في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٣.

(٤١) مجمع الزوائد ٩/١٠٥ والسمر: نوع من الشجر، وقُمَّ: كُنِس. وقريب منه لفظ ابن كثير ٥/٢٠٩.

(٤٢) مسند أحمد ٤/٢٨١. وسنن ابن ماجة باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩، و٥/٢١٠.

(٤٣) مجمع الزوائد ٩/١٦٣ ـ ١٦٥.

(٤٤) مسند أحمد ٤/٣٧٢. وابن كثير ٥/٢١٢.

(٤٥) مسند أحمد ٤/٢٨١، سنن ابن ماجة باب فضل علي. وابن كثير ٥/٢١٢.

قالوا: نشهد أنّك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حقّ وأنّ النار حقّ؟».

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: «اللهمّ اشهد».

ثمّ قال: «ألا تسمعون؟».

قالوا: نعم.

قال: «يا أيّها الناس إنّي فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصرىٰ إلى صنعاء[٤٦] فيه عدد النجوم قدحان من فضّة. وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم»[٤٧].

ثم قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلىٰ يا رسول الله[٤٨].

قال: «ألستم تعلمون ـ أو تشهدون ـ أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟»

---

(٤٦) كانت بصرى اسماً لقرية بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

(٤٧) مجمع الزوائد ١٦٢/٩ ـ ١٦٣ و١٦٥، وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ١٠٩/٣ ـ ١١٠، وابن كثير ٢٠٩/٥.

(٤٨) مسند أحمد ١١٨/١ و١١٩، ٢٨١/٤. وسنن ابن ماجة ٤٣/١ ح١١٦، وجاء (نعم) في مسند أحمد ٢٨١/٤ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢. وابن كثير ٢٠٩/٥، ولدى ابن كثير ٢١٠/٥: (ألست أولى بكلّ امرىء من نفسه).

قالوا: بلى يا رسول الله[٤٩].

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعيه، فرفعها، حتّى نظر الناس إلى بياض إبطيهما[٥٠]، ثمّ قال: «أيّها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم[٥١]؛ فمن كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه. اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه[٥٢]، وانصر من نصره، واخذل من خذله[٥٤]، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه»[٥٥].

ثمّ قال: «اللهمّ اشهد»[٥٦].

ثمّ لم يتفرقا ـ رسول الله وعليّ ـ حتّى نزلت هذه الآية:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة/٣).

---

(٤٩) مسند أحمد ٤/٢٨١ و٣٦٨ و٣٧٠ و٣٧٢. وابن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٢.

(٥٠) في رواية الحاكم الحسكاني ١/١٩٠. فرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه. وفي ص١٩٣ منه: حتّى بان بياض إبطيهما. وضَبْعاه: الضَّبْع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع).

(٥١) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/١٩١، وعند ابن كثير ٥/٢٠٩: وأنا مولى كلّ مؤمن.

(٥٢) في جميع المصادر الّتي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(٥٣) مسند أحمد ١/١١٨ و١١٩ و٤/٢٨١و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٧٣ و٥/٣٤٧ و٣٧٠. ومستدرك الحاكم ٣/١٠٩. وسنن ابن ماجة، باب فضل عليّ. والحاكم الحسكاني ١/١٩٠ و١٩١. وتاريخ ابن كثير ٥/٢٠٩ و٢١٠ ـ ٢١٣، وقال ابن كثير في ٥/٢٠٩: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ثمّ قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

(٥٤) مسند أحمد ١/١١٨ و١١٩. ومجمع الزوائد ٩/١٠٤ و١٠٥ و١٠٧. وشواهد التنزيل ١/١٩٣. وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠ و٢١١.

(٥٥) شواهد التنزيل للحسكاني ١/١٩١. وتاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

(٥٦) شواهد التنزيل ١/١٩٠.

فقال رسول الله (ص): الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي والولاية لعلي[٥٧].

وفي باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

(إنّ آخر ما نزل عليه: ﴿اليوم أكملت...﴾ وهي الرواية الصحيحة الثابتة، وكان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ بغدير خمّ)[٥٨].

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك، فقال له:

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، اصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٥٩].

وفي رواية قال له: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب[٦٠].

وفي رواية أخرى: هنيئاً لك يا ابن ابي طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة[٦١].

٥ ـ آية الولاية:

قال الله سبحانه في سورة المائدة

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (الآية/٥٥)

في تفسير الطبري، و أسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم

(٥٧) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري ١/١٥٧ ـ ١٥٨ ح٢١١ و٢١٢، وعن أبي هريرة ص١٥٨ ح٢١٣، وفي تاريخ ابن كثير ٥/٢١٤ بإيجاز.

(٥٨) اليعقوبي ٢/٤٣.

(٥٩) مسند أحمد ٤/٤٨١. ولفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

(٦٠) شواهد التنزيل ١/١٥٧ و١٥٨.

(٦١) مسند أحمد ٤/٢٨١، وسنن ابن ماجة باب فضائل عليّ، والرياض النضرة ٢/١٦٩، ولفظ (بعد ذلك) في تاريخ ابن كثير ٥/٢١٠.

الحسكـاني و أنساب الأشراف للبلاذري وغيرها[٦٢]: عن ابن عباس وأبي ذرّ وأنس بن مالك والإمام عليّ وغيرهم ما خلاصته:

(إنّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان عليّ راكعـاً في صلاة غير فريضة، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأومأ بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في إصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، وأشار الى السائل بنزعه، فنزعه، ودعا له ومضى، فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عزّوجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ الآية.

فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

أبـا حسـن تفـديك نفسي ومهجتي
وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فأنت الـذي أعـطيت إذ أنت راكـع
فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنـزل فيك الله خير ولاية
فأثبتهـا في محكـمات الشـرائـع

٦ ـ آية النجوى:

قال الله سبحانه في سورة المجادلة/١٢.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾

---

(٦٢) تفسير الطبري ١٨٦/٦. وأسباب النزول للواحدي ص١٣٣ ـ ١٣٤، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ ـ ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص١٦٥ ـ ١٦٦ روايتان عن أنس بن مالك، وستّ روايات أخرى في ص١٦٧ ـ ١٦٩. وأنساب الأشراف للبلاذري ح١٥١ من ترجمة الإمام ١/ الورقة ٢٢٥. وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ ـ ١٦٨. وأخرج السيوطي كثيراً من رواياتها في تفسيره ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤، وقال في لباب النقول في أسباب النزول ص٩٠ ـ ٩١ بعد إيراد الروايات: (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً).

قال الطبري: (نهوا عن مناجات النبيّ (ص) حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه أحد إلاّ عليّ بن أبي طالب)[٦٣].

وفي أسباب النزول للواحدي وغيره عن الإمام عليّ: (كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدّقت بدرهم حتّى نفد)[٦٤].

وفي رواية: (كان عندي دينار فصرفته بعشر دراهم فكنت إذا جئت إلى النبيّ (ص)...)[٦٥].

وروى الزمخشري في تفسير الآية: (أنّه تصدق في عشر كلمات سألهنّ رسول الله (ص)).

وفي رواية عن الإمام: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي:

آية النجوى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم...﴾ الآية، كان عندي دينار ـ إلى قوله:ـ ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ... ﴾ (المجادلة/١٣)[٦٦].

٧ ـ آية سورة براءة:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ * ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾ (الآيات/١٩ ـ ٢٠)

---

(٦٣) تفسير الطبري ١٤/٢٨ ـ ١٥. والدرّ المنثور ١٨٥/٦.

(٦٤) أسباب النزول للواحدي ص٣٠٨، والطبري في تفسير الآية.

(٦٥) تفسير الآية في الدرّ المنثور ١٨٥/٦. والرياض النضرة ٢٦٥/٢.

(٦٦) تفسير السيوطي ١٨٥/٦. والرياض النضرة ٢٦٥/٢. والكشاف ٧٦/٤.

(أخــرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عبــاس (رض) في قوله ﴿أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ...﴾ الآية.

وذلك أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهَدَ، فكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره، فذكر الله استكبارهم واعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين... الى قوله: ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.

واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) قال: قال العباس (رض) حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ...﴾ الآية. يعني أن ذلك كان في الشرك فلا أقبل ما كان في الشرك.

و أخــرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) ﴿أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرام... ﴾ الآيــة. قال: نزلت في علي بن أبي طالب والعباس (رض).

و أخــرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي (رض) قال: افتخر طلحة ابن شيبة، و العباس، و علي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه.

وقال العباس (رض): أنا صاحب السقاية و القائم عليها.

فقــال علي (رض): ما أدري ما تقــولــون: لقد صليت الى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ...﴾ الآيات العشر.

وأخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة وابن عساكر عن أنس (رض) قال: قعد العباس وشيبة صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس (رض): أنا أشرف منك، أنا عم رسول الله (ص) ووصيي أبيه، وساقي الحجيج، فقال شيبة: أنا

أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، افلا ائتمنك كما ائتمني؟ فاطلع عليهما عليّ (رض) فأخبراه بما قالا. فقال علي (رض) أنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن وهاجر. فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي (ص) فأخبروه. فما أجابهم بشيء، فانصرفوا فنزل عليه الوحي بعد أيام، فأرسل إليهم فقرأ عليه ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ ... ﴾ إلى آخر الآيات.

وأخرج مسلم وأبو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حيان والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن النعمان بن بشير (رض) قال: كنت عند منبر رسول الله (ص) في نفر من اصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي ان لا أعمل لله عملاً بعد الاسلام إلا أن اسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم.

فزجرهم عمر (رض) وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ص) ـ وذلك يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليتم الجمعة دخلت على رسول الله (ص) فأستفتيه فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾(٦٧).

ب ـ آياتٌ تخصّ زوجات الرسول (ص):

آيات سورة التحريم.

قال الله سبحانه في سورة التحريم:

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ

(٦٧) الدر المنثور للسيوطي ٢١٨/٣ ـ ٢١٩.

ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ ﴾ (الآيات/٢ ـ ١٢)

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس انه قال: كنت أريد أن أسال عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله فمكثت سنةً لم أجد له موضعاً حتّى خرجت معه حاجاً فلمّا كنّا بمرٍّ الظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء.

فأدركته بالاداوة، فجعلت اسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟

قال ابن عباس «فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة»[٦٨].

ولفظ الحـديث في مسنـد الطيالسي: (فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن حديث منذ سنة فمنعتني هيبتك أن أسألك.

قال: لا تفعل، إذا علمت أن عندي علماً فسلني

قال: قلت أسألك عن حديث المرأتين، قال: نعم حفصة وعائشة...) الحديث[٦٩].

وفي مسند أحمد: أردت أن أسأل عمر فمكثت سنتين... الحديث[٧٠].

ولفظ الحديث في رواية اخرى عن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبيّ اللتين قال الله ـ تعالى ـ ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ حتّى حجّ وحججت معه... ـ الى قوله ـ قال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة... الحديث[٧١].

---

(٦٨) البخاري كتاب التفسير تفسير سورة التحريم باب تبتغي مرضاة أزواجك ١٣٧/٣ ـ ١٣٨، وكتاب اللباس باب ما كان النبي يتجوّز من اللباس والبسط ٢٢/٤، ومسلم كتاب الطلاق ١١٠٨/٢ و١١١١.

مرّ الظهران: الظهران واد قرب مكّة وعنده قرية يقال لها مر تضاف إلى هذا الوادي ويقال مرّ الظهران. الحموي، معجم البلدان.

الاداوة: إناء صغير من جلد.

(٦٩) مسند الطيالسي الحديث ٢٣.

(٧٠) مسند احمد ٤٨/١.

(٧١) البخاري باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ج١٧٢/٣ وكتاب المظالم باب الغرفة والعليّة ٤٧/٢ والنسائي كتاب الصوم باب كم الشهر ٣٠٢/١، وطبعة تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧/٤، والترمذي سورة التحريم من كتاب التفسير ٤٠٩/٢ ط. الهند وطبعة مصر سنة ١٣٥٣هـ ٢٠٩/١١ وابن سعد في الطبقات ١٨٢/٨ و١٩٠، وراجع تفسير القرطبي ١٨٩/١٨ وطبعة اخرى افست على طبعة مصر سنة ١٣٩٢ ١٠٢/٢٨، ومسلم ط. بيروت ١١٠٨/٢ كتاب الطلاق، كنز العمال ٣٣٢/٢ كتاب التفسير تفسير سورة التحريم ط. حيدر آباد سنة ١٣٦٤هـ.

ج ـ في ما يخص الصحابة:

مما نزل في شأن الصحابة في مكة

قوله تعالى في سورة النمل :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الآية/١٠٦)

(أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه، حتىٰ سبَّ النبي (ص) وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتىٰ رسول الله (ص) قال: ما وراءك شيء ؟

قال: شر ما تركت حتىٰ نلتُ منك و ذكرتُ آلهتهم بخير.

قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالايمان.

قال: إن عادوا فعد. فنزلت: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ ﴾

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين «إن النبي (ص) لقى عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه ويقول: أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت كذا وكذا... فإن عادوا فقل ذلك لهم».

وأخرج ابن جرير وابن عساكر عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ ﴾ نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر وقالوا: اكفر بمحمد (ص) فاتبعهم على ذلك وقلبه كاره فنزلت)[٧٢].

---

(٧٢) السيوطي ١٣٢/٤.

مما نزل في شأن الصحابة في المدينة

١ ـ آية: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات/٢).

في صحيح البخاري في سورة الحجرات عن عَبْدَ الله بن الزبير، أخبرَهم أنَّه قدم ركب من بني تميم على النبي (ص)، فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد.

وقال عمر بل أَمِّر الاقرَعَ بن حابس.

فقال أبو بكر: ما أردتَ إلى أو إلاَّ خلافي.

فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتُهما، فنزل في ذلك يا أيّها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، حتى انقضت الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾[٧٣].

وفي حديث قبله:

كادالخيّران ان يهلكا: ابا بكر وعمر.

٢ ـ آية:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/١٥٥).

في تفسير الآية بتفسير الطبري والسيوطي عن ابن اسحاق انه قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾. فلان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان الانصاريان، ثم الزرقيان.

وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله (ص) حتى انتهىٰ بعضهم إلى المنقى دون الأغوص، وفر عقبة بن عثمان، حتىٰ بلغوا الجلعب ـ جبل بناحية المدينة مما يلي الأغوص ـ فأقاموا به ثلاثاً، ثم رجعوا إلى رسول الله (ص)،

---

(٧٣) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الحجرات ١٩٠/٣ ـ ١٩١.

فزعموا أن رسول الله (ص) قال: «لقد ذهبتم فيها عريضة»(٧٤).

وفي تفسير السيوطي: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن ابن عوف ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ قال: هم ثلاثة. واحد من المهاجرين، واثنان من الانصار(٧٥).

وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ قال: نزلت في رافع بن المعلىٰ وغيره من الانصار، وأبي حذيفة بن عتبة، ورجل آخر(٧٦).

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان الذين ولوا الدبر يومئذ: عثمان بن عفان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان، أخوان من الأنصار من بني زريق.

وكان فرار عثمان يوم أحد ممّا يعاب عليه كما عابّ عليه عبد الرحمن بن عوف فاجاب عثمان كيف يعيرني وقد عفا الله عني فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ...﴾(٧٧).

وقال الرازي في تفسير الآية: واعلم أن المراد: أن القوم الذين تولوا يوم أحد عند التقاء الجمعين وفارقوا المكان، وانهزموا قد عفا الله عنهم.

اختلفت الأخبـار فيمن ثبت ذلك اليوم وفيمن تولى، فذكر محمد بن اسحاق أن ثلث الناس كانوا مجروحين، وثلثهم انهزموا، وثلثهم ثبتوا، واختلفوا في المنهزمين، فقيل: ان بعضهم ورد المدينة وأخبر أن النبي (ص) قتل، وهو سعد ابن عثمان، ثم ورد بعده رجال دخلوا على نسائهم، وجعل النساء يقلن: عن رسول الله (ص) تفرون!

---

(٧٤) تفسير الطبري ٩٦/٤، والسيوطي ٨٩/٢.

(٧٥) الدر المنثور للسيوطي ٨٨/٢ ـ ٨٩.

(٧٦) تفسير الطبري ٩٦/٤.

(٧٧) الدر المنثور للسيوطي ٨٨/٢ ـ ٨٩.

وكن يحثين التراب في وجوههم، و يقلن: هاك المغزل اغزل به، و منهم قال: ان المسلمين لم يعدوا الجبل.

قال القفال والذي تدل عليه الأخبار في الجملة أن نفرا منهم تولوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب، وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر، إلّا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد، بل ثبت على الجبل الى أن صعد النبي (ص)، و منهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيداً، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبي (ص) «لقد ذهبتم فيها عريضة»(٧٨).

دراسة الخبر:

في الرواية الاولى فلان و سعد و عقبة الانصاريان.

وفي خبر ما كان يعيبه عبد الرحمن بن عوف على عثمان نفهم انه كان عثمان الذي أصبح بعد ذلك خليفة، ولم يستحسنوا ذكر اسمه.

٣ ـ آية: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(الآية/٦)

في تفسير الآية بتفسير الطبري والسيوطي عن أم سلمة (رض) قالت: بعث النبي (ص) الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يصدق أموالهم، فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله (ص)، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع الى رسول الله (ص)، فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله (ص) فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلًا مصدقاً، فسررنا لذلك، و قرّت أعيننا ثم إنه رجع من بعض

(٧٨) تفسير الفخر الرازي ٥٠/٩.

الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ورسوله، ونزلت ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ...﴾ الآية[٧٩].

٤ ـ آية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنـزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُوْنِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام/٩٣).

أخرج السيوطي عن أبي خلف الأعمىٰ قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي (ص) الوحي، فأتىٰ أهل مكة، فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟

قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله ﴿ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً﴾[٨٠].

وفي المستدرك عن شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن أبي سرح ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ الآية.

فلما دخل رسول الله (ص) مكة فرَّ إلى عثمان أخيه من الرضاعة، فغيبه عنده حتىٰ اطمأن أهل مكّة، ثم استأمن له[٨١].

٥ ـ آية: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الاسراء/٦٠)

وفي تفسير الطبري والسيوطي بسندهما عن سهل بن سعد قال: رأى رسـول الله (ص) بني فلان ينـزون على منـبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما

---

(٧٩) تفسير الطبري ٢٦/٧٨، وتفسير السيوطي ٦/٨٨ ـ ٩٢.

(٨٠) الدر المنثور للسيوطي ٣/٣٠.

(٨١) المستدرك للحاكم ٣/٤٥ ـ ٤٦.

اَستجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل اللّه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٨٢].

وفي تفسير السيوطي عن ابن أبي حاتم بسنده عن يعلى بن مرة قال: قال: رسـول الله (ص): أُريت بني أميّة على منـابـر الأرض وسيتملكـونكم فتجدونهم أرباب سوء.

واَهتمّ رسـول الله (ص) لذلـك: فأنـزل اللّه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٨٣].

وفي تفسير السيوطي عن ابن مردويه بسنده عن الحسين بن علي: ان رسول الله (ص) أصبح وهو مهموم، فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: «إنّي أريت في المنام كأنّ بني أمية يتعاورون منبري هذا».

فقيل: يا رسول الله، لا تهتم فإنّها دنيا تنالهم. فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٨٤].

وفي تفسـير السيوطي عن ابن ابي حاتم بسنـده عن ابن عمـر: أنّ النبيّ (ص) قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة وأنزل اللّه في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ ﴾ يعني: الحكم و ولده[٨٥].

وفي تفسـير السيوطي عن ابن عساكر وغيره بسندهم عن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله (ص) بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فأوحىٰ الله إليه (إنّما هي دنيا أعطوها)، فقرت عينه، وهي قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي

---

(٨٢) تفسير الطبري ٧٧/١٥ والدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

(٨٣) تفسير السيوطي ١٩١/٤.

(٨٤) تفسير السيوطي ١٩١/٤.

(٨٥) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[٨٦].

وفي تفسير السيوطي عن ابن مردويه بسنده عن عائشة. أنّها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[٨٧].

دراسة الخبر:

في الرواية رأى رسول الله (ص) بني فلان ينزون على منبره. فمن هم بنو فلان؟

هم بنو أمية الذين أصبحوا بعد الرسول ولاة المسلمين ولذلك لم يصرح الراوي بذكرهم.

---

(٨٦) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

(٨٧) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٩١/٤.

خلاصة بحث أخبار سيرة الرسول في القرآن الكريم ونتائجها وآثارها:

جاء في تفسير الآيات:

أن آية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ هم الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

و أن تفسير أبناءنا في آية المباهلة هما الحسن والحسين و أنفسنا علي بن أبي طالب و نساءنا فاطمة.

وفي خبر إرسال الآيات الأولى من سورة البراءة إلى المشركين أن رسول الله بعثها مع الصحابيين أبي بكر وعمر ثم أمر الله رسوله أن يبعثها مع علي ففعل ذلك.

وفي تفسير ﴿يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...﴾ أن الرسول جمع الحجيج، و أخذ بيد علي و قال: من كنت مولاه فهذا مولاه ... الحديث.

وفي تفسير ﴿إنما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا﴾ هو الامام علي.

وفي تفسير آية النجوى الذي دفع الصدقة وناجى الرسول (ص) بين الصحابة هو الامام علي.

وفي تفسير آية ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمنَّ بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله...﴾ هو الامام في مقابل العباس عم النبي الذي تفاخر بسقاية الحاج وطلحة الداري الذي تفاخر بعمارة البيت.

وفي تفسير آية: ﴿ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ انّهما أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة.

وفي تفسير آية: ﴿الاّ من اكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ انّه الصحابي عمار ابن ياسر.

وفي تفسير آية: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ ان المقصود به الصحابيان أبي بكر و عمر.

وفي تفسير آية: ﴿ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ ان المقصود به الخليفة عثمان و من فرّ معه يوم أحد.

وفي تفسير آية: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ...﴾ انه الوليد ابن عقبة.

وفي تفسير آية: ﴿وقال أوحي اليّ ولم يوح اليه﴾ هو عبد الله بن ابي سرح.

وفي تفسير آية: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ انهم بنو أمية.

* * *

كان ذلكم خلاصة البحث أما نتائجة وآثاره، فسوف ندرسها في بحث اختلاف المصاحف وزيادة القرآن ونقصانه ان شاء الله تعالى، وكان كل ما أوردناه الى هنا من بحوث قرآنية تخص عصر الرسول وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى المصطلحات القرآنية.

بحوث تمهيدية

«٣»

مصطلحات اسلامية قرآنية

أ ـ الوحي ونزوله.

ب ـ القرآن والكتاب والمصحف.

ج ـ السورة والآية.

د ـ الجزء والحزب.

هـ ـ التلاوة والقراءة.

و ـ الجامع والحافظ.

ز ـ الترتيل والتجويد.

ح ـ النسخ.

الخلاصة.

مقدّمة البحث:

لعلوم الاسلام كسائر العلوم مصطلحات بها تفتح أبوابها وتدرك بحوثها ومع الأسف الشديد لم يعن العلماء منذ قرون بدراسة مصطلحات علوم القرآن كما عنوا ـ مثلا ـ بمصطلحات علوم الفقه، وعلى أثرها عرف المسلمون أحكام الاسلام مدى القرون.

ولعدم عنايتهم بدراسة مصطلحات علوم القرآن التبس أمر مصطلحات الاسلام في علوم القرآن بمصطلحات المسلمين فيها، ولم تفهم معنى الروايات التي رويت في شأن النسخ والقراءة والمصاحف وامثالها من بحوث علوم القرآن، و أدّى ذلك الى القول بعدم ثبوت النص القرآني الذي أوحي الى الرسول (ص) في عصرنا ـ معاذ الله ـ واخطاء كبيرة أخرى تعرضنا لدراستها خلال بحوث هذا الكتاب، ويتوقف فهم المصطلحات القرآنية على استيعاب معاني المصطلحات التي شرحناها في الجزء الأول من كتابنا «قيام الأئمة باحياء السنة».

وفي البحوث الآتية محاولة متواضعة لتعريف المصطلحات الاسلامية و مصطلحات المسلمين في علوم القرآن، فإن أصبت فيها فمن الله، وإن اخطأت فمني وحسبي نجاحاً ان أوفق لجلب نظر الباحثين في هذه العلوم إلى ضرورة القيام بدراسة تلك المصطلحات وعدم الركون الى بحوث السلف الصالح في شأنها وتقليدهم فيها والله المسؤول ان يأخذ بايدينا في سلوك هذا الطريق إنه نعم المولى ونعم النصير.

أولاً ـ الوحي ونزوله:

أ ـ الوحي في اللغة والمصطلح الاسلامي:

في اللغة:

أوحى إليه وله: أشار وأومأ، وكلمه بكلام خفي يخفى على غيره، وأمره، وألهمه، وأوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه[1].

في المصطلح الاسلامي:

الكلمة الالهية التي يلقيها الى أنبيائه ورسله بواسطة ملك يشاهده الرسول ويسمع كلامه، كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء (ص) أو سماع كلام الله من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله.

أو بالرؤيا في المنام كما أخبر الله عن قول إبراهيم لابنه اسماعيل في سورة الصافات:

﴿ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَاأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (الآية/١٠٢)

أو بأنواع اخرى من الوحي يعلمه الله وتدركه رسله صلوات الله عليهم

---

١) مصدرنا في ما نذكر من معاني المصطلحات:
أ ـ مفردات القرآن للأصبهاني   ب ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم.

أجمعين.

ومن موارد استعماله في المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم قوله تعالى:

أ ـ في سورة النساء/١٦٣:

﴿ إِنَّـا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾

ب ـ في سورة الشورى/٧:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

ج ـ في سورة المؤمنون/٢٧:

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾

د ـ في سورة الاعراف:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الآية/١١٧)

﴿... وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ ٱسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ...﴾ (الآية/١٦٠).

ب ـ نزول الوحي وتنزيله:

١ ـ نزل نزولا:

انحطّ من علّو الى سفل مكاناً أو معنى، ونزول الكتب السماويّة بلوغها إلى من أنزلت عليه.

٢ ـ تنزّل تنزلاً:

نزل في تمهل وتدرّج.

٣ ـ أنزله نزولاً ونزّله تنزيلاً:

جعله ينزل والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ان التنـزيل يخصّ بالمـوضع الذي يشير إلى إنزاله ويكون التنزيل تدريجياً بينما الإنزال عامّ.

ومثال النزول من الأعلى مكاناً إلى الأسفل قوله ـ تعالى ـ في سورة النحل/٦٥.

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾

ومثال النزول المعنوي وبلوغ الكتب السماوية الى من أنزلت عليه قوله تعالى:

أ ـ في سورة الشعراء/١٩٣ ـ ١٩٤:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾

ب ـ في سورة طه/٢:

﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴾

ومثال التنزل في تمهل وتدرج قوله تعالى في سورة فصّلت/٣٠:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

ومثال الاختصاص بالموضع الذي يشير إلى انزاله قوله تعالى:

أ ـ في سورة الانعام/٧:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

ب ـ في سورة الانعام/١١١:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةَ...﴾.

ومثال الانزال التدريجي قوله تعالى في سورة الاسراء/١٠٦:

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾

وجاء في القرآن نزل وأنزل بمعنىٰ أوحىٰ في قوله تعالى:

أ ـ في سورة البقرة/٤:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

ب ـ في سورة آل عمران:

﴿ وَأَنـزَلَ ٱلتَّـوراَةَ وَٱلإِنجِيلَ * مِن قَبْـلُ هُدىً لِلنَّـاسِ وَأَنـزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (الآيات/٣ ـ ٤)

ج ـ في سورة يوسف/٢:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

د ـ في سورة الإنسان/٢٣:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴾

هـ ـ و (نزل به) في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الآيات/ ١٩٢ ـ ١٩٥)

كما جاء أوحى بمعنىٰ نزل وأنزل في قوله تعالى:

أ ـ في سورة الشورىٰ/٧:

﴿ وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

ب ـ في سورة الانعام/١٩:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾

و الوحي و الإنزال من الله قد يكون معناه ولفظه وكتابته من الله سبحانه وينزله الله مرّة واحدة على رسوله كما كان شأن التوراة حيث قال الله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ في ٱلأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾

وقد يكون لفظه ومعناه من الله وينزل متدرجاً على الرسول (ص) كما قال سبحانه في وصف القرآن:

أ ـ في سورة المزمل:

﴿إِنَّا سَنُلقي عَليكَ قَولاً ثَقِيلاً﴾.

ب ـ في سورة الاسراء:

﴿وَقرآناً فَرقناهُ لِتقرأَهُ عَلىٰ ٱلناسِ عَلىٰ مُكثٍ وَنزَّلناهُ تنزيلاً﴾.

وقد يوحي الله المعنى الى رسوله ويبلغ الرسول (ص) المعنى بلفظه وهو بعض من سنّة الرسول أي حديثه كما روى الدارمي بسنده وقال:

«كان جبريل ينزل على رسول الله بالسنّة كما ينزل بالقرآن»[٢].

وكذلك كان الله يوحي إلى الرسول (ص) ببيان الآيات مع إنزال الآيات كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة القيامة حيث قال تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

خلاصة البحث:

أولاً ـ الوحي:

الوحي في المصطلح الاسلامي: كلمة الله ـ جل اسمه ـ الّتي يلقيها الى أنبيائه ورسله بسماع كلام الله ـ جل جلاله ـ دونها رؤية الله ـ سبحانه ـ مثل تكليمه موسىٰ بن عمران (ع)، أو بنزول ملك يشاهده الرسول ويسمعه مثل تبليغ جبرائيل(ع) لخاتم الأنبياء (ص)، أو بالرؤيا في المنام مثل رؤيا

---

(٢) سنن الدارمي ١٤٥/١ المقدمة باب السنة قاضية على القرآن.

إبـراهيم (ع) في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل (ع)، أو بأنواع أخرى لايبلغ إدراكها علمنا.

ثانيا ـ نزول الوحي:

أنزل الله وحيه وكتابه ونزّله: جعله ينزل.

وانزال القرآن والملائكة الى محل نزوله مثل قلب النبي والتنزيل: إنزال تدريجي للوحي أو الكتاب والإنزال عامّ.

والتنزّل: نزول في تمهل وتدرّج.

واستعمل نزل و أنزل في القرآن الكريم بمعنى أوحاه، وكذلك العكس .

ثالثاً ـ ما أوحى اللّه إلى رسله:

ينقسم ما أوحى اللّه إلى رسله إلى قسمين:

أ ـ ما أوحي إليهم لفظه و معناه وكان ذلك شأن كتبه التي أنزلها إلى رسله وآخرها القرآن الكريم .

ب ـ ما أنزل اللّه المعنى و بلّغته رسله بلفظهم وهذا ما يسمىٰ بالمصطلح الإسـلامي سنّـة الرسول ومن جملتها أحاديث الرسول(ص) في تفسير آي القرآن و بيان مجملها و متشابهها.

ثانياً ـ القرآن والكتاب والمصحف:

أ ـ القرآن:

القرآن: هو كلام الله الّذي نزّله نجوماً ـ في أوقاتها المعينة لانزالها ـ على خاتم أنبيائه محمد (ص)، بلغة العرب ولهجة قريش منهم، ويقابله الشعر والنثر في الكلام العربي.

وعليه فإنّ الكلام العربي ينقسم إلى قرآن وشعر ونثر.

وكما أنّه يقال لديوان الشاعر: «شعر»، وللقصيدة في الديوان: «شعر»، وللبيت الواحد فيه: «شعر» وللشطر الواحد أيضاً: «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن: «قرآن»، وللسورة الواحدة: «قرآن»، وللآية الواحدة: «قرآن»، وأحياناً لبعض الآية: «قرآن»، مثل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في الآية الثالثة من سورة البقرة. والقرآن بهذا المعنى، مصطلح إسلامي وحقيقة شرعية. إنّ منشأ هذه الاستعمالات مجيئه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أسماء أخرى للقرآن[1]:

آستخرج العلماء من القرآن أسماء أخرى للقرآن الكريم مثل: (الكتاب) و(النور) و(الموعظة) و(كريم).

١ ـ الكتاب: لقوله تعالى في سورة البقرة:

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ت: ٩٧٤هـ ط. القاهرة. النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه ١/٢٧٣ و ٢٧٦.

﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

٢ ـ النور: لقوله تعالى في سورة النساء/١٧٤:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾

٣ ـ الموعظة: لقوله تعالى في سورة يونس/٥٧:

﴿... قَدْ جَاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾.

٤ ـ كريم: لقوله تعالى في سورة الواقعة/٧٧:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كريمٌ﴾.

وندرس من الاسماء الآنفة الكتاب فيما يأتي:

ب ـ الكتاب:

يظهـر بأدنى تدبّـر في موارد استعمال الكتاب في القرآن الكريم بانها جاءت هي ونـظائرها وصفاً للقرآن الكريم، وليست أسماء له، ماعدا الكتاب الذي ليس واضحاً أنه ليس اسماً للقرآن الكريم، ومن ثم ندرس موارد استعمال لفظ (الكتاب) في اللغة والقرآن الكريم في ما يأتي باذنه تعالى:

جاء استعمال الكتاب في اللغة والقرآن لمعان متعددة منها:

أولاً ـ في اللغة:

أ ـ كتب الكتاب كتباً و كتاباً.

أي دوّن حروف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات والجمل مثل قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة/٧٩:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

ب ـ جاء الكتاب مصدراً سميّ به المكتوب فيه، مثل قوله تعالى في حكاية قول بلقيس في سورة النمل:

﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

ثانياً ـ في القرآن الكريم:

اطلق الكتاب في القرآن على التوراة والانجيل والقرآن وكل كتاب أنزله الله على رسله مثل قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

١ ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَـٰبَ ... ﴾ (الآية/٨٧) للتوراة.

٢ ـ ﴿... وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ ﴾ (الآية/١١٣) للانجيل.

٣ ـ ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الآية/١ ـ ٢) للقرآن الكريم.

٤ ـ ﴿... فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ...﴾ (الآية/٢١٣) أي أنزل مع كلٍّ منهم كتاباً.

وسمّىٰ اليهود والنصارىٰ أهل الكتاب في قوله تعالى في سورة المائدة/٦٨:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ﴾

* * *

كان هذا معنىٰ الكتاب الذي يساوي المصحف في المعنىٰ في اللغة والقرآن الكريم واشتهر عند النحويين كتاب سيبويه في النحو بـ(الكتاب).

قال حاجي خليفة في باب الكتاب من كشف الظنون:

(كتاب سيبويه في النحو: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: وقرأ فلان الكتاب، فيُعلم أنّه كتاب سيبويه، وقرأنصف الكتاب، فلا يشكّ أنّه كتاب سيبويه...).

وشرحه أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف النحوي

الأندلسي الأشبيلي (ت: ٦٠٩هـ)، وسمّاه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب.

وشرح أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي الحنبلي (ت: ٦١٦هـ) أبياته وسمّاه: لباب الكتاب.

ولأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي الأشبيلي (ت: ٣٨٠هـ): أبنية الكتاب(٢).

إذاً فليس (الكتاب) اسماً للقرآن في القرآن الكريم ولا في عرف المسلمين.

ونستنتج من هذا البحث ونقول:

إنّ العلماء أخطأوا إذ فسرّوا ما جاء من لفظ (الكتاب) أو (كتاب) في محاورات الصحابة بمعنى القرآن، في حين أنهم قصدوا من (الكتاب) ما فرض الله على عباده، كما درسناها مفصلاً في بحث روايات اختلاف المصاحف.

ج ـ المصحف:

١ ـ في اللغة:

(الصحيفة: الّتي يكتب فيها، والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف، والمُصْحف والمِصْحف: الجامع للصحف بين الدفتين)(٣).

---

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت:١٠٧٦هـ) تركيا، ١٤٢٧/٢ و١٤٢٨.

وسيبويه، أبو مبشر، أو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، مولى بني الحارث بن كعب. توفي سنة ١٨٠هـ.

(٣) راجع مادة (صحف) في الصحاح للجوهري، (ت:٣٩٣هـ). والمحكم لابن سيده (ت: ٤٥٨هـ). والمفردات للراغب، (ت:٥٠٢هـ). ولسان العرب لابن منظور (ت: ٧١١هـ). والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت: ٨١٦ أو ٨١٧هـ).

وقالوا في تفسير الدفّتين، الدفّة: الجنب من كلّ شيء وصفحته، ودفّتا الطبل: الجلدتان اللتان تكتنفانه، ويضرب عليهما، ومنه دفّتا المصحف، يقال: حفظ ما بين الدفّتين[٤] - أي حفظ الكتاب من الجلد إلى الجلد.

وبناءً على ما ذكرنا، فإنّ المصحف: اسم للكتاب المجلد، وذلك لأنّه إذا كانت الصحيفة هي ما يكتب فيها وجمعها الصحف، والمصحف: هو الجامع للصحف بين الدفّتين والدفّتان - هما جلدتا الكتاب - فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلد في كلامنا.

وبناءً على ما ذكرنا، إنّ المصحف: اسم لكلّ كتاب مجلد قرآناً كان أم غير قرآن.

٢ - في مصطلح الصحابة:

استعمل المصحف بالمعنى اللّغوي الّذي ذكرناه في روايات (جمع القرآن) حتى عهد عثمان.

فقد روى البخاري عن الصحابي زيد بن ثابت ما ملخّصه: أن الخليفة أبا بكر أمره بجمع القرآن. قال: «فتتبعت القرآن أجمعه، فكانت الصحف عند أبي بكر حتّى توفاه الله، ثمّ عند عمر في حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر (رض)».

وروى بعدها عن أنس ما ملخصه:

(أنّ عثمان عندما أراد أن يجمع القرآن أرسله الى حفصة: أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك...) الخبر[٥].

ومن الواضح أنّ الصحف والمصاحف ذكرا في الخبرين المذكورين آنفاً

---

(٤) راجع تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) والمعجم الوسيط، مادة (دفف).

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٣/ ١٥٠.

بنفس المعنى اللّغوي: (الكتاب المجلد).

وأكثـر تصـريحـا ممّا جاء عنـد البخـاري، ما جاء عنـد ابن أبي داود السجستاني في باب: جمع القرآن في المصحف من كتابه: (المصاحف)، فقد روى فيه:

أ ـ عن محمد بن سيرين، قال:

«لما توفي النبيّ (ص) أقسم عليٌّ أن لا يرتدي الرداء إلّا لجمعة، حتّى يجمع القرآن في مصحف».

ب ـ عن أبي العالية:

(أنّهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر).

ج ـ عن الحسين:

(أنّ عمر بن الخطاب أمر بالقرآن، وكان أوّل من جمعه في المصحف)[٦].

استشهدنا بهذه الروايات الثلاث لأنّها تدلّ على أنّ في عصر روايتها كان المصحف في كلامهم أعمّ من القرآن، فقد جاء فيها على حسب التسلسل:

أ ـ (حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب ـ (جمعوا القرآن في مصحف).

ج ـ وأمر بالقرآن فجمع، وكان أوّل من جمعه في المصحف).

ولو كان المصحف لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالآتي:

أ ـ حتى يجمع القرآن في القرآن.

ب ـ جمعوا القرآن في القرآن.

ج ـ وكان أوّل من جمع القرآن في القرآن.

---

(٦) كتاب المصاحف للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت: ٣١٦)هـ. تصحيح الدكتور اثر جفري، ط. الأولى، القاهرة ١٣٥٥هـ. والروايتان: أ. و ج. في ص١٠ منه والرواية: ب في ص٩ منه.

٣ ـ في روايات أئمة أهل البيت (ع):

وقد جاء المصحف في روايات أئمة أهل البيت (ع) بنفس المعنى اللغوي لمدرسة الخلفاء، فقد روى الكليني في باب (قراءة القرآن في المصحف):

الحديث الأوّل عن أبي عبد الله جعفر الصادق (ع)، قال:

من قرأ القرآن في المصحف متّع ببصره، وخفّف عن والديه، وإن كانا كافرين.

وفي الحديث الرابع منه ـ أيضاً ـ عن أبي عبد الله (ع)، قال: «قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين، ولو كانا كافرين»(٧).

وبناءً على ما ذكرنا ثبت أن المصحف كان يستعمل في كلام الصحابة والتابعين والرواة بمدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت (ع) ويراد به الكتاب المجلد، أي: أنّ المصحف ٱستعمل في محاوراتها في عصر الإسلام الأوّل في معناه اللّغوي وٱشتهر بعد ذلك في مدرسة الخلفاء تسمية القرآن المدوّن والمخطوط بين الدفّتين بـ (المصحف).

٤ ـ في أخبار مدرسة الخلفاء:

وقد سمي في مدرسة الخلفاء غير القرآن بالمصحف كالآتي:

مصحف خالد بن معدان:

روى كل من ابن أبي داود (ت: ٣١٦هـ) وابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) والمزّي (ت: ٧٤٢هـ) وابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) بترجمة خالد بن معدان وقالوا:

ان خالد بن معدان كان علمه في مصحف له ازرار وعرى(٨).

---

(٧) أصول الكافي، ط. طهران، سنة ١٣٨٨هـ، ٢/٦١٣.

(٨) المصاحف، ص١٣٤ ـ ١٣٥.

←

فمن هو خالد بن معدان صاحب المصحف؟

كان خالد بن معدان من كبار علماء الشام ومن التابعين، أدرك سبعين من الصحابة، ترجم له آبن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) في مادة الكلاعي[٩]، وقال: توفي خالد سنة ثلاث أو أربع أو ثمان ومائة هجرية.

٥ ـ اشتهار المصحف في كل ما كتب وجعل بين الدفّتين: الكتاب المجلد

كان استعمال المصحف في ما كتب وجعل بين الدفّتين، أي الكتاب المجلد مشهوراً ومتداولاً لدى العلماء والباحثين بمدرسة الخلفاء، وإليكم المثالين الآتيين لذلك:

أ ـ عنون آبن أبي داود السجستاني من أعلام القرن الثالث الهجري في كتابه المصاحف كالآتي:

١ ـ جمع أبي بكر الصديق (رض) القرآن في المصاحف بعد رسول الله (ص).

٢ ـ جمع عليّ بن أبي طالب (رض) القرآن في المصحف.

٣ ـ جمع عمر بن الخطاب (رض) القرآن في المصحف[١٠].

ب ـ ومن المعاصرين قال ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر

←

وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصورة المجمع العلمي الإسلامي؟ بطهران، ٢٥٩/٢/٥أ.

وتهذيب الكمال، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، مصورة المجمع العلمي الإسلامي بطهران، ١٧٠/٢.

وتهذيب التهذيب ج ١١٨/٣ ـ ١١٩.

(٩) اللباب في تهذيب الأنساب ٦٢/٣ ـ ٦٣. وراجع مصادر ترجمته في الهامش رقم ٨.

(١٠) كتاب المصاحف ص ٥ و١٠ منه، حسب التسلسل الّذي أوردناه.

الجاهلي: وكانوا يطلقون على الكتاب المجموع: لفظ المصحف، ويقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده، فمن ذلك ما ذكره...

ثمّ نقل خبر مصحف خالد بن معدان من كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني(١١).

٦ ـ في مصطلح الامم السابقة:

تسمية الكتب الدينية للامم السابقة بالمصحف:

وكذلك سميّت الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف كما جاء في طبقات ابن سعد بسنده:

عن سهل مولى عُتيبة أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه، وأنه كان يقرأ الإنجيل، قال: فأخذتُ مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرّت بي ورقةٌ، فأنكرت كتابتها حين مرّت بي ومَسِستُها بيدي، قال: فنظرت فإذا فصولُ الورقة ملصق بغراء، قال: ففتقتُها فوجدت فيها نعت محمد، (ص)، أنه لا قصير ولا طويل، أبيض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتبَاء، ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر، وهو يفعل ذلك، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد، قال سهل: فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد (ص) جاء عمّي، فلما رأى الورقة ضربني وقال: ما لَك وفتح هذه الورقة وقراءتها؟ فقلت: فيها نعت النبي (ص) أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد(١٢).

* * *

وهكذا وجدنا المصحف اسماً عاماً للصحف بين الدفتين وإن صحّ ما جاء

---

(١١) مصادر الشعر الجاهلي، الطبعة الخامسة، ص١٣٩، وقد نقله من المصاحف للسجستاني، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(١٢) طبقات ابن سعد ط. بيروت ١/٣٦٣.

في روايـة المصـاحف لابن أبي داود أنّ الخليفة أبا بكر كان قد سمّى القرآن بالمصحف فإنّ هذه التسمية لم تشتهـر حتّى عصر عثمان، كما يظهر ذلك من الخبرين اللذين نقلناهما آنفاً من صحيح البخاري، وإنما اشتهرت تسمية القرآن بالمصحف بعد ذلك، وعند ذاك أيضاً لم تبق هذه التسمية منحصرة بالقرآن، بل سميت كتب أخرى في مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت بـ(المصحف). وكان منها مصحف فاطمة ابنة رسول اللّه(ص) كالآتي خبره:

٧ ـ مصحف فاطمة ابنة الرسول (ص):

جاء في الروايات أنّ فاطمة ابنة رسول الله (ص) كان لها كتاب اسمه المصحف فيه إخبار بالمغيبات.

لقد جاء في بصائر الدرجات بأكثر من سند عن الامام الصادق (ع) قال: قال أبو عبد الله لأقوام كانوا يأتونه ويسألونه عمّا خلف رسول الله (ص) إلى عليّ (ع) وعمّا خلف عليّ إلى الحسن: لقد خلّف رسول الله (ص)عندنا ما فيها كل ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش و الظفر، وخلّفت فاطمة مصحفاً ماهو قرآن ... الحديث[١٣].

اذن فقد كان لابنة رسول الله (ص) مصحف كما كان لخالد بن معدان كتاب اسمه المصحف فيه علمه.

وإنّ أئمة أهل البيت الّذين انتشر منهم هذا الخبر نصّوا على أنّه ما هو بالقرآن وليس فيه شيء من القرآن، بل فيه أخبار بالحوادث الكائنة في المستقبل. ومع الأسف الشديد افترى بعض الكتاب في مدرسة الخلفاء وقال:إن مصحف فاطمة عند أتباع مدرسة أهل البيت، قرآن آخر !!! ولكن أتباع مدرسة أهل البيت لـم يقولوا هذا القول في شأن مصحف خالد ولا الكتاب لسيبويه.

---

(١٣) بصائر الدرجات ص ١٥٦. و أوردت موضع الحاجة من الحديث، وراجع تفصيل الخبر في معالم المدرستين ٢/٣٢٢ .

٨ ـ مصاحف الصحابة:

مرّ بنا في بحث من تاريخ القرآن في المدينة ذكر مصاحف الصحابة ويأتي تفصيله ـ ان شاء الله تعالى ـ في بحث اختلاف مصاحف الصحابة في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

انه كان لكثير من الصحابة مصاحف كتب كل منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من رسول الله (ص) في تفسير بعض آيات القرآن إذاً كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة: القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته كما هو الحال في تفاسير القرآن بالمأثور مثل الدرّ المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي في مدرسة الخلفاء والبرهان في تفسير القرآن لدى اتباع مدرسة أهل البيت (ع).

مثالان لمصاحف الصحابة:

أ ـ مصحف أم المؤمنين عائشة:

رووا عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال امرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ فلما بلغتها آذنتها فاملت عليّ (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى «وصلاة العصر» وقوموا لله قانتين) قالت عائشة سمعتها من رسول الله (ص).

ب ـ مصحف أم المؤمنين حفصة:

عن أبي رافع مولى حفصة أنه قال: استكتبتني حفصة مصحفاً، فقالت: إذا أتيت على هذه الآية، فتعال حتّى أمليها عليك كما قرأتها، فلما أتيت على هذه الآية: ﴿ حَـٰفِظُوا عَلَى الصَّلَـوٰتِ ﴾، قالت: اكتب: ﴿ حَـٰفِظُوا عَلَى الصَّلَـوٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [وصلاة العصر][١٤].

---

(١٤) سيأتي تفصيل اخبار مصاحف الصحابة باسنادها ان شاء الله تعالى في المجلد الثاني من هذا الكتاب في بحث اختلاف مصاحف الصحابة.

ومصاحف أخرى سوف نذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

٩ ـ مصحف الرسول (ص):

سيأتي في بحث من تاريخ القرآن على عهد الخليفة أبي بكر أنّ الرسول (ص) أوصى الإمام علياً ان لا يرتدي رداءه بعد وفاة الرسول (ص) حتى يجمع الصحف التي كانت في بيت الرسول (ص) الّتي كتب عليها القرآن بأمر الرسول (ص)، ولم تكن آي القرآن التي كتبت في تلك الصحف بدعاً عما كتبها الصحابة في صحفهم مما تعلموها من لفظ الآيات ومعانيها مّما تلقاها الرسول (ص) جميعاً عن طريق الوحي، بل لابدّ أن تكون مشابهة لمصاحف الصحابة في كتابة اللفظ والمعنى معاً ما عدا أمراً واحد وهو أن كل صحابي كان يكتب مع ما يكتب من آي القرآن ما بلغه عن رسول الله (ص) في تفسير الآية، وكان رسول الله(ص) قد أمر الإمام علياً بكتابة كل ما يحتاجه المسلمون في تفسير الآيات مّما تلقاه عن طريق الوحي[١٥].

* * *

بناءً على ما سبق كانت المصاحف في صدر الإسلام مثل كتب التفسير في عصرنا تشتمل على القرآن وما بيّنه الرسول (ص) في تفسير الآيات. ولما اقتضت سياسة الخلفاء بعد الرسول (ص) تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) جرى في هذا الشأن ما سنبينه في ما يأتي بإذنه تعالى.

سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

مرّ بنا في بحث المجتمع الذي نزل فيه القرآن وانتشر منه وبحث من

---

(١٥) كما برهنا عليه في بحث: (القرآن والسنة، هما مصدر التشريع لدى مدرسة أهل البيت(ع) من المجلد الثاني من معالم المدرستين.

تاريخ القرآن السابقين لهذا البحث آيات نزلت في ذمّ سادة قريش الذين خاصموا رسول الله وحاربوه وآيات أخرى في ذمّ قبائل بعض الصحابة من قريش مثل قوله تعالى: في سورة الإسراء:

﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ ﴾ (الاسراء/٦٠)

في بني أميّة أو افراد من الصحابة مثل قوله في سورة التحريم:

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (الآية/٤)

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ (الآية/٥).

والتي نزلت في أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة في مقابل آيات نزلت في مدح آخرين مثل آية التطهير في قوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

والتي نزلت في حق الرسول (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

هذه الى كثير غيرها كانت تخالف حكومة الخلفاء الثلاثة، فرفعوا شعار حسبنا كتاب، الله وجردوا القرآن من حديث الرسول وبدأ العمل به الخليفة الصحابي أبو بكر، وأمر بكتابة نسخة من القرآن مجرّدة عن حديث الرسول وانتهى العمل على عهد الخليفة عمر، فبدأ عمله بمنع نشر حديث الرسول، وبعد وفاته وقعت الخصومة بين بعض الصحابة والتابعين وبني أمية وعصبة الخليفة الثالث، وأخذ الخصوم يروون من حديث الرسول ما فيهم ذمّ لعصبة الخلافة وكانت بأيدي الخصوم مصاحف فيها من بيان الرسول (ص) ما يستدل به الخصوم في مقابل عصبة الخلافة، فقام الخليفة الثالث بتنفيذ شعار جرّدوا القرآن من حديث الرسول (ص)، وأخذ نسخة المصحف المجرد من حديث

الرسول (ص) من أم المؤمنين حفصة، واستنسخ منها عدة نسخ من المصاحف المجرّدة عن حديث الرسول (ص)، ووزعها في بلاد المسلمين، وجمع مصاحف الصحابة اللاتي كان أصحابها قد دونوا فيها النصّ القرآني مع ما سمعوه من بيان الرسول في تفسير آياتها و أحرقها جميعا، فاستنسخ المسلمون مصاحف من تلك المصاحف المجردة عن بيان الرسول (ص).

واصبح المصحف بعد ذلك اسماً علماً للقرآن المجرّد عن بيان الرسول (ص)، ومع مرور الزمن لم يعرف المسلمون في القرون التالية أن مصاحف الصحابة كان فيها بيان الرسول (ص) مع النص القرآني.

وعندما حث الخليفة العباسي المنصور في سنة ثلاث وأربعين بعد المائة من الهجرة علماء المسلمين على تدوين العلوم، وكتب المتخصصون منهم بعلوم القرآن مع بيان آياته كما كان عليه الأمر على عهد الرسول سمِّي المصحف الذي دوّن فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير كما مرّ بيانه.

خلاصة البحث وخاتمته:

أولاً ـ القرآن: هو كلام الله الّذي نزّله نجوماً[١٦] على خاتم أنبيائه محمد (ص) بلسان عربي مبين، وهو ليس بشعر ولا نثر، في حين أنّ جميع كلام بني آدم في جميع اللغات إمّا أن يكون شعراً أو نثراً، وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن.

وقد سمّى الله جميع القرآن بالقرآن، وكذلك سمّى جزءاً منه بالقرآن، فهو مصطلح إسلامي.

و وصفه بالكتاب والذكر والنور، وامثالها، فعدّ العلماء تلك الصفات من أسماء القرآن، وليس للقرآن اسم غير القرآن.

---

(١٦) نجوما أي في اوقاتها المعينة.

ثانياً ـ الكتاب:

أ ـ في اللغة:

كتب الكتاب كتبا وكتابا: دوّن حروف الهجاء على اشكال تكوّن منها الكلمات والجمل.

والكتاب: مصدر سُمّي به المكتوب مثل قول بلقيس: ﴿القي اليّ كتاب كريم وانه من سليمان﴾.

ب ـ في القرآن الكريم:

اطلق الكتاب في القرآن الكريم على كل كتاب انزله الله مثل التوراة والانجيل والقرآن.

ج ـ في اصطلاح النحويين:

اشتهر كتاب سيبويه في النحو باسم الكتاب.

ثالثاً ـ المصحف:

أ ـ في اللغة:

اسم للصحف التي تجمع بين الدفتين ـ الجلدين ـ.

ب ـ في مصطلح المسلمين:

استعمل المصحف الى عصر عثمان بهذا المعنى نفسه وكذلك في روايات أئمة أهل البيت (ع) وفي أخبار مدرسة الخلفاء.

ج ـ سمّي كتاب خالد بن معدان من التابعين بمصحف خالد بن معدان وكان قد جمع فيه علمه.

د ـ في مصطلح الأمم السابقة:

كان سهل مولى عتيبة قبل اسلامه نصرانياً له عم من علماء أهل الكتاب له مصحف دون فيه اوصاف النبي (ص).

والمصاحف التي بلغنا أخبارها هي:

هـ ـ مصحف فاطمة بنت النبي (ص):

كان لفاطمة مصحف دون فيه أخبار ممّا يأتي به الزمان.

و ـ مصاحف الصحابة:

كان للصحابة مصاحف دون صاحب كل منها ما سمعه من الرسول(ص) في بيان آي من القرآن الكريم مثل:

مصحفا أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة حيث أمرتا ان يكتب في مصحفهما بعد آيّة ﴿ و الصلاة الوسطى ﴾ وصلاة العصر، وكذلك كان لعدة من الصحابة مصاحف مثل:

مصحف عبد الله بن مسعود:

روي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (في مواسم الحج) بعد ﴿رَبكم﴾ في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾

فان (في مواسم الحج) كان تفسيراً للآية وبيانا لزمان ابتغاء الفضيلة من الربّ تبارك وتعالى.

ز ـ مصحف الرسول (ص):

أوصى الرسول الإمام علياً أن يجمع الصحف المكتوب عليها القرآن وبيان الرسول ففعل فبقى ذلك المصحف عند الإمام علي، وورثه من بعده مع ما ورث من صحف العلم الإمام الحسن، وانتقلت بعد الإمام الحسن (ع) إلى الإمام الحسين (ع) ومن بعد إلى أولاده الأئمة كابراً بعد كابر.

سياسة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

اقتضت سياسة الخلفاء الثلاثة تجريد القرآن من حديث الرسول (ص) كي لا ينتشر بين المسلمين خارج الحرمين موقف سادة قريش عصبة الخلافة القرشية من الرسول (ص) والإسلام، ولا ينتشر بينهم من الثناء والنصّ في حق

غيرهم من مخالفيهم فبدؤوا العمل بذلك على عهد الخليفة الأول ابي بكر حيث أمر بكتابة مصحف مجرد عن حديث الرسول (ص)، واستمر العمل على ذلك وانتهى في عصر الخليفة عمر، و أودعه عند أم المؤمنين حفصة، ثم استنسخ الخليفة الثالث عليها سبع نسخ ووزعها بين أمهات البلاد الإسلامية، فاستنسخ المسلمون منها مصاحفهم التي بقيت بأيدي المسلمين حتى اليوم مجرّدة عن حديث الرسول (ص)، وجمع ما عداها من مصاحف الصحابة اللاتي كتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص)، واشتهر بين المسلمين في قرون متعاقبة حتى اليوم أن المصحف اسم للقرآن الذي في متناول أيديهم.

و بذلك اصبح المصحف في مصطلح المسلمين اسماً علماً للقرآن المجرّد عن بيان الرسول حتى اليوم.

و لمّا حثّ الخليفة العباسي المنصور علماء المسلمين على تدوين العلوم فقام بذلك علماء المسلمين وكان من ضمنها ما الفوا في تفسير القرآن جمعوا فيها بين النص القرآني وتفسير آياته وكان عملهم هذا مشابها لعمل الصحابة في كتابة مصاحفهم، فاشتهر بين المسلمين تسمية القرآن المجردّ عن بيان وتفسير بالمصحف والمصحف الذي دوّن فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير.

ثالثاً ـ السورة والآية:

أ ـ السورة:

١ ـ في اللغة:

اختلفوا في اصلها لغة، منها قولهم: أنّها من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور[1].

٢ ـ في المصطلح الإسلامي القرآني:

جزء من القرآن يفتتح بالبسملة ما عدا سورة البراءة، ويشتمل على آي ذوات عدد، وقد جاءت بالمعنى الاصطلاحي في القرآن الكريم بلفظ المفرد تسع مرّات، وبلفظ الجمع مرّة واحدة.

و إنّ أصغر سور القرآن الكوثر وأكبرها البقرة.

٣ ـ في القرآن الكريم:

نرى أن اسماء سور القرآن المنحصرة باسم واحد مثل (الرحمن) و(الانفال) و(الانعام) مصطلحات اسلامية نزلت عن طريق الوحي الى رسول الله (ص) وما اشتهر لها اسمان أو أكثر مثل سورة الاسراء التي تسمى ايضاً بني اسرائيل ينبغي أن ندرس الروايات المروية عن الرسول(ص) في شأن تعدد أسماء بعض السور لمعرفة المصطلح الإسلامي منها عن مصطلح المسلمين.

---

(١) راجع مادة (السورة) في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

ب ـ الآية:

في اللغة:

أشهر معاني «الآية» في اللغة: العلامة الواضحة للشيء المحسوس، والامارة الدالّة على المراد للأمر المعقول.

ومثال الأول قوله تعالى في سورة مريم في حكاية قول زكريا (ع):

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾(الآية/١٠)

أي: قال اجعل لي علامة واضحة...

ومثال الثاني قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ وَكَأَيِّن مِنْ آيَةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (الآية/١٠٥)

أي كم من أمارة تدُلُّ على قدرة الله وحكمته، أو غيرها من صفاته يمرُّون عليها وهم عنها معرضون.

وقول الشاعر:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

في المصطلح الاسلامي:

ما قاله الراغب في مفردات القرآن.

(ويقال لكلّ جملة من القرآن دالّة على حكم: آية،

سورة كانت، أو فصولا، أو فصلاً من سورة.

وقد يقال لكلّ كلام منه، منفصل بفصل لفظي: آية.

وعلى هذا اعتبار آيات السورة الّتي تعدّ بها السورة)[٢]

---

(٢) اخترنا ذكر أشهر معنى للآية في اللغة و التي تتناسب مع المعنى الاصطلاحي.

وتضاف اليه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض سور القرآن مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ...﴾ وفي سورة فصلت: ﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قال المؤلف:

إنّ الراغب وإن لم يفرِّق بين المعنى اللغوي للآية والّذي قدَّم ذكره وبين معانيها في المصطلح الإسلامي والّتي أخَّر ذكرها، غير أنّا لمّا وجدنا المجموعة الثانية لم ترد عند العرب وإنّما جاءت في الكتاب والسنّة خاصّة، وشاع فيهما استعمال «الآية» في تلك المعاني، قلنا بأنها من معاني «الآية» في المصطلح الإسلامي، وكذلك القاعدة في معرفة المصطلح الإسلامي، مثل مصطلح الصلاة والزكاة والخمس في الشريعة الإسلامية.

وإنّ الراغب في تعريفه معنى «الآية» قسم ما وصفناه بالمصطلح الاسلامي إلى قسمين:

١ ـ ما اعتبر (الحكم) في التسمية، حيث قال:

(كلّ جملة دالة على حكم آية، سورة كانت أو...).

٢ ـ ما اعتبر (اللفظ) في التسمية، حيث قال:

(كلّ كلام...).

ونحن بعد البحث والفحص عن موارد استعمال (الآية) في القرآن الكريم وجدنا الراغب مصيباً في قوله، وإليكم الدليل على ذلك:

أولاً ـ وجدنا من أمثلة القسم الأوّل:

١ ـ قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (١٠٦).

٢ ـ قوله تعالى في سورة النحل / ١٠١:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾

٣ ـ وقوله تعالى في سورة الأحزاب في خطابه لأزواج النبي (ص):

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب/٣٤).

٤ ـ ومنها قوله تعالى في سورة القصص/٥٩:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنا ﴾

وقوله تعالى في سورة الزمر في حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنم:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ (الآية/٧١).

٥ ـ وقوله تعالى في سورة آل عمران/١١٣:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ ٱللَّهِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ ﴾

والمعنى في الآية الأولى:

ما ننسخ من حكم في فصل من كتاب الله أو ننسه نأت بخير منه أو بمثله.

وفي الآية الثانية:

وإذا بدّلنا حكماً في فصل أو فصول من كتاب الله بحكم آخر في فصل أو فصول من كتاب الله.

وفي الآية الثالثة:

وأذكرن يا أزواج النبيّ (ص) ما يتلى في بيوتكن من أحكام الله اللاتي جاءت في فصول كتاب الله.

وفي الآية الرابعة:

حتى يبعث الله في أمّ القرى رسولاً يتلو على أهلها أحكام الله في فصول كتاب الله.

وفي الآية الخامسة:

ليس أهـل الكتاب متساوين في أمر الدين، منهم أمّة مستقيمة يتلون أحكاما من فصول كتاب الله.

ثانياً ـ وجدنا من أمثلة القسم الثاني، قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ ﴾

وقوله تعالى في سورة الرعد/ ١ :

﴿الٓمر تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾.

وكذلك جاء نظيرها في أول يونس والنمل، والثانية من الشعراء والقصص ولقمان.

إنّ هذه الآيات ونظائرها تشير إلى الآيات الّتي تشخص في كلٍّ سورة بالعدد، ويقال مثلاً: سورة الحمد سبع آيات، كما جاء في حديث الرسول (ص)[٣].

والآية بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، وقد قصد من (الآية) هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها.

ونضيف إلى ما سبق ما جاء في مادة الآية من معجم الفاظ القرآن الكريم قولهم.

وسمِّيت معجزات الأنبياء (آية)، لأنّها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله.

ونقول: إنّ منها قوله ـ تعالى ـ في حكاية قول صالح لقومه.

﴿ هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَـةً ﴾ (الأعراف/٧٣)، و(هود/٦٤).

وقوله تعالى في سورة النمل/ ١٢ في خطابه لموسى بن عمران حين أرسله إلى فرعون وقومه:

---

(٣) سيأتي نصّ الحديث وسنده في بحث البسملة إن شاء الله تعالى. وراجع أيضاً مادة (الآية) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

وبناءً على ما بيّناه فلفظ (آية) مشترك بين ثلاثة معان في المصطلح الاسلامي مضافاً إلى معانيها في اللغة العربية.

وقد استعملت (الآية) بكثرة في معانيها اللغويّة والاصطلاحيّة جميعاً في القرآن الكريم.

ولابدّ لنا في تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرره العلماء في علم أصول الفقه من أنّ اللفظ المشترك إذا جاء في الكلام لابدّ أن تدلّ قرينة على المعنى المقصود منه.

وعليه ينبغي لفهم المراد مما جاء من مادة (الآية) في القرآن، أن نبحث عن القرينة الدالة على المعنى المقصود في التعبير القرآني.

الخلاصة:

السورة في المصطلح القرآني جزء من القرآن يفتتح بالبسملة عدا سورة براءة، كما يأتي بيانه في بحث البسملة من المجلد الثاني - إن شاء اللّه تعالى - ويشتمل على آيات تميّز بالترقيم، ونرىٰ أن الله قد سمّى كل سورة باسم واحد. وما اشتهر لها أكثر من اسم واحد مثل سورة الإسراء و سورة بني إسرائيل ينبغي أن يبحث في السنّة النبوية عن اسمها في المصطلح القرآني.

(الآية) في اللغة: العلامة الواضحة على شيء محسوس أو الأمارة الدالة على شيء معقول.

وفي المصطلح الإسلامي قد تكون (الآية): معجزة من معاجز الأنبياء أو جملة من ألفاظ سورة قرآنية معينة بالعدد أو فصلا أو فصولاً من كتب الله تبيّن حُكماً من أحكام شريعته.

ولا نقول: إنّ معنى الآية في المصطلح الإسلامي ينحصر بما ذكرناه، بل

نقول: هذا ما عرفناه من معاني الآية إلى اليوم، ولعلّ البحث يعرِّفنا بعد اليوم غيرها من معاني الآية في المصطلح الإسلامي.

إذاً لفظ الآية مشترك في المصطلح الإسلامي بين عدّة معان، ولا يستعمل اللفظ المشترك في الكلام دونها قرينة تعين المعنى المقصود.

ويأتي تمام بحث الآية في بحث النسخ من المجلد الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

رابعاً ـ الجزء و الحزب:

قسّم المسلمو ن القرآن إلى ثلاثين قسماً و كل قسمٍ سمّوه جزءاً[1]، و الجزء إلى أربعة أحزاب، و هما من مصطلح المسلمين، لعدم استعمالها بهذا المعنى في الكتاب و السنّة.

---

(١) روي أنّ تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً كان في عصر الحجّاج.

خامساً ـ التلاوة والقراءة:

أ ـ التلاوة:

يقال: تلا الكتاب تلاوة، إذا تلفظ بكلمات كتاب يجب اتباعه مثل التوراة والإنجيل و القرآن مع تدبر معاني جملاته.

ولا يقال: تلوت كتابك في ما لا يجب اتباعه، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى:

١ ـ في سورة الكهف/٢٧:

﴿ وَٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ.... ﴾.

٢ ـ في سورة العنكبوت/٥١:

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾

جاء في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري عند ذكرهما خبر دعوة الرسول(ص) في موسم الحج رهطاً من الخزرج قالا:

(فدعاهم الى الله ـ عز و جلّ ـ و عرض عليهم الإسلام، و تلا عليهم القرآن)[1].

---

(١) سيرة ابن هشام ط. الحجازي بالقاهرة ٣٨/٢. وتاريخ الطبري ط. مصر ٣٥٣/٢.

ب ـ القراءة و الإقراء:

١ ـ في اللغة :

قرأ الكتاب قراءة وقرآنا تتبع كلماته نظراً ونطق بها[٢].

٢ ـ في المصطلح الإسلامي:

لمعرفة معنى القراءة والاقراء في المصطلح الإسلامي نتدبر ما جاء من هذه المادة في القرآن الكريم وسنّة الرسول (ص).

أمّا القرآن فقد قال الله سبحانه:

أ ـ في سورة العلق:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمنِ ٱلرَّحِيمِ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾.

ب ـ في سورة القيامة :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

ج ـ في سورة الاعلى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾

د ـ في سورة الفرقان:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾

هـ ـ في سورة الاسراء:

﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ... ﴾.

و ـ في سورة النحل/٤٤:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

---

(٢) المعجم الوسيط، مادة: قرأ.

ج ـ جمعه في كلام الرسول (ص).

د ـ جمعه حفظاً في صدور من حفظه من الصحابة.

هـ ـ جمعه كتباً في ما كتبه الصحابة في مصاحفهم.

و في السنّة:

أ ـ نقرأ في أخبار سيرة الرسول (ص) عندما آمن به من دعاهم من الخزرج في موسم الحج ما رواه ابن هشام:

فلما انصرف عنه (ص) القومُ بعث رسول الله (ص) معهم مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلّمهُمُ الاسلام، ويفقّههم في الدين، فكان يُسمى بالمدينة المقرئ[٣].

ب ـ نقرأ عن سيرة الرسول في إقرائه القرآن لأصحابه ما رواه أحمد وغيره واللفظ لأحمد.

قال: كانوا ـ أي الصحابة ـ يقترؤن من رسول الله عشر آيات عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل[٤].

تفسير الآيات:

في سورة العلق أمر الله نبيه أن يقرأ وفي سورة القيامة بين كيفية القراءة والإقراء وقال: ـ جلّ اسمه ـ لا تعجل في القراءة ان علينا جمعه، أي: إن على الله جمع القرآن بكل ما للجمع من معنى أي جمع لفظ القرآن ومعناه.

أ ـ جمعه في كلام جبرائيل للرسول (ص).

ب ـ جمعه في صدر الرسول (ص).

---

(٣) سيرة ابن هشام ط. القاهرة ٧٦/٢.

(٤) مسند احمد ٤١٠/٥.

و ـ جمعه حفظاً في صدور بعض المسلمين.

ز ـ جمعه كتباً في ما يكتبه البشر و تسجيلاً على وسائل التسجيل في من سجله من البشر على الأشرطة إلى يوم الدين.

كل ذلك جمع للقرآن من قبل الله ـ تبارك وتعالى ـ وتحقيق لوعده، وذلك بقاعدة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الانفال/١٧).

ويفهم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أنه ـ تبارك وتعالى ـ علّم رسوله معاني القرآن مع تعليمه تلاوة الفاظه. إذاً فإن إقراء الله نبيه في قوله تعالى ﴿سنقرئك...﴾ كان بتعليمه تلاوة لفظ القرآن مع تعليمه معنى اللفظ في ما احتاج فهم معنى اللفظ إلى تعليم اللّه إيّاه[٥]. وتعليم معاني آي القرآن الكريم بما فيها آيات الاحكام كان بحاجة الى سعة في الوقت لاستيعاب المعنى، فكان من الحكمة ان ينزل القرآن متدرّجاً، وليعلّم الرسول (ص) المؤمنين كذلك تلاوة الفاظ القرآن مع ما تلقاه ـ ايضا ـ عن طريق الوحي من معاني الآيات متدرّجا ليستوعبوها ومن أجل ذلك لم ينزل الله القرآن مرّة واحدة، بل أنزله على مكث، ليثبت به فؤاد الرسول (ص) اوّلاً ثم يقرئ الرسول (ص) المؤمنين على مكث، إذاً فإن معنى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ نعلّمك تلاوة ولفظ القرآن مع بيان معناه وإنك لا تنسى ما علمناك من لفظ القرآن وبيان معانيه، وكذلك فعل الرسول (ص) في تعليم القرآن للصحابة فإنه (ص) كان يقرئ أصحابه عشر آيات عشر آيات على مكث يعلمهم في كل مرّة تلاوة ألفاظ الآيات العشر مع تعليمهم ما فيه من العلم والعمل.

وكان الاصحاب الذين تعلّموا لفظ القرآن ومعناه من الرسول على مكث يعلّمون الآخرين تلاوة اللفظ والمعنى معاً وكذلك كان الجميع يتقارؤون القرآن

---

(٥) مرّ بنا في بحث (النظام الّذي سنّه النبي(ص) في إقراء القرآن) انّ النبي(ص) كان يتلقى عن طريق الوحي ما كان يعلم الناس.

على عهد الرسول (ص) مثل النفر الذين سمّوا بالقرّاء من أصحاب الرسول (ص) الذين بعث منهم سبعين شخصاً لتعليم القرآن، فاستشهدوا في بئر معونة.

وكان رسول الله (ص) عندما ينتخب الأقرأ من أصحابه، ليوليه على المسلمين مهما استطاع الى ذلك سبيلا ينتخب الاكثر علماً بتلاوة لفظ القرآن مع فهم معناه.

ومن جملة ذلك انه (ص) بعث مع الأنصار بعد ما بايعوه في العقبة بمنى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ(٦).

وكذلك كان يفعل الصحابي الفقيه ابن مسعود الذي عيَّنه عمر بن الخطاب، ليعلم أهل الكوفة القرآن في مسجد الكوفة عندما كان يقرئ القرآن فانه لم يكن معلّم كتاتيب يعلّم الأطفال تلاوة الفاظ القرآن، بل كان مقرئاً يعلم طلاب علوم القرآن تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه.

وبناء على ذلك كان معنى الاقراء على عهد الرسول الى سنوات قليلة من بعده تعليم تلاوة اللفظ مع تعليم معناه.

و المقرئ من يعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ و القارئ وجمعه القرّاء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معنى اللفظ.

وقد قال الراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن (كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما اذا انفرد كالمائدة للخوان وللطعام، ثم قد يسمّى كل واحد منهما بانفراده به) وكذلك جرى الأمر في استعمال مادّة الإقراء فإنه كان في عصر الرسول (ص) يستعمل في المعنيين تعليم تلاوة اللفظ وتعليم معنى اللفظ وأصبح بعد انتشار تعلم القرآن يستعمل الإقراء في أحد المعنيين وهو

---

(٦) سيرة ابن هشام ٤٢/٢.

تعليم معنى الآيات التي تحتاج الى تفسير ومن تلك الموارد ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال:

كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها... الحديث[٧].

و إذا علمنا أن إسلام عبد الرحمن بن عوف كان في السنة الثالثة من البعثة حسب ما يذكر ابن هشام من أخبار السابقين الى الإسلام من المهاجرين[٨].

و انّ آخر حجة حجّها عمر كانت سنة ٢٣هـ وقتل في الشهر نفسه قتل في المدينة، عرفنا أن المدّة بين الزمانين أكثر من اثنتين وثلاثين سنة ولم يكن كبراء المهاجرين أمثال عبد الرحمن بن عوف أطفال كتاتيب ليقرئهم ابن عباس تلاوة ألفاظ القرآن و إنما كان يعلّمهم تفسير القرآن .

ما يؤيّد انّ الصحابة كانوا يعنون بتعلّم معنى القرآن:

سيأتي في أخبار القرآن في عصر الخليفة عمر أنه كان يسأله عن معاني القرآن وأنه كان يقول في حقّه (نعم ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس).

و كيف روّض الخليفة عمر كبار الصحابة أن يقترؤوا القرآن من ابن عباس وكان الذين يفتون في عصر عمر هم الذين يقرؤن القرآن، أي لهم حق تعليم معنى القرآن كما سندرسه ـ باذنه تعالى ـ بعد إيراد أخبار وروايات في شأن القرآن في ما يأتي.

---

(٧) صحيح البخاري ١١٩/٤ باب رجم الحبلى من كتاب الزنا إذا احصنت.

(٨) ذكر ابن هشام إسلام عبد الرحمن بن عوف وآخرين من المهاجرين قبل مباداة رسول الله (ص) قومة في السنة الثالثة من البعثة راجع سيرة ابن هشام ط. الحلبي بمصر سنة ١٣٥٥هـ ٢٦٨/١.

أخبار وروايات في شأن القرآن:

١ ـ عندما حضر الرسول (ص):

في صحيح البخاري وغيره بسندهم الى ابن عباس أنه قال: (لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب كتابا لكم لن تضلوا بعده، قال عمر: ان النبي (ص) غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله واختلف أهل البيت، واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر.

فلّما أكثروا اللغط والاختلاف قال: قوموا عني ولاينبغي عندي التنازع).

وفي لفظ بعض الروايات وما شأنه أهجر[(٩)].

٢ ـ في أول عهد أبي بكر:

روى الذهبي أن الخليفة أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، وقال في ما حدثهم: «... فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئاً فمن سألكم، قولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه»[(١٠)].

٣ ـ على عهد عمر:

روى الطبري في سيرة عمر وقال: كان عمر إذا استعمل العمّال خرج معهم يشيعهم فيقول: جرّدوا القرآن واقلوا الرواية عن محمد (ص) وأنا شريككم)[(١١)].

٤ ـ خبر صبيغ بن عسل:

كان صبيغ بن عسل يذهب إلى الأجناد أي البلاد التي يسكنها جنود المسلمين مثل البصرة والكوفة والإسكندرية وكان من ضمن اولئك الجنود

---

(٩) راجع مصادر الخبر في عبد اللّه بن سبأ، الجزء الأول، بحث: السقيفة ط. السادسة ص ٩٧.

(١٠) بترجمة أبي بكر من تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/٢٢ ـ ٢٣.

(١١) تاريخ الطبري، طبعة مصر سنة ١٩٦٣، ٤/٢٠٤، وطبعة أوربا ١/٢٧٤١.

صحابة الرسول(ص) الذين أخذوا من الرسول تفسير القرآن فيسأل منهم عن معاني آي القرآن الكريم فأخبر الخليفة عمر بذلك فجلبه إلى المدينة وأحضر له عراجين النخل و ضرب بها رأسه حتى أدماه وفي المرة الثانية ضرب بها على ظهره حتى ترك ظهره دَبرة أي على ظهره مثل قرحة الدوابّ، ثم تركه حتى برئ و أعاد ضربه ثالثة ثم نفاه إلى البصرة وحرمه عطاءه ونهى عن مجالسته فكان إذا حضر مجلساً في المسجد تفرقوا عنه وبقي كذلك حتى تشفع له الوالي أبو موسى عند الخليفة فرفع العقاب عنه[١٢].

* * *

وبناءً على ما ذكرنا حصر الخليفة عمر تعليم معنى القرآن بعدد معدود، منهم ابن عباس ومنع الآخرين من البحث عن معاني القرآن، وأمرهم بالاقتصار على تلاوة ـ لفظ ـ القرآن، وأنتج ذلك تبدّل معنى القراءة والإقراء كالآتي بيانه باذنه تعالى.

تبدل معنى القراءة والاقراء في مصطلح المسلمين:

مر بنا آنفاً أن الرسول (ص) كان يتلقى عن طريق الوحي تلاوة لفظ القرآن ويتعلّم معناه في ما يحتاج معناه الى تعلّم من جبرائيل: مثل آيات الاحكام في الوضوء والتيمم وركعات الصلاة وأذكارها وما شابهها وذلكم معنى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ (الاعلى/٦).

وكان الرسول ـ أيضاً ـ كذلك يفعل في إقرائه القرآن للصحابة ويُسمى عندئذ من تعلم شيئاً كثيراً من تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معناه بالقارئ و إذا قام القارئ بإقراء الآخرين يسمى بالمقرئ.

---

(١٢) ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر (٨/١/ ١١٦ أ ـ ١١٨ أ)؛ وسنن الدارمي ٥٤/١، ٥٥ ـ ٥٦؛ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ وتفسير الدر المنثور ٦/ ١١١؛ وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٩؛ والاكمال لابن ماكولا ٢٢١/٥. واخترنا لفظ ابن عساكر في المتن.

و بناء على ذلك كانت القراءة في عصر الرسول (ص) بمعنى تعلم تلاوة القرآن مع تعلم معناه والإقراء تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ الذي يحتاج الى تعلّمه.

وكان لمعنى مادة القراءة والإقراء في عصر الرسول (ص) جزءان:

أ - تعلم تلاوة اللفظ و تعليمها.

ب - تعلم معنى اللفظ و تعليمه.

إذاً فإن القراءة والإقراء كان في المصطلح الإسلامي في عصر الرسول(ص) بمعنى تعلم لفظ القرآن و تعلم معناه و تعليمهما معاً.

و بهذا المعنى استعمل في قوله تعالى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴾

وأيضاً استعمل في القرآن الكريم في معناه اللغوي أحياناً في مثل قوله ـ تعالى ـ في سورة المزمل/٢٠: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ وقوله تعالى في سورة الحاقّة/١٩: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ﴾.

كما أن لفظ الصلاة استعمل في المصطلح الإسلامي بمعنى الصلاة الّتي تقرء سورة الفاتحة في الركعتين الأوليين منها.

و بهذا المعنى استعمل في قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة/٢٣٨:

﴿ حَـٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَـوٰتِ وَٱلصَّلَـوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾

كما استعمل ـ أيضاً ـ في معناه اللغوي في مثل قوله تعالى في سورة النور ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الآية/ ٤١).

واستعملت القراءة والاقراء بعد عصر الرسول (ص) غالبا في المعنى الاصطلاحي، و أحيانا استعمل في أحد جزأي المعنى الاصطلاحي وهو تعليم معنى القرآن أي تعليم تفسير القرآن.

وقد قال الراغب في مادة (قرأ) من مفردات القرآن:

(كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منه إذا انفرد كالمائدة للخِوان وللطعام، ثم قد يسمى كل واحد منهما بانفراده به).

ونرى أن ما جاء في صحيح البخاري أن ابن عباس كان يقرئ في منى في آخر سنة من خلافة عمر كبار الصحابة أمثال عبد الرحمن بن عوف القرآن جاء بمعنى اقراءهم معنى الآيات أي أنه كان يقرئهم تفسير القرآن.

وكان المسلمون صحابة وتابعين يعنون بتعلّم معاني القرآن بعد تعلّم تلاوته يسافرون من بلد الى بلد في سبيل ذلك كما فعل ذلك صبيغ بن عسل التميمي وأخذ يسافر من بلد فيه جند من اجناد المسلمين الى بلد آخر، ويسأل من صحابة الرسول بيان الرسول (ص) حول الآيات، وكانت الصحابة يومذاك في أجناد المسلمين.

كان صبيغ يحاول أن يتعلم منهم ويقترئ عليهم ما خفي عليه من معاني القرآن وكذلك كان يفعل المهاجرون الأولون أمثال عبد الرحمن بن عوف حين كان يقرئهم ابن عباس في منى في آخر حجة حجّها عمر، أي: في شهر ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة، فإنّ المهاجرين الأولين الذين كانوا قد أسلموا بمكة، ومضى على إسلامهم اكثر من ربع قرن لم يكونوا أطفال كتاتيب يحتاجون الى تعلّم تلاوة القرآن أضف اليه إنا رأينا الخليفة عمر يسأله عن تفسير القرآن بمحضر الصحابة.

و بذلك كان قد رشحه لتعليم تفسير القرآن كما سيأتي في بحث من تاريخ القرآن على عهد الخليفة عمر.

وكذلك نفسِّر ما جاء من مادّة (قرأ) في حديث الخليفة عمر في الشهر نفسه في آخر خطبة جمعة خطبها في مسجد الرسول قبل أن يطعن.

وكذلك نفسّر ما جاء عن أئمة أهل البيت (ع) أن المهدي إذا ظهر يأمر

بتعليم القرآن في مسجد الكوفة وسيأتي بيان كل ذلك كلٌّ في بابه من البحوث الآتية ان شاء الله تعالى.

في مصطلح المسلمين:

وبناءً على ما ذكرنا آنفاً فإن مادّة القراءة في المصطلح الإسلامي كانت تدل على تعلّم لفظ القرآن مع تعلّم معناه واستعمل في عصر الصحابة في المدينة بمعنى تعلم المعنى كما يظهر ذلك من كلام ابن عبّاس . ولّما أمرالخليفة عمر بتجريد القرآن عن بيان الرسول (ص) ونهى عن السؤال عن معانيه، ونكلّ بمن سأل عنه ونسخ الخليفة عثمان القرآن في مصاحف مجردًا عن حديث الرسول (ص) ووزعها في بلاد المسلمين وحرّق ما عداها انتشرت القراءة المجردّة للقرآن.

وفي أخريات القرن الأول الهجري قام علماء العربية بتحريف القرآن وسمّوا كل تحريف (قراءة) وسمّوا كل من يعلّم تلك التحريفات المقرئ وسمّوا بعضهم المقرئ الكبير وسمّوا الذي تعلّم تلك التحريفات القارئ وجمعه القراء أي الذي يقرأ القرآن بتلك التحريفات.

واستمر الأمر على ذلك قروناً حتى نسي معنى القراءة والاقراء في المصطلح الإسلامي الذي كان تعلّم اللفظ والمعنى معاً.

ونتيجةً لتبدل معنى القراءة والإقراء في محاوراتهم فسرّوا ما جاء منها في الكتاب والسنّة ومحاورات الصحابة بالمعنى المتداول عندهم، أي: قراءة القراءات المختلفة كما سندرسها في بحث القراءات إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحث:

يقال: تلا الكتاب لكتاب يجب العمل به مثل كتب الله المنزلة على رسله.

ويقال في لغة العرب: قرأ الكتاب قراءة اذا تتبع كلماته نظراً ونطق بها.

وفي المصطلح الاسلامي:

يقال قرأ القرآن واقترأه فهو قارئ اذا تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه ومعنى اقرأه ويقرئه: عُلِّم تلاوة لفظه مع تعليم معناه فهو عندئذ: مقرئ.

ولمّا رفع الخلفاء الثلاثة شعار جردوا القرآن من حديث الرسول، و كتبوا نسخة من القرآن مجرّداً عن حديث الرسول (ص)، ونسخوا عليها نسخاً، ووزعوها في بلاد المسلمين، وأحرقوا مصاحف الصحابة الّتي كان أصحابها قد دونوا فيها لفظ القرآن مع ما أخذوا من الرسول (ص) في بيان معاني آياته انتشر بين المسلمين نسخ القرآن بدون بيان الرسول (ص).

وبعد ذلك التاريخ سمّي القرآن المجردّ عن بيان الرسول (ص) بالمصحف.

إذاً فالمصحف قبل إحراق المصاحف كان اسماً للقرآن الذي كتب معه شيء من بيان الرسول (ص) و بعد احراق المصاحف أصبح اسما للقرآن دون بيان الرسول (ص).

و بعد أن أصدر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في عام ١٤٣هـ أمراً بتدوين العلوم و بدأ العلماء يدونون النص القرآني مع بيان معانيه سميت تلك المدونات بالتفسير وبقي اسم القرآن المجردّ عن بيان معاني الآيات بالمصحف، واشتهرت هذه التسمية على عهد الخلفاء العثمانيين بحيث أصبح القرآن والمصحف بعد ذلك كالإنسان والبشر لفظين مترادفين لمعنى واحد.

هذا ما كان من شأن تحول اسم المصحف منذ صدر الاسلام الى عصرنا الحاضر. وكذلك تبدلّ معنى القراءة والاقراء ممّا كان عليه في صدر الإسلام كالآتي بيانه:

بينا كان معنى القراءة والإقراء درس القرآن على المقرئ و تعلّم اللفظ والمعنى وعلى عهد الصحابة استعملت القراءة و الإقراء بمعنى تعلّم معنى القرآن و تعليمه.

القراءات المختلفة في أخريات القرن الاول الهجري في مدرسة الخلفاء فاستعملت القراءة والإقراء في تعلّم تلك القراءات المختلفة المختلقة. حتى عصرنا الحاضر، كما سنبينه في بحث القراءات من المجلد الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

* * *

كان ذلكم تطور معنى القراءة والإقراء بالنسبة إلى القرآن الكريم وفي ما يأتي ندرس باذنه تعالى استعمال القراءة في اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل البيت (ع) مدى القرون.

القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت مدى القرون:

استعمل المحدثون بمدرسة أهل البيت مدى القرون القراءة في تدريس الاستاذ تلميذه الكتاب وتعلّم التلميذ الكتاب من استاذه كما نجدها في الإجازات الآتية(١٣):

أ ـ اجازة الشيخ فخر الدين محمّد (ت: ٧٧١هـ) ابن العلاّمة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر، للشيخ محسن بن مظاهر، وأجزت له أيضاً أن يروي عنّي مصنّفات الشيخ ... أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، فمن ذلك كتاب تهذيب الأحكام، فانّي قرأته على والدي درساً بعد درس، وتمّت قراءته في جرجان سنة اثني عشر وسبعمائة عنّي عن والدي، ثمّ والدي قرأه على والده أبي المظفر يوسف بن عليّ بن المطهّر، وأجاز له روايته، ثمّ يوسف المذكور قرأه على الشيخ معمر بن هبة الله بن نافع الورّاق، و أجاز له روايته، ثمّ الفقيه معمر المذكور قرأه على الفقيه أبي جعفر محمّد بن شهرآشوب وأجازله روايته، ثمّ شهرآشوب قرأه على مصنّفه أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، وقرأه جدّي مرّة ثانية على الشيخ يحيى بن محمّد بن يحيى بن الفرج السوراوي وأجاز له روايتـه، والشيخ يحيى المذكور قرأه على الفقيه الحسين بن هبة الله بْن رطبة، وأجاز له روايته، والشيخ يحيى المذكور قرأه على المفيد أبي عبد الله محمّد بن الحسن الطوسي وأجاز له روايته، والمفيد قرأه على والده، وأجاز له روايته، وعندي مجلّد واحد من الكتاب الّذي قرأه المفيد على والده وهو بخطّ المصنّف والده، وقرأت أنا هذا المجلّد على والدي وباقي المجلّدات في نسخة أخرى.

وأمّا كتاب النهاية والجمل، فانّي قرأتها على والدي درساً بعد درس، وأجاز لي روايتها بالطريق الثاني عن والده قرأه عليه عن باقي أهل السند

(١٣) لقد حذفنا من عبارات الاجازات الفاظ المدح والثناء والترحم روما للاختصار.

المذكور قراءة[١٤]. انتهى موضع الحاجة من الاجازة.

في هذا القسم من اجـازة ابن العلاّمة للشيخ محسن بن مظاهر يقول المجيز وهو في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، انّه قرأ تهذيب الشيخ الطوسي على والده العلاّمة درساً بعد درس، و إنّ والده العلاّمة كان قد قرأه على شيخه، وشيخه على شيخه.

و هكذا يذكر سلسلة القراءات، حتى ينهي تسلسل القراءات إلى قراءة على مؤلّف التهذيب الشيخ الطوسي، ويقول: انّ جزءاً من كتاب التهذيب الّذي قرأه على والده كان بخطّ مؤلّفه الّذي توفي في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري.

ويقول في اجازته رواية كتاب النهاية: انّه قرأه أيضاً على والده العلاّمة درساً بعد درس، ويجيز الشيخ محسن روايته بطريق آخر ايضاً تسلسلت فيه قراءة شيخ على شيخ إلى أن ينهي القراءة إلى مؤلف الكتاب.

ب ـ اجازة الشيخ المجلسي(ت: ١١١١ هـ) بعد فقد قرأ عليّ و سمع مني المولى الفاضل... حاجي محمّد الاردبيلي... كثيراً من العلوم الدينية... لا سيّما كتب الاخبـار المأثورة عن الأئمة الأطهار ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ثمّ استجازني، فاستخرت الله ـ سبحانه ـ و أجزت له أن يروي عنّي... بحق روايتي و اجـازتي عن مشايخي الكرام... فمن ذلك ما أخبرني به عدّة... ممّن قرأت عليهم أو سمعت منهم... منهم والـدي العـلاّمـة وشيخه... مولانا حسن علي التستري و...

وهكـذا سلسل المجلسي في هذه الاجازة سنده، حتى انتهى إلى فخر الدين محمّد، عن والده العلاّمة الحلّي، ثم سلسل السند منه إلى الشيخ المفيد

---

(١٤) البحار ١٠٧/ ٢٢٣، وهذه الاجازة جاءت ضمن اجازة الشيخ علي بن محمد البياضي (ت: ٨٢٧) للشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي.

والكليني والصدوق.

ج ـ اجازة محمّد تقي المجلسي (ت: ١٠٧٠هـ) لمرزا إبراهيم «فمنها ما أخبرني به قراءة وسماعاً واجازة بهاء الملة... والدين محمّد العاملي... عن الشيخ عبد العالي...

د ـ إجازة محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ) للشيخ محمّد فاضل المشهدي. وقد قرأ عندي ما تيسّر قراءته وهو كتاب من لا يحضره الفقيه، من أوّله إلى آخره، وكتاب الاستبصار أيضاً بتمامه، وكتاب اصول الكافي كلّه، وأكثر كتاب التهذيب، وغير ذلك، قراءة بحث وتنقيح وتدقيق، فأحسن وأجاد وأفاد أكثر ممّا استفاد بحيث ظهر جدّه واجتهاده وقابليته واستعداده... وأهليته لنقل الحديث وروايته، بل نقده ودرايته، وقد التمس مني الاجازة فبادرت إلى اجابته...

هـ ـ اجازات المجلسي الخمس لتلميذه محمد شفيع على نسخ مخطوطة من مجلدات الكافي في مكتبة استان قدس الرضوي بخراسان المرقمة (ع ٨٥٢٨)

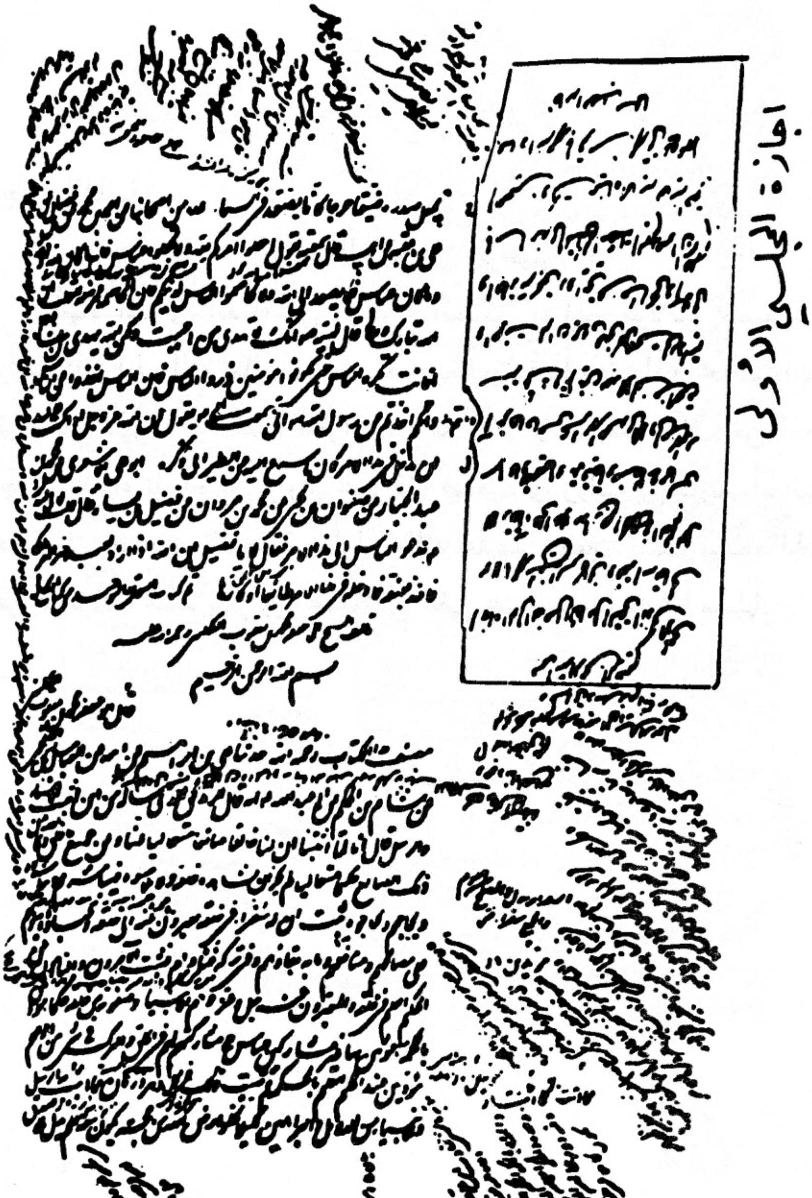
إجازات المجلسي (ره) لمن قرأ كتاب الكافي عليه

الاجازة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنهاه المولى الفاضل محمّد شفيع التويسركاني وفقه الله تعالى للارتقاء على أعلى مدارج الكمال في العلم و العمل سماعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً في مجالس آخرها خامس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث و ثمانين بعد الألف من الهجرة.

وقول المجلسي في الاجازة (أنهاه)، أي: أنها تلميذه القراءة وهذه صورة الاجازة على صفحة من كتاب الكافي للكليني:

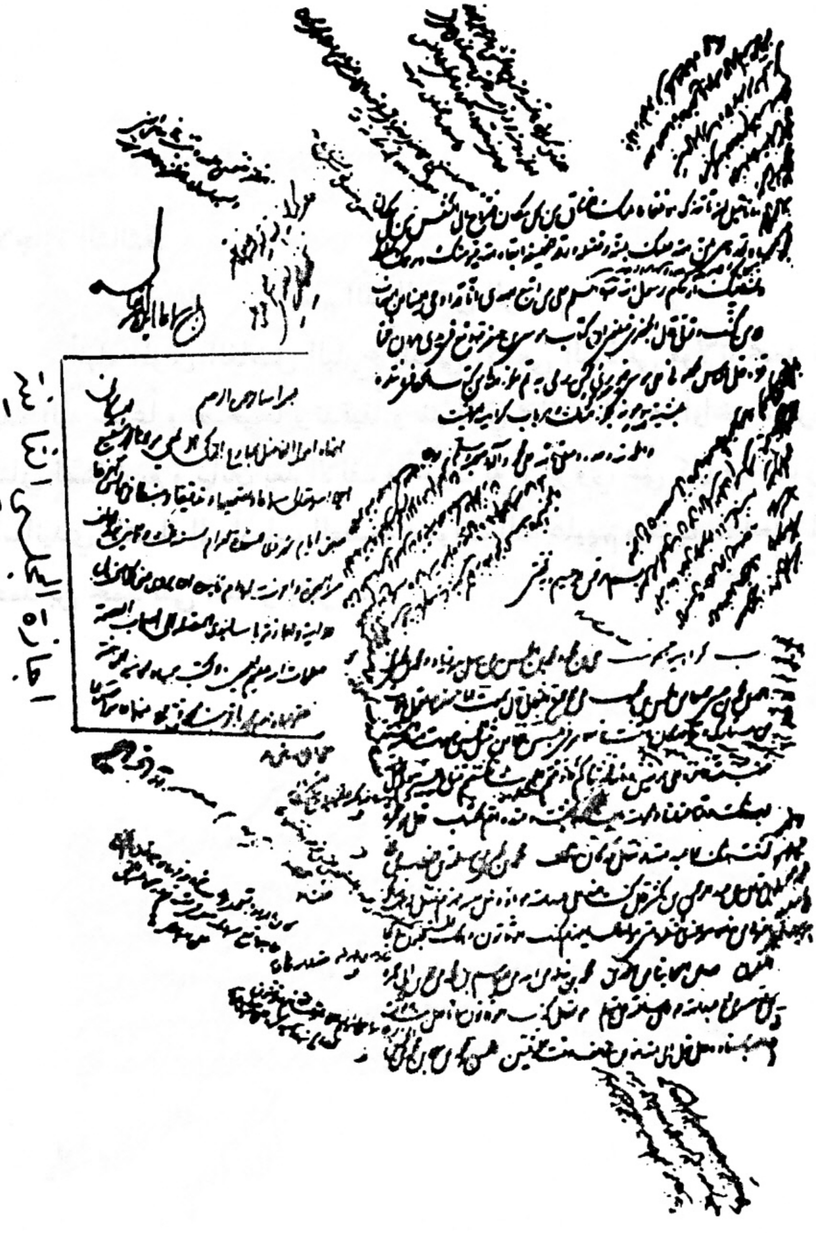


الاجازة الثانية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أنهاه المولى الفاضل البارع الذكي الألمعي مولانا محمد شفيع التويسركاني أيده اللّه تعالى سماعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً في مجالس آخرها بعض أيام شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث و ثمانين بعد الألف من الهجرة و أجزت له دام تأييده أن يروي عني كلما صحت لي روايته و إجازته بأسانيدي المتصلة إلى أصحاب العصمة صلوات اللّه عليهم أجمعين. كتب بيمناه الجانية أحقر عباد اللّه محمد باقر بن محمد تقي عفي عنهما حامداً مصلياً مسلماً.

ب ـ صحيفة الاجازة الثانية



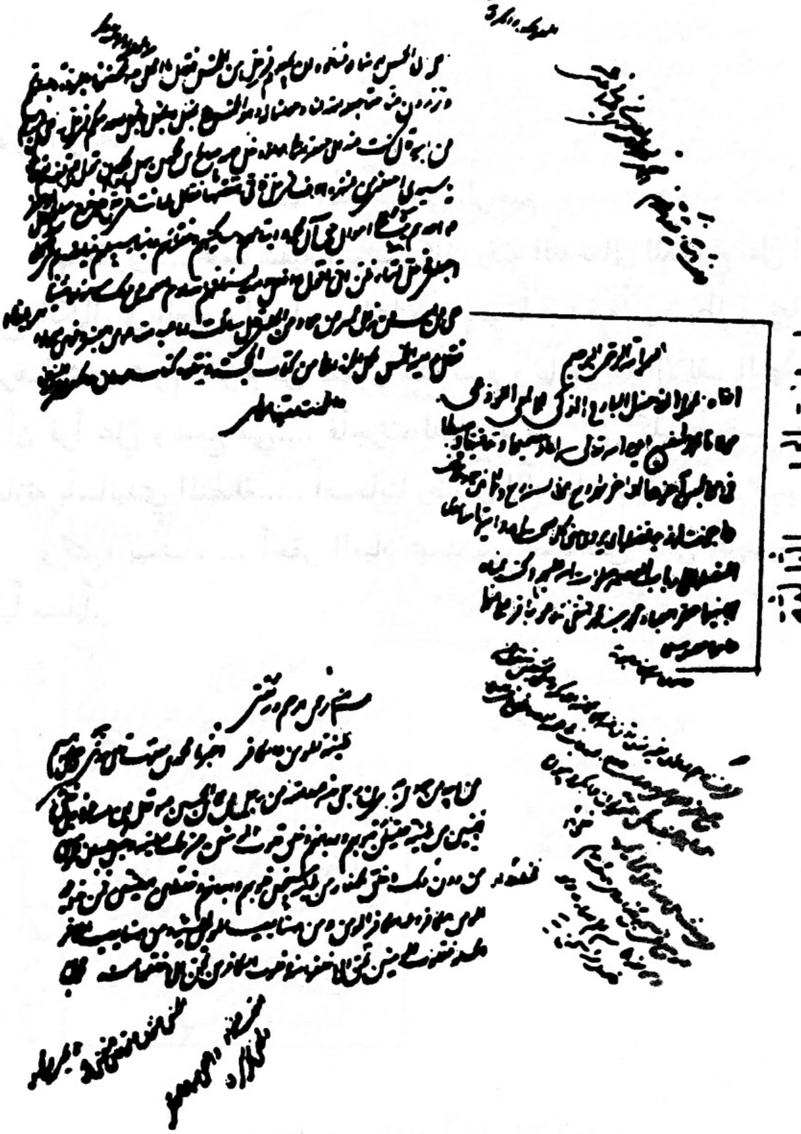
نسخة « كتابخانة آستان قدس » ع ٨٥٢٤

الاجازة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنهاه المولى الفاضل البارع الذكي الألمعي اللوذعي مولانا محمد شفيع أيده الله سماعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً في مجالس آخرها أواخر شهر ربيع الثاني لسنة أربع و ثمانين بعد الألف و أجزت له أن يروي عنّي كلما صحت روايته بأسانيدي المتصلة إلى أرباب العصمة صلوات الله عليهم و كتب ... أحقر العباد محمد بن محمد تقى المدعو باقر ...

ج - صحيفة الاجازة الثالثة



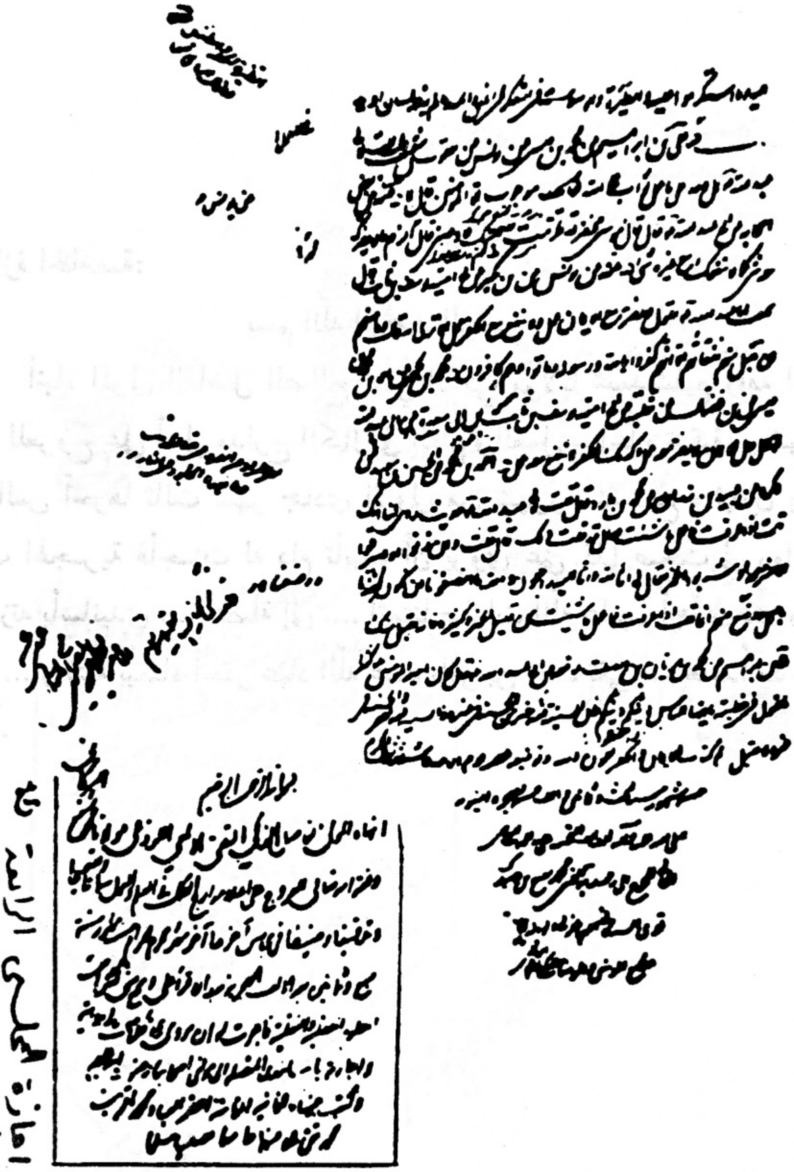
الاجازة الرابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنها المولى ... محمد شفيع التويسركاني وفقه الله تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال في العلم والعمل، سماعاً وتصحيحاً وتدقيقاً وضبطاً في مجالس آخرها شهر محرم الحرام من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف الهجرية بعد أن قرأ عليّ وسمع مني.... فأجزت له أن يروي عني كلما صحت روايته وإجازته بأسانيدي المتصلة..... أصحابنا رضوان الله عليهم.

وكتب بيمناه ... أحقر العباد محمد بن محمد تقي عفي عنهما حامداً مصلياً مسلماً.

د ـ صحيفة الاجازة الرابعة



نسخة ، كتابخانة آستان قدس ، ع ٨٥٢٤

الاجازة الخامسة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أنهاه المولى الفاضل الصالح التقي الذكي مولانا محمد شفيع وفقه اللّه تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال في العلم و العمل سماعاً و تدقيقاً و ضبطاً في مجالس آخرها ثالث شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع و ثمانين بعد الألف الهجرية فأجزت له دام تأييده أن يروي عني كلما صحت لي روايته و اجازته بأسانيدي .... متصلة إلى .... أئمتنا صلوات اللّه عليهم أجمعين بشروط أجاز ... و كتبه بيمناه أحقر عباد اللّه محمد باقر بن محمد تقي ... حامداً مصلياً مسلماً.

هـ ـ صحيفة الاجازة الخامسة



نسخة • كتابخانة آستان قدس • م ٨٥٢٤

نتيجة بحث القراءة في مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت

في هذه الاجازات جاء في اجازة ابن العلامة الحلي لتلميذه: (فمن ذلك كتاب تهذيب الأحكام فاني قرأته على والدي درساً بعد درس و تمت قراءته في جرجان ثم والدي قرأه على ...).

وجاء في إجازة المجلسي لتلميذه: وقد قرأعندي ما تيسر قراءته وهو كتاب من لا يحضره الفقيه من أوله إلى آخره و كتاب الاستبصار - أيضاً - بتمامه و كتاب أصول الكافي كلّه و أكثر كتاب التهذيب و غير ذلك قراءة بحث و تنقيح و تدقيق...

وجاء في اجازات المجلسي الخمس لتلميذه محمد شفيع: أنهاه سماعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً و... و سمع مني كثير من العلوم العقلية و النقلية في مجالس آخرها ١١٨٣ و هكذا ذكر تاريخ انهاء القراءة إلى سنة ١١٨٧ أي ان مدّة دراسة الكتاب على الاستاذ كانت أكثر من أربع سنوات و سمع من استاذه في تدريس الكافي كثيراً من الأمور العقلية و النقلية و ينبغي أن تكون تلك الأمور ما كان يحتاجه شرح الأحاديث التي تدرس في تلك المجالس.

و بناء على ذلك فانّ قرأ قراءة كان في اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل البيت(ع) طوال القرون بمعنى درس الكتاب على استاذه درساً بعد درس و تعلّمه منه تعلماً، مع ما تقتضيه شرح الأحاديث من ذكر الأمور العقلية و النقلية.

* * *

كان ذلك معنى قراءة الحديث و اقراؤه عند علماء مدرسة أهل البيت إلى عصر المجلسي المتوفى ١١١١هـ و بناء على ذلك فان قراءة الحديث و السيرة أي السنّة النبوية كانت لديهم بمعنى دراسة لفظ الحديث مع تعلّم معناه و كان

معناه في نفس الزمان عند علماء مدرسة الخلفاء كالآتي بيانه بحوله تعالى:

معنى قراءة الحديث و اقرائه في مدرسة الخلفاء

ان قراءة الحديث عند علماء مدرسة الخلفاء في القرون المتوالية كان بمعنى سماع الحديث من الشيخ كما يدل على ذلك النصوص الآتية:

قال الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ):

(ذكر النوع الثاني و الخمسين من معرفة علوم الحديث)

هذا النوع من هذه العلوم معرفة من رخّص في العرض على العالم ورآه سماعاً ومن رأى الكتابة بالإجازة من بلد إلى بلد إخباراً ومن أنكر ذلك ورأى شرح الحال فيه عند الرواية. وبيان العرض أن يكون الراوي حافظاً متقناً، فيقدِّم المستفيد إليه جزءاً من حديثه أو أكثر من ذلك فيناوله فيتأمل الراوي حديثه فإذا أخبره وعرف أنه من حديثه قال للمستفيد قد وقفت على ما ناولتنيه وعرفت الأحاديث كلها وهذه رواياتي عن شيوخي فحدث بها عني. فقال جماعة من أئمة الحديث: إنّه سماع.[١٥]

وقال الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣):

قلت وقد تقدمت منا الحكاية عن بعض أهل العلم أن السماع يصح بحصول التمييز والاصغاء حسب، ولهذا بكروا بالأطفال في السماع من الشيوخ الذين علا اسنادهم.

أخبرنا علي بن المحسن القاضي ثنا محمد بن خلف بن محمد بن جيان الخلال قال سمعت أبا بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري يقول سمعت إبراهيم الحربي يقول مات عبد الرزاق وللدبري ست سنين أو سبع سنين.

---

(١٥) كتاب معرفة علوم الحديث، ذكر النوع الثاني والخمسين من معرفة علوم الحديث ٢٥٦ - ٢٥٧.

قلت روى الـدبـري عن عبد الرزاق عامة كتبه و نقلها الناس عنه و سمعوها منه.

سألت القاضي أبا عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قلت له في أي سنة سمعت «كتاب السنن» من أبي علي اللؤلؤي؟ فقال سمعته منه أربع مرات، فحضرت أول مرة وهو يقرأ عليه في سنة أربع و عشرين و ثلثمائة، وكتب أبي في كتابه حضر ابني القاسم و قرئ عليه في السنة الثانية و كتب أبي حضـر ابني القـاسم ـ و قرئ على اللؤلؤي و أنا أسمع في السنة الثالثة و في الرابعة، و كتب أبي في كتابه سمع ابني القاسم، وكان مولد أبي عمر في رجب من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فعلى التقدير أنه سمعه في آخر دفعة وله خمس سنين، واعتـد الناس بذلك السماع، و نقل عنه الكتاب عامة أهل العلم من حفاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم[(١٦)].

وقال:

باب ما جاء فيمن سمع حديثاً فخفى عليه في وقت السماع حرف منه لادغام المحدث اياه ما حكمه؟

و قال الحسين بن علي الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ) :

الطريق الثاني ـ القراءة على الشيخ

و يسميها أكثر قدماء المحدثين عرضاً لان القارئ يعرضه على الشيخ سواء قرأ هو أم غيره وهو يسمع، و سواء قرأ من كتاب أم حفظ، و سواء كان الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسك أصله هو أو ثقة غيره وهي رواية صحيحة باتفاق خلافاً لبعض من لا يعتد به[(١٧)].

و اختلفوا في ان القراءة على الشيخ مثل السماع من لفظه في المرتبة أو

---

(١٦) كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ط. المدينة المنورة ص ٦٣ و ٦٤.

(١٧) في كتاب الخلاصة في أصول الحديث ط. العراق سنة ١٣٩١ ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

فوقه أو دونه فنقل عن أبي حنيفة ومالك وغيرهما ترجيح القراءة على الشيخ، ويروى عن مالك وأصحابه وأشياخه من علماء المدينة انهما سواء وهو مذهب معظم علماء الحجاز والكوفة والبخاري، والصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ وهو مذهب الجمهور من أهل المشرق.

وقال:

الثاني: يستحب أن يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ حدثني، وفيما سمعه من غيره حدثنا، وفيما قرأ عليه بنفسه: أخبرني وفيما قرئ عليه وهو يسمع: أخبرنا[18].

وقال السيوطي (ت: ٩١١ هـ):

بيان أقسام طرق تحمل الحديث ومجامعها ثمانية أقسام:

الأوّل: سماع لفظ الشيخ، وهو إملاء وغيره من حفظ ومن كتاب. وهو أرفع الأقسام عند الجماهير. قال القاضي عياض: لا خلاف أنّه يجوز في هذا للسامع أن يقول في روايته: حدّثنا وأخبرنا وأنبأنا وسمعتُ فُلاناً وقال لنا وذكرَ لنا قال الخطيب: أرفعُها سَمِعتُ.

وقال ثمّ حدّثنا وحَدّثني ثُمّ أخبرنا، وهو كثير في الاستعمال[19].

القسم الثاني: القِراءة على الشيخ، ويُسمِّيها أكثر المحدثين عرضاً. سواء قرأت أو غيرك وأنت تسمع من كتابٍ أو حفظٍ، حَفِظَ الشيخُ أم لا إذا أمسكَ أصله هو أو ثِقةٌ، وهي رواية صحيحة.

نتيجة بحث القراءة بمدرسة الخلفاء

عرّف الطيبي والسيوطي القراءة على الشيخ في مدرسة الخلفاء: أن يعرض القارئ الحديث أو الكتاب على الشيخ سواء قرأ هو أم قرأ غيره وهو

---

(١٨) الخلاصة في أصول الحديث ص ١٠٤.

(١٩) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٢/ ٨ ـ ١٢.

ـ القارئ ـ يسمع و سواء قرأ من كتاب أم حفظ و سواء كان الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسك أصله هو ـ أي إذا كان الاستاذ بيده كتابه في الحديث ـ أو ثقة غيره ـ أي ان كتاب الاستاذ يكون بيد ثقة غير الاستاذ وغير التلميذ القارئ ـ وهي رواية صحيحة و يسمى هذا النوع من قراءة الحديث عند العلماء عرضاً، و روى الخطيب البغدادي:

ان الدبري روى عن عبد الرزاق عامّة كتبه و نقلها الناس عنه و سمعوها منه و مات عبد الرزاق و للدبري ست سنين أو سبع سنين.

و قال ما موجزه:

و سمع أبو عمر القاسم بن جعفر كتاب السنن من أبي علي اللؤلؤي أربع مرات وه ـ يقرأ عليه أولها سنة (٣٢٤ هـ) و كذلك في السنة الثانية بعدها و كذلك في السنة الثالثة و الرابعة و كتب والده على الكتاب في كل مرة و حضر ابني و قرئ عليه ـ الكتاب ـ و سمع ابني ... و كان مولد أبي عمر في رجب من سنة (٣٢٢ هـ) (فعلى التقدير أنه سمعه في آخر دفعة وله خمس سنين و اعتدّ الناس بذلك السماع و نقل عنه الكتاب عامّة أهل العلم من حفّاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم).

نتيجة المقارنة في معنى قراءة الحديث لدى المدرستين

أ ـ في مدرسة أهل البيت إلى القرن الثاني عشر

كانت قراءة الحديث بمعنى: قراءة الحديث من تلميذ بلغت مؤهلاته أن يقول استاذه في نعته و كيفية قراءته: (قرأ كتاب .... عليّ في بلدة .... قراءة بحث و تنقيح و تدقيق فأحسن و أجاد و أفاد أكثر مما استفاد بحيث ظهر جدّه و اجتهاده و قابليته و استعداده ... و أهليّته لنقل الحديث و روايته بل نقده و درايته وقد التمس مني اجازة فبادرت إلى اجابته.

يقول الاستاذ الآخر في تلميذه و قراءته:

(أنهاه): أي أنهى قراءة الكتاب إلى الصفحة التي كتب الاجازة عليها (المولى الفاضل البارع الذكي الألمعي اللوذعي سماعاً و تصحيحاً و تدقيقاً و ضبطاً) مع تعلّم ما ينبغي أن يتعلّمه (من الأمور العقلية و النقلية)، و الأمور العقلية: شرح ما في بعض الأحاديث ممّا يحتاج إلى استعمال العقل في دراسة ما يستنبط من الحديث من عقائد و أحكام و معرفة عامّة وخاصّة و مجملة و بيّنة و مطلقة و مقيدة و ... و الأمور النقلية: دراسة أسناد الحديث و تفسير ألفاظه وما شابهها (في مجالس آخرها ...) و بعد ذلك يجيز الاستاذ تلميذه و يكتب له: (أن يروي عنّي ما صحت لي روايته) كان ذلك جارياً و سارياً إلى القرن الثاني عشر الهجري.

ب ـ في مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادي عشر

كانت قراءة الحديث بمعنى سماع التلميذ قراءة استاذه عندما يقرأ الحديث أو عندما يقرؤه تلميذ آخر ثقة بمسمع من الاستاذ و ان كان التلميذ المستمع طفلاً صغيراً بلغ سن خمس سنوات و عندئذ يصحّ للاستاذ أن يكتب لتلميذه الطفل هذا اجازة برواية ما يسمعه من الاستاذ من حديث أو ما قرئ على الاستاذ من حديث و كتاب و سمعه هذا الطفل ثمّ يأخذ من هذا التلميذ بهذه القراءة و ينقله عنه عامّة أهل العلم من حفّاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم. كان ذلكم جارياً و سارياً في مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادي عشر الهجري.

و أخيراً فقد كان لابدّ لنا من تقديم هذا البحث ضمن البحوث التمهيدية لمناقشة الروايات التي تزعزع الثقة بثبوت النص القرآني في المجلد الثاني من هذا الكتاب.

سادساً ـ الجامع والحافظ:

أ ـ الجمع والجامع:

١ ـ في اللغة :

جاء الجمع في لغة العرب بمعنى ضم الشيء بتقريب بعضه الى بعض يقال: جمعته فاجتمع، وجمع متفرقاً: لمَّ الأشياء المتفرقة، وضمّ بعضها إلى بعض.

وجاء بالمعنى اللغوي الاول والثاني في قوله ـ تعالى ـ في سورة القيامة:

أ ـ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (الآية/٣).

ب ـ ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ (الآية/٩).

وأكثر مايستعمل (جمع) في الأعيان و(أجمع) في الآراء كما في قوله تعالى في سورة يوسف/١٥:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ ﴾

٢ ـ جمع القرآن في المصطلح الاسلامي:

استعمل جمع القرآن جمع القرآن في كلام الله وحديث الرسول (ص) ومحاورة الصحابة واريد به جمعه في الصدور.

أ ـ في القرآن الكريم:

قال سبحانه في سورة القيامة:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (الآيات/١٦ ـ ١٩)

فقد قال ٱبن عباس في تفسيره ما موجزه:

(إنّ النبيّ كان يعالج من التنزيل شدّة، يحرّك لسانه وشفتيه ـ وحرّك ٱبن عباس شفتيه يحاكي الرسول (ص) ـ قال: فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ... إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْءَانَهُ﴾، أي جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ...﴾ أي فاستمع وأنصت، ثم ٱقرأه، قال: فكان رسول الله (ص) إذا أتاه جبريل ٱستمع فإذا ٱنطلق قرأه كما قرأه جبريل[1].

ب ـ في محاورات المسلمين:

استعمـل (جمع القرآن) في عصر الصحابة: بكلا المعنيين جاء بمعنى الجمع في الصدور في روايتي أنس بن مالك في صحيح البخاري:

١ ـ عن قتادة قال سألت أنس بن مالك (رض) من جمع القرآن على عهد النبي (ص)؟

قال: أربعة كلهم من الانصار:

أبي بن كعب (ت: ٣٢هـ).

معاذ بن جبل (ت: ١٨ هـ).

زيد بن ثابت (ت: ٥٥هـ).

وابو زيد ـ ثابت بن زيد بن النعمان .

٢ ـ قال أنس: مات النبي (ص) ولم يجمع القرآن غير أربعة:

---

(١) صحيح البخاري ٤/٢٠١ باب قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ من كتاب التوحيد، ٤/٢٠١. وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، الحديث: ١٤٧ و ١٤٨ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١. ومسند أحمد ١/٣٤٣. وسنن النسائي، كتاب الافتتاح، وتحريك ابن عباس لسانه في صحيح مسلم، الحديث: ١٤٧.

أبو الدرداء ـ عويمر بن زيد (ت: ٣٥ هـ).

معاذ بن جبل.

زيد بن ثابت.

أبو زيد[٢].

وفي رواية أحمد وأبي داود: أنّ أمّ ورقة بنت عبد الله كانت قد جمعت القرآن وكان النبي (ص) قد أمرها أن تؤم أهل دارها... الحديث[٣].

وقد جاء بنفس المعنى في فهرست النديم حيث قال:

(الجُماع للقرآن على عهد النبي (ص)).

علي بن أبي طالب (رض) (ت: ٤٠هـ).

سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد (رض).

أبو الدرداء عويمر بن زيد (رض).

معاذ بن جبل بن أوس (رض) (ت: ١٨هـ).

أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

أبيّ بن كعب بن قيس بن مالك بن امرئ القيس.

عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت الضحّاك (ت: ٣٤هـ) وفي ترجمة عبادة ابن الصامت بأسد الغابة ان عبادة وأبا أيوب ـ أيضاً ـ كانا ممن جمع القرآن على عهد رسول الله (ص).

وكذلك جاء بمعنى جمع جميع آيات القرآن كتباً في سور القرآن ودوّن جميع السور في مصحف واحد بعد أن كانت السور منتشرة عندهم في صحائف من الجلد والخشب وما شابهها كما رووا وقالوا:

---

(٢) الروايتان متواليتان في صحيح البخاري ١٥٢/٣ باب القراء من أصحاب النبي. و أبو زيد من عمومة انس كما في طبقات ابن سعد باب (ذكر من جمع القرآن... ٣٥٥/٢ ـ ٣٥٦.

(٣) تقدم ذكر مصادره في اخبار المصحف.

أ ـ (أقسم عليّ أن لا يرتدي الرداء حتى يجمع القرآن في مصحف).

ب ـ (جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر).

ج ـ (أنّ أبا بكر أمر زيداً بجمع القرآن، فجمعه في صحف، وأودعها عند حفصة. ولمّا أراد عثمان أن يجمع القرآن أخذها من حفصة، وٱستنسخها في المصاحف)[٤].

* * *

كان رسول الله (ص) أول من جمع القرآن حفظاً في صدره من البشر وسوف نرى في بحث جمع القرآن ـ إن شاء الله تعالى ـ أن رسول الله (ص) ـ أيضاً ـ كان أول من جمع القرآن، أي: أمر بكتابة جميع القرآن.

كان ذلكم معنى جمع القرآن حفظاً في الصدور وكتبا في المصاحف، حتى عصر الصحابة، وسمّي بعدهم جامع القرآن في صدره بحافظ القرآن.

ب ـ حافظ القرآن:

يقال في اللغة: حفظ الشيء، أي: رعاه وصانه وحرسه[٥].

ويقال ـ أيضاً ـ الحفظ: لضبط في النفس، ويضادّه النسيان[٦].

والحافظة والذاكرة: قوّة في الإنسان تحفظ معلوماته.

وفي القرون الأخيرة قيل لمن يحفظ القرآن عن ظهر قلب: الحافظ. وكذلك يقال لمن يحفظ عدداً كبيراً من الأحاديث: الحافظ[٧].

بينما كان في صدر الإسلام يقال لمن حفظ القرآن عن ظهر قلب: الجامع

---

(٤) مسند أحمد ٦/٤٠٥ وسنن ابي داود كتاب الصلاة باب امامة النساء.

(٥) مادة (حفظ) بمعاجم اللغة.

(٦) مادة (حفظ) بمفردات الراغب.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

كما سبق بيانه، ثمّ تغير معنى الجامع بعد القرن الأوّل، كما سنذكره في ما يأتي بحوله تعالى.

وعلى ما ذكرنا فإنّ تسمية من حفظ القرآن بالحافظ من تسمية المسلمين ومصطلحهم، وليس من مصطلحات الشرع الإسلامي.

سابعاً ـ الترتيل و التجويد:

أـ الترتيل:

قال الراغب: الترتيل، إرسال الكلمة بسهولة وآستقامة.

و روى ابن الجزري عن الإمام علي أنه قال: الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف[1].

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم، رتّل الكلام: أحسن تأليفه أو: أبانه وتمهّل في قراءته، وقال الله سبحانه: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان/٣٢)، أي أنزلناه على الترتيل وهو ضدّ العجلة، وبيّناه ومكّنّاه.

وقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمّل/٤)، أي بيّنه تبييناً، وتمهّل في قراءته. وليس هذا من المصطلح الإسلامي، وإنّما هو معنى لغوي. وإنما ذكرناه لصلته بعلم التجويد.

ب ـ التجويد:

التجـويد في اللغـة يقـال: جوّد القول، أي: أتى بالقول الجيّد، وجوّد القراءة: قرأ جيّداً.

---

(١) ابن الجزري: محمد بن محمد الشافعي (ت: ٨٣٣هـ) و روى الخبر في كتابه النشر في القراءات العشر ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١/ ٢٠٩ .

وقال ابن الجزري : التجويد إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها مراتبها و ردّ الحرف إلى مخرجه و أصله و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه و تلطيف النطق به على حال صيغته و كمال هيأته من غير إسراف ولا تعسف و لا إفراط ولا تلف.

قال المؤلف:

هذا ما ذكروه. ولا أرى التجويد إلّا محاولة من مقرئ القرآن أن يؤدّي اللّفظ باللّهجة الّتي أدّاها رسول الله (ص). ثمّ تمرّن عليها قرّاء القرآن جيلاً بعد جيل منذ عصر الرسول (ص) حتّى اليوم.

ونرى التجويد تعبيراً عن الترتيل ومصداقاً له.

ثامناً ـ النسخ:

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظلّ[1].

وفي المصطلح الاسلامي: نسخ أحكامٍ في شريعةٍ بأحكامٍ في شريعةٍ أخرى[2]. مثل نسخ بعض أحكام الشرايع السابقة بأحكامٍ في شريعةخاتم الأنبياء (ص)[3].

وكذلك نسخ حكمٍ مؤقتٍ بحكمٍ أبديٍّ في شريعة خاتم الأنبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتآخيين من المهاجرين والأنصار في المدينة قبل فتح مكّة بحكم توارث ذوي الأرحام بعد فتح مكّة.

وقد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلى ثلاثة أصناف:

أ ـ نسخ التلاوة والحكم: ويقصدون منه أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) تضمن حكماً شرعياً ثمّ نسخ تلاوة ذلك

---

(١) مفردات الراغب والمعجم الوسيط مادة (نسخ).

(٢) قال أبو الوليد: (النسخ: إزالة الحكم الثابت بشرع متقدم بشرع متأخّر عنه على وجه، لولاه لكان ثابتاً).

كتاب الأصول في الحدود، تأليف الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، (ت:٤٧٤هـ) ط. بيروت، سنة ١٣٩٢، ص٤٩٠.

(٣) كما سيأتي بيانه في بحث النسخ في المجلد الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

القرآن، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين ونسخ حكمه من شريعة الإسلام.

ب ـ نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصد منه أنّ الله ـ سبحانه ـ كان قد أنزل من القرآن آياً أو سوراً على رسوله (ص) ثمّ نسخ تلاوتها، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، و أبقى حكمه في شريعة الإسلام.

ج ـ نسخ الحكم دون التلاوة: ويقصد منه أنّ الله ـ سبحانه ـ أنزل من القرآن آياً عمل بها المسلمون، ثمّ نسخ تلك الآيات بآيات أخرى، و بقيت الآيات المسماة منسوخة مكتوبة في المصحف ونسخ حكمها. وسيأتي بيان زيفها مفصّلاً في بحوث النسخ إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحوث:

أ ـ القرآن والسورة والآية والوحي من المصطلحات الاسلامية التي تستعمل في معانيها منذ عصر نزول القرآن حتى اليوم.

ب ـ الجزء والحزب والتجويد والحافظ من المصطلحات المستحدثة لدى المسلمين في العصور المتأخرّة.

ج ـ لفظ (الكتاب) مشترك بين عدّة معاني ولفظ (كتاب الله) يرد بمعنى الكتاب الذي أنزله على أنبيائه مثل التوراة والانجيل والقرآن ويرد بمعنى ما فرضه الله على عباده مثل ما جاء في قوله تعالى:

﴿ إلاّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

وبنفس المعنى جاء في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾

واشتهر (كتاب الله) بعد عصر الصحابة في الكتب التي أنزلها الله وفسّر العلماء كلّما جاء من هذا اللفظ في محاورات الصحابة بمعنى كتاب اللّه وقد اخطأوا في بعض الموارد.

د ـ القراءة والقارئ والمقرئ:

استعمل القارئ في تعابير عصر نزول القرآن بمعنى من يتعلّم القرآن مع معناه، والمقرئ من يعلّم القرآن مع المعنى اذا كان معنى مادة (القراءة) يساوي تدارس التفسير في عصرنا اذ يدرسون آي القرآن مع تفسيره، وكان المقرئ من يدرّس القرآن مع التفسير والقرّاء من تعلّموا القرآن مع التفسير.

واقتضت سياسة حكم الخلفاء الثلاثة بعد الرسول (ص) تجريد القرآن عن بيان الرسول في تفسير القرآن و رفع هذا الشعار الخليفة الاول أبو بكر وتبدل معنى مادة (القراءة) بعد عصر الخليفة عثمان متدرّجا واصبحت بمعنى تبديل لفظ القرآن بالفاظ لغات القبائل العربية مثل تميم وهذيل والقرّاء الكبار من يبدلون الفاظ القرآن بلغات القبائل او باجتهاداتهم الخاصّة ونسي المصطلح الإسلامي واندرس وسيأتي شرحه مفصلاً في بحث القراءات ان شاء الله تعالى.

هـ الترتيل:

كان الترتيل في عصر نزول القرآن بمعنى (تجويد الحروف و حفظ الوقوف) كما روى ذلك عن ا لإمام علي. وفي عصرنا يقال للقرآن المقروء بصفةٍ خاصّة: (المصحف المرتل).

يوجد الترتيل اليوم لدى القراء في ما سجل لهم باسم المصحف المزمّل.

و ـ الجمع:

الجمع في اللغة ضمّ الشيء بتقريب بعضه إلى بعض وجمع الاشياء المتفرقة ضمّ بعضها الى بعض وجمع القرآن: حفظاً في الصدور، وكتابة آياته وسوره وضم بعضها الى بعض وبهذا المعنى استعمل في القرآن ومحاورات الصحابة.

ز ـ النسخ في المصطلح الإسلامي نسخ أحكام شريعة بأحكام شريعة أخرى أو نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الأنبياء. وقد التبس أمر النسخ على العلماء بسبب الاحاديث المختلقة التي سوف ندرسها في بحث النسخ ان شاء الله تعالى.

* * *

بعد أن درسنا في هذا المجلد خصائص المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن والمجتمع العربي الإسلامي الذي انتشر منه القرآن و بحوثاً من تاريخ القرآن ثم المصطلحات القرآنية يتيسر لنا دراسة الروايات التي رويت حول القرآن الكريم في المجلدين الآتيين من هذا الكتاب بحوله تعالى.

الفهرست

الموضوع | الصفحة

بحوث تمهيدية

(١)

ملامح المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل فيه القرآن وخصائصه

بحوث تمهيدية

(٢)

مـن تـاريـخ القـرآن

بحوث تمهيدية
(٣)
مصطلحـات اسلاميّة قرآنيـة